الإمام الحسين عليه السلام
في عرش الله

السيد عادل العلوي

علوی، عادل، ۱۹۵۵ ــ
الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله / تأليف السيّد عادل العلوي؛ تصحيح وتعليق إبراهيم الغروي.
ــ قم: المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد، ۱٤۱۹ ق. = ۱۳۷۸.
۳۰۳ ص. ــ (موسوعة رسالات إسلامية)
ISBN 964 - 91907 - 5 - 9 :
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
عنوان ديگر: كتاب الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله.
عربى.
كتابنامه به صورت زيرنويس.
چاپ دوم.
۱. حسين بن على، امام سوم، ٤ ــ ٦۱ ق. الف. غروى، إبراهيم، مصحح. ب. عنوان. ج. عنوان: كتاب الإمام الحسين (ع) في عرش الله..
۱۸ الف ۸۲ع / ٤ / ٤۱ BP ۲۹۷ / ۹۵۳
كتابخانه ملى ايران ۱۵۰۷۳ ــ ۷۸م

موسوعة
رسالات اسلامية

كتاب
الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله
تأليف ـ السيّد عادل العلوي
تصحيح وتعليق ـ الشيخ إبراهيم الغروي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ۳٦۳٤
الطبعة الثانية ـ ۱٤۱۹ هجري قمري
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ۹ ـ ۵ ـ ۹۱۹۰۷ ـ ۹٦٤ ISBN 964 - 91907 - 5 - 9
شابك X ـ ۱۸ ـ ۵۹۱۵ ـ ۹٦٤ (دورة ۱۰۰ جلد) 964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

الإهداء:

إلى حملة العرش الإلهي وأهله.

إليكم سفن النجاة ومصابيح الهدى سادتي وأئمّتي بالحقّ.

إليك يا رسول الله وخير خلقه، وإليكم يا أهل بيته الأطهار فاطمة الزهراء والأئمة الهداة الأبرار عليهم السلام.

منكم وإليكم وإلى شيعتكم المنصورين إلى يوم الدين أُقدّم مجهودي المتواضع هذا برجاء القبول والدعاء والشفاعة في الدنيا والآخرة.

العبد

عادل العلوي

قم المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي دلّ أولياءه على ذاته بذاته، وأرشد الخلق على معرفته، وهدى الناس إلى صراطه، والصلاة والسلام على أشرف الكائنات، سيّد المخلوقات، خاتم النبيّين والمرسلين، محمّد المصطفى الأمين، وعلى آله الأئمة المعصومين، خير الورى ومصابيح الهدى، وسفن النجاة وأنوار التقى، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين ومنكري فضائلهم ومقاماتهم إلى قيام يوم الدين.

لا يخفى على ذوي النهى ـ كما عند علماء الأخلاق وأهل المعرفة ـ أنّ القلب سلطان البدن وأميره، وإذا صلُح القلب صلحت الجوارح والجوانح، فإنّ الناس على دين ملوكهم، وعاش الإنسان سعيداً ومات سعيداً.

ومن هذا المنطلق نجد الإسلام قد اهتمّ غاية الاهتمام في دعوته الإصلاحيّة والأخلاقيّة إلى تهذيب القلب وسلامته من الأسقام الروحيّة والأمراض النفسيّة، من الصفات الذميمة والأخلاق المنحطّة، فدعا إلى تخليته من الذمائم والمنكرات والسجايا المكروهة المنبوذة، وتحليته بالصفات الحميدة والأخلاق الطيّبة، ثمّ تجليته وصيقلته ونقاءه حتّى يبلغ قمّة الكمال، وهو الوصول إلى ذي الجلال، والفناء في الله المتعال، والقرب منه قاب قوسين أو أدنى، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فيلقى

الله عزّ وجلّ بقلب سليم، ليس فيه سواه جلّ جلاله.

هذا والقلب إنّما يعيش ويخلّد ويسير إلى الله بنور، ولولاه لكان يتخبّط في ظلمات بعضها فوق بعض، فحياته بالنور، وليس العلم بكثرة التعلّم، إنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء الله هدايته[١]. فنور القلب هو العلم، ويرادفه أو يلازمه المعرفة، فالمعرفة نور القلب.

وقال عليه السلام: الإيمان معرفة بالقلب.

والله سبحانه في محكم كتابه ومبرم خطابه يدعوننا إلى الإيمان بقوله تعالى: ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا آمِنوا بِاللهِ وَرَسولِهِ ﴾[٢].

والإيمان إنّما هو معرفة بالقلب، والمعرفة نور القلب، فالإيمان نوره.

وقال عليه السلام: «المعرفة بنيان النبل».

«المعرفة برهان الفضل».

«المعرفة الفوز بالقدس».

«المعرفة أصل فرعه الإيمان»[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ﴾[٤]، قال عليه السلام: «فطرهم الله على المعرفة»[٥].

(١) حديث نبوي شريف.

(٢) النساء: ١٣٦.

(٣) ميزان الحكمة ٦: ١٣٠.

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) البحار ٣: ٢٧٩.

وقال عليه السلام: أيّها الناس، عليكم بالطاعة والمعرفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتي خَيْراً كَثيراً ﴾، قال: الحكمة، المعرفة[١].

وقال عليه السلام: «إنّ الحكمة: المعرفة والتفقّه في الدين، فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من فقيه».

وقال عليه السلام: «الحكمة ضياء المعرفة، وميراث التقوى وثمرة الصدق».

قال عليه السلام: «إنّ المعرفة التصديق والتسليم».

قال عليه السلام: «إنّ حقّ المعرفة أن تطيع ولا تعصي، وتشكر ولا تكفر».

«فمن عرف دلّته المعرفة على العمل».

وقال عليه السلام: بعضكم أكثر صلاة من بعض، وبعضكم أكثر حجّاً من بعض، وبعضكم أكثر صدقةً من بعض، وبعضكم أكثر صياماً من بعض، وأفضلكم أفضلكم معرفة[٢].

وقال صلى الله عليه وآله: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة.

وقال الإمام الباقر عليه السلام: لا يقبل عمل إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، ومن عرف دلّته معرفته على العمل، ومن لم يعرف فلا عمل له.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّكم لا تكونون صالحين حتّى تعرفوا، ولا تعرفون حتّى تصدّقوا».

فقيمة الإنسان وعظمته وشموخه في الدنيا والآخرة، إنّما هو بمعرفته، وهي

(١) المصدر ٢: ١٠٠.

(٢) البحار ٣: ١٤.

التي تدلّه على صالح الأعمال ومرضيّ الأفعال، فطوبى لمن عرف نفسه، فإنّه من عرفها فقد عرف ربّه، ومن عرفه، عرف كلّ شيء، فإنّه سبحانه الوجود المطلق ومطلق الوجود، الجامع لجميع الصفات الكماليّة والجماليّة والجلاليّة.

عن زيد الزرّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا بنيّ، اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان، إنّي نظرت في كتابٍ لعليّ عليه السلام فوجدت في الكتاب: إنّ قيمة كلّ امرءٍ وقدره معرفته[1].

ومتعلّق المعرفة يختلف باختلاف المصاديق والموارد والمتعلّقات، وربّ معرفة أدّت إلى تظليل ـ كما قالها أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ـ وخير المعارف باعتبار خير المتعلّقات وأشرفها، وهو الله سبحانه، فأوّل المعرفة معرفة الله المبدئ الأوّل، ثمّ المعاد، ثمّ ما بينهما من صفات الله سبحانه وعدله والنبوّة والإمامة، ومعرفة الدين في فروعه وأحكامه وأخلاقه، وكلّ ما يوجب هداية الإنسان ورشده ونجاته في الدارين.

ثمّ المقصود من النبوّات والشرائع السماويّة والوصايا والإمامة كلّها هو إيصال الإنسان إلى تمام المعرفة وكماله النهائي، وكمال الإنسان وتكامله هو فلسفة الحياة وسرّ الخليقة، بأن يكون الإنسان خليفة الله في أرضه تتجلّى فيه أسماء الله وصفاته.

فالإنسان يمتاز عن سائر الكائنات بعلمه ومعرفته:

﴿ الَّذي عَلَّمَ بِالقَلَمِ عَلَّمَ الإنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2].

(١) ميزان الحكمة ٦: ١٣٣.

(٢) العلق: ٤ ـ ٥.

وإنّما سجدت الملائكة لآدم من أجل ذلك:

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأسْماءَ كُلَّها ﴾[1].

وإنّما ينال الإنسان المعرفة بما جهّزه خالقه في ظاهره وباطنه من الحسّ والعقل وما يترتّب منهما، وبها يكتسب ما لا يعلمه إطلاقاً أو يخرج إلى الفعليّة ما يعلمه بالقوّة من الإدراكات الفطريّة الأوّلية.

والمعرفة كلّيّ مشكّك لها مراتب طوليّة وعرضيّة، تختلف بالشدّة والضعف، والتقدّم والتأخّر، ولقاحها العلم ودراسته، كما أنّ لقاح العلم التصوّر والفهم ـ كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام[2] ـ.

وقال عليه السلام: «أفضل المعرفة معرفة الإنسان نفسه».

«غاية المعرفة أن يعرف المرء نفسه».

«نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفة النفس».

«من جهل نفسه كان بغيره أجهل».

«لا تجهل نفسك، فإنّ الجاهل بمعرفة نفسه جاهل بكلّ شيء».

«من لم يعرف نفسه بعُد عن سبل النجاة، وخبط في الضلال والجهالات».

«من شغل نفسه بغير نفسه، تحيّر في الظلمات، وارتبك في الهلكات، ولم يعرف نفسه».

«من عرف نفسه كان لغيره أعرف».

«من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات».

(١) البقرة: ٣١.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ٤٥٥.

«من عرف نفسه جاهدها، ومن جهل نفسه أهملها».

«من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كلّ معرفة وعلم».

«من عرف الله توحّد، ومن عرف نفسه تجرّد، ومن عرف الناس تفرّد، ومن عرف الدنيا تزهّد».

«من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

«أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربّه».

«ينبغي لمن عرف نفسه أن يلزم القناعة والعفّة ـ أن لا يفارق الحزن والحذر ـ أن لا يفارقه الحذر والندم خوفاً أن تزلّ به عند العلم القدم ـ أن ينزّهها عن دناءة الدنيا».

«الكيّس من عرف نفسه وأخلص أعماله».

«من عرف نفسه جلّ أمره».

«معرفة النفس أنفع المعارف».

«معرفة الله أعلى المعارف».

«لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله جلّ وعزّ، وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله عزّ وجلّ أنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوّة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم».

«ثمرة العلم معرفة الله».

«يسير المعرفة يوجب الزهد في الدنيا».

«من صحّت معرفته انصرفت عن العالم الفاني نفسه وهمّته».

ويقول الإمام الكاظم عليه السلام: «من لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه»[١].

وفي حديث المعراج يقول الله سبحانه وتعالى: «... فمن عمل برضائي ألزمه ثلاث خصال: أُعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبّة لا يؤثر على محبّتي محبّة المخلوقين، فإذا أحبّني أحببته، وأفتح عين قلبه إلى جلالي، ولا أُخفي عليه خاصّة خلقي، وأُناجيه في ظلم الليل ونور النهار، حتّى ينقطع حديثه مع المخلوقين، ومجالسته معهم، وأُسمعه كلامي وكلام ملائكتي وأُعرّفه السرّ الذي سترته عن خلقي، وأُلبسه الحياء حتّى يستحي منه الخلق كلّهم، ويمشي على الأرض مغفوراً له، وأجعل قلبه واعياً وبصيراً، ولا أُخفي عليه شيئاً من جنّة ولا نار، وأُعرّفه ما يمرّ على الناس في القيامة من الهول والشدّة، وما أُحاسب به الأغنياء والفقراء والجهّال والعلماء، وأُنوّمه في قبره، وأُنزل عليه منكراً ونكيراً حتّى يسألاه ولا يرى غمّ الموت وظلمة القبر واللحد وهول المطلع، ثمّ أنصب له ميزانه وأنشر ديوانه، ثمّ أضع كتابه في يمينه فيقرأه منشوراً ثمّ لا أجعل بيني وبينه ترجماناً، فهذه صفات المحبّين»[٢].

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: من سكن قلبه العلم بالله سكنه الغنى عن خلق الله».

«ينبغي لمن عرف الله سبحانه أن لا يخلو قلبه من رجائه وخوفه طرفة عين».

---

(١) الكافي ١: ١٨.

(٢) ميزان الحكمة ٦: ١٥٢.

«أن يتوكّل عليه».

«كيف لا يشتدّ خوفه».

«غاية المعرفة الخشية».

«أعرف الناس بالله، أعذرهم للناس وإن لم يجد لهم عذراً».

«أكثرهم لله مسألة».

«أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ».

والعارف حقّاً ما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «العارف من عرفه نفسه فأعتقها ونزّهها عن كلّ ما يبعّدها ويوبقها».

«وجهه مستبشر متبسّم، وقلبه وجلٌ محزون».

«كلّ عارف عازف».

«شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه».

«الشوق خلصان العارفين».

«الخوف جلباب العارفين».

«البكاء من خيفة الله عبادة العارفين».

«لكلّ شيء معدن، ومعدن التقوى قلوب العارفين».

هذه نبذة خاطفة من الروايات الشريفة[1] في حقيقة المعرفة ولوازمها ومتعلّقاتها، وددت ذكرها ليقف القارئ الكريم على عظمة المعرفة، وأنّها الأصل

(١) نقلت الروايات من كتاب (ميزان الحكمة) ٦: ١٣٠ ـ ١٦٠. وباب المعرفة باب وسيع وبحر عميق، فراجع.

الأصيل، والأساس في كلّ شيء، وقيمة الإنسان في الدنيا والآخرة إنّما بمقدار معرفته، وطوبى لمن عرف قدر نفسه.

فلا بدّ للإنسان أن يعرف نفسه أوّلاً ومن هو؟

ويعرف ربّه، ومن أين أتى؟ ومن صانعه؟

وماذا يراد منه، وأين هو؟

وما الذي يخرجه عن الدين، وإلى أين يذهب ويرجع؟

وقد جمع علم الأوّلين والآخرين في هذه الكلمات ـ كما ورد في الأخبار عن الصادقين عليهما السلام ـ.

لا بدّ للإنسان أن يعرف عدوّه الأوّل، وأنّه يريد إخراجه من الدين، فيوسوس له حتّى يغويه، ويضلّ الطريق، ويشق ويهلك في الدنيا والآخرة، فمن هذا العدوّ الخطير الضاري اللعين، الذي غفلنا عنه وهو في المرصاد والكمين؟! هو الشيطان اللعين.

فالمعرفة ضرورة حياتيّة، إن فُقدت فَقَد الإنسان كيانه وحقيقته وإنسانيّته، وكان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، وقلبه كالحجارة أو أشدّ قسوةً وضلالاً.

ثمّ المعرفة من المعاني الإضافيّة بين العارف والمعروف، ولها مراتب ومراحل.

حقيقة المعرفة

المعرفة لغةً :

من عرف، والمعرفة والعرفان إدراك الشيء بتفكير وتدبّر لأثره، وهو أخصّ من العلم، ويضادّه الإنكار، ويقال فلان يعرف الله، ولا يقال فلان يعلم الله، متعدّياً إلى مفعول واحد، لمّا كان معرفة البشر لله هي بتدبّر آثاره دون إدراك ذاته، ويقال : الله يعلم كذا، ولا يقال : يعرف كذا، لمّا كان المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصّل به بتفكّر، وأصله من عرفت، أي أصبت عَرْفَه أي رائحته، أو من أصبت عَرَفه أي خَدّه، يقال : عرفت كذا، قال :

﴿ فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفوا ﴾.

﴿ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرونَ ﴾.

﴿ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسيماهُمْ ﴾.

﴿ يَعْرِفونَهُ كَما يَعْرِفونَ أَبْناءَهُمْ ﴾.

ويضادّ المعرفة الإنكار والعلم والجهل، قال :

﴿ يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونَها ﴾.

وتعارفوا : عرف بعضهم بعضاً، قال :

﴿ لِتَعارَفوا ﴾.

وقال :

﴿ يَتَعارَفونَ بَيْنَهُمْ ﴾.

وعرّفه : جعل له عَرْفاً أي ريحاً طيّباً، قال في الجنّة :

﴿ عَرَّفَها لَهُمْ ﴾.

أي طيّبها وزيّنها لهم، وقيل : عرّفها لهم بأن وصفها لهم وشوّقهم إليها وهداهم[١].

المعرفة اصطلاحاً :

والعارف في المصطلح العرفاني هو المختصّ بمعرفة الله ومعرفة ملكوته، وحسن معاملته تعالى، يقال : عرّفه كذا[٢]. أو الذي يعرف حقائق الأشياء بما هي من خلال الشهود وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة تنطبع فيه المعارف والعلوم الحقّة.

وفي العلم الحديث يطلق نظرية المعرفة ويراد منها ما يرادف العلم بمعنى درك الجزئيات والكلّيات لا إدراك الجزئيات وحسب.

وقيل : العلم والمعرفة من الأُمور الضروريّة لا تحتاج إلى تعريف، وللعلم تعاريف عديدة بين النقض والإبرام، أشهرها ما عند القدماء من الحكماء بأنّه حصول صورة الشيء عند العقل.

وأُورد عليه إشكالات كما هو مذكور في المطوّلات، فقيل : الأولى في التعريف حضور المعلوم عند العالم بالمباشرة أو بغيرها، وبنظري إضافة قيد (على ما هو عليه) حتّى يخرج الوهم والشكّ بل الظنّ. والعلم من المعاني الإضافيّة المتوقّف على العالم والمعلوم، أو هو واسطة بينهما.

---

(١) مفردات الراغب : ٣٣١.

(٢) مفردات الراغب : ٣٣١.

مراحل المعرفة :

المعرفة كلّي قابل للتشكيك، له مراتب طوليّة وعرضيّة، أُفقيّة وعموديّة، كالنور والوجود، تختلف بالشدّة والضعف وبالأولويّة وما شابه، فطرفا المعرفة ـ بنظري ـ عبارة عن المعرفة العرشيّة السماويّة، وهي أعلى مراتب المعرفة، وأدناها : المعرفة الفرشيّة الأرضيّة، ومن ثمّ بينهما مراتب لا تعدّ ولا تحصى كالنور الحسّي، فعندنا الشمعة في الأرض، فهي من أدنى الأنوار الأرضيّة، وعندنا الشمس في كبد السماء وهي من أعلى الأنوار السماويّة، وبينهما مراتب طوليّة وعرضيّة، ثمّ من الكلّي المشكّك المعرفة والعلم. وأُمّهات مراحل ومراتب المعرفة، عبارة عن ثلاث مراحل كاليقين، فعند علماء الأخلاق كما هو في القرآن الكريم، أنّ لليقين ثلاث مراحل طوليّة :

أوّلها علم اليقين، وهو يعني تصوّر الشيء وتعقّله، كما لو تصوّرنا النار ورأيناها من بعيد.

ثانيها : عين اليقين، ويعني القرب من الشيء كالقرب من النار حتّى يحسّ بحرارتها.

وثالثها : حقّ اليقين، ويعني لمس الشيء والدخول فيه، كمن يدخل في النار، وتحرقه فيمسّها من كلّ وجوده ومن صميمه، يعلم بها متيقّناً بكلّ مشاعره وأحاسيسه.

والمعرفة كذلك لها ثلاث مراحل : جلال وجمال وكمال.

والمقصود من الأُولى : معرفة الشيء في حدوده وإطاره الخاصّ، والعلم به بما يتميّز عن غيره، فيما به الامتياز، فيجلّ عن الغير ويمتاز في شكله وهندسته

وحدوده الخاصّة، كمن يرى الجبل من بعيد، ويرى عظمته وجلاله، فإنّه يجلّ في هندسته وشكله الظاهري عن غيره، فهذه من المعرفة الجلاليّة الصورية الظاهريّة، وتكون في العقليّات ـ كما في علم المنطق ـ : بالجنس القريب والفصل القريب، ويسمّى بالحدّ التامّ.

والمقصود من الثانية : أن يعرف باطن الشيء، ويصل إلى جوهره، ويدخل في حقيقته ووجوده، فيرى جماله، وقد ورد عن الإمام السجّاد عليه السلام في مناجاته : «اللهمّ أرني حقائق الأشياء كما هي»، فتكون من المعرفة الجماليّة الباطنيّة، وربما الأُولى معرفة الماهيّات، والثانية معرفة الوجود.

والمقصود من الثالثة : أن يقف العارف على غاية الشيء وكماله المطلوب فيه، وكنهه، وحقيقته المغيّاة، فيحيط بما له من الحقائق والواقع ونفس الأمر، فيعرفه معرفة كماليّة وغائيّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : «من كانت له حقيقة ثابتة، لم يقم على شبهة هامدة، حتّى يعلم منتهى الغاية»[1].

وهذه المراحل يمكن طيّها وسيرها في كلّ الأشياء، فالشريعة السماويّة السمحاء مثلاً، تارة يعرفها الإنسان في حدود أحكامها من الحلال والحرام، ولم يتعدّاها، بل يقف عند حدّها، فهو عارف بجلال الشريعة.

ومن تمثّلت له الأحكام في بواطنها، ووقف على أسرارها في سلوكه ووجوده، وعرف فلسفتها ـ إن صحّ التعبير ـ فإنّه يقف على جمال الشريعة، كمن كتب في أسرار العبادات كالصلاة والصوم والحجّ، فهذا عارف بجمال الشريعة.

---

(١) ميزان الحكمة ٦ : ١٣٢.

ومن رأى الله سبحانه من وراء الشريعة، بقيامها في باطنه وسرّه، وعرف الغاية القصوى من الشريعة، ووقف على كمالها، فإنّه عارف بكمال الشريعة.

وفي المحسوسات ـ من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ـ لا بأس أن نضرب مثالاً، وهو: العين الباصرة، فإنّها تكون جليلة النظر في شكلها الظاهري، وجميلة العين في نظرتها النافذة، وكميلة الذات في اجتنابها رؤية المحارم والأجانب، فجلالها في هندستها، وجمالها في نظراتها، وكمالها في تركها الحرام.

وهذه المراحل يمكن جريانها في الوجود والماهيّات، في الواجب والممكنات، كلّ بحسب ما فيه من المقامات والغايات، وربما ما يقوله الصوفيّة من الشريعة والطريقة والحقيقة من هذا الباب، فتأمّل.

وهناك تقسيم آخر للمعرفة كتقسيمها إلى:

١ ـ المعرفة البرهانيّة: التي تعتمد على الاستدلال والبرهان العقلي، كما عند فلاسفة المشّاء، فإنّ فلسفتهم في حركة ومشي من الاستدلالات المتوالية حتّى الوصول إلى الحقيقة بالبرهان العقلي من القياس وما شابه، وهؤلاء أتباع أرسطو والشيخ الرئيس.

٢ ـ المعرفة الشهوديّة: وهي تعني تهذيب النفس وصيقلة القلب حتّى يكون كالمرآة لانطباع صور الأشياء وحقائقها وذواتها، وهي طريقة الإشراقيّين من الحكماء وكذلك العرفاء والصوفيّة. وهؤلاء أتباع أفلاطون وشيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي ومحيي الدين العربي.

٣ ـ المعرفة الإيمانيّة: التي تستند على الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام، ومع ثبوتها وإثباتها تكون معصومة من الخطأ والانحراف بخلاف الأُخريين، فتدبّر.

كما هناك تقسيمات عديدة للمعرفة، من زوايا متعدّدة، وباعتبارات متفاوتة.

ويبدو لي أنّ الدين الإسلامي، ذلك الذي أخبر الباري سبحانه عنه بقوله تعالى:

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً ﴾[1].

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ ديناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[2].

إنّما يعرف توحيده بمعرفة جلاليّة، فإنّ الله سبحانه إذا أردنا أن نعرفه من باب «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» فإنّه نرى العجز والجهل والموت فينا، بل نرى كلّ النقائص، ولا يصحّ أن يكون علّة وجودنا ناقصاً مثلنا، بل لا بدّ من كماله المطلق، فإذا كان الإنسان عاجزاً، فربّه عزّ وجلّ ليس بعاجز، أي إنّه قادر، وإذا كان جاهلاً، فربّه سبحانه ليس بجاهل، فهو العالم، وإذا كان ميّتاً فإنّه لا يموت فهو الحيّ، وهكذا الصفات الأُخرى. فهذه من المعرفة الجلاليّة في التوحيد.

وأمّا المعرفة الجماليّة في الدين فإنّها تتجلّى في النبوّة، فإنّما نعرف الأنبياء وخاتمهم بمعرفة جماليّة، فإنّ النبيّ هو جمال الله في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فهو خليفة الله في أرضه، وهو مظهر جماله والإنسان الكامل وجامع الجمع.

وأمّا المعرفة الكماليّة في الدين، إنّما يكون بعد تمامه وإكماله بالولاية والإمامة، فإنّ من لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليّة، وكان ناقصاً في معرفة توحيده

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) آل عمران: ٨٥.

ومعرفة النبوّة، وبالإمام يعرف الله سبحانه بمعرفة الجمال والكمال، فلولا النور العلويّ، ولولا أمير المؤمنين علي عليه السلام وولايته المطلقة التي تمثّل ولاية الله سبحانه، لما تمّ التوحيد ولما كملت النبوّة، فالولاية روح الدين وكماله.

فخلاصة التوحيد في النبوّة، وخلاصة النبوّة في الإمامة، والإمامة كمال النبوّة، والنبوّة كمال التوحيد، والتوحيد جلال الدين، والدين فلسفة الحياة، والحياة عقيدة وجهاد. شعورٌ وشعار، فلسفة وجود وفلسفة عمل، قانون وتطبيق....

ثمّ القرآن الكريم كتاب الله الحكيم، فيه تبيان كلّ شيء، وفيه كلّ المعارف والعلوم، كما يكون كلّ ذلك عند العترة الطاهرة، لعدم افتراقهما ـ الكتاب والعترة ـ في كلّ شيء منذ البداية حتّى النهاية إلى يوم القيامة، وذلك بنصّ حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[1].

وموضوع رسالتنا هذه[2] إنّما هو معرفة مولانا وإمامنا سيّد الشهداء الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ريحانة رسول الله، وسبطه الأنور، وسيّد شباب أهل الجنّة، وذلك من خلال الحديث المشهور النبويّ الشريف: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، ونحاول أن نعرفه عليه السلام بمعرفة جماليّة عرشيّة من خلال القرآن الكريم والعترة الطاهرة، والله المستعان وهو الموفّق للسداد والرشاد، عسى أن نوفّق للوصول إلى ساحل بحار كُنه المعرفة.

(١) راجع في ذلك رسالتنا (في رحاب حديث الثقلين).

(٢) هذه الرسالة مجموعة محاضرات إسلامية تربويّة ألقيتها في مدرسة الحجّتيّة التابعة للمركز العالمي للدراسات الإسلاميّة.

عن المفضل قال: دخلت على الصادق عليه السلام ذات يوم فقال لي: يا مفضّل، هل عرفت محمّداً وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كنه معرفتهم؟ قلت: يا سيّدي، وما كنه معرفتهم؟ قال: يا مفضّل، من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمناً في السنام الأعلى ـ أي أعلى مدارج الإيمان ـ قال: قلت: عرّفني ذلك يا سيّدي، قال: يا مفضّل، تعلم أنّهم علموا ما خلق الله عزّ وجلّ وذرأ وبرأ، وأنّهم كلمة التقوى وخزّان السماوات والأرضين والجبال والرمال والبحار، وعلموا كم في السماء من نجم وملك، ووزن الجبال وكيل ماء البحار وأنهارها وعيونها، وما تسقط من ورقة إلّا علموها، ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلّا في كتاب مبين، وهو في علمهم، وقد علموا ذلك، فقلت: يا سيّدي، قد علمت وأقررت به وآمنت، قال: نعم يا مفضّل، نعم يا مكرّم، نعم يا محبور، نعم يا طيّب، طبت وطابت لك الجنّة ولكلّ مؤمن بها[1].

أقول: مثل هذه المعرفة المتعالية لا يكفي العلم بها، بل لا بدّ فيها من العلم والإقرار والإيمان، أي لا بدّ أن تدخل في وجود الإنسان وصميمه فإنّه بعقله يعلم بها، وبلسانه يقرّ بها، وبقلبه يؤمن بها، فلا بدّ من عقد العلم ثمّ عقد الإيمان، فحينئذٍ يكرّم عند الله، فإنّه يصل إلى مقام التقوى:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[2].

كما يكون مسروراً ويكون محبوراً فرحاً مطمئنّاً قلبه بذكر الله سبحانه، فينال الطيب في الدنيا والآخرة، فيسعد في حياة طيّبة وعيش رغيد، وإلى مثل هذه المعرفة

(١) البحار ٢٦: ١١٧.

(٢) الحجرات: ١٣.

ندعو الناس على بصيرة وعلم.

وليس كلّ واحد يصل إلى هذه المرحلة من العلم والمعرفة، كما ليس كلّ واحد يكون من أهل النجاة، لا سيّما عند سيّد الشهداء عليه السلام، فليس كلّ واحد يركب سفينته، بل بجذبة وموالاة منه.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ حبابة الوالبيّة كانت إذا وفد الناس إلى معاوية وفدت هي إلى الحسين عليه السلام، وكانت امرأة شديدة الاجتهاد، قد يبس جلدها على بطنها من العبادة، وإنّما خرجت مرّة ومعها ابن عمٍّ لها غلام، فدخلت به على الحسين عليه السلام فقالت له: جعلت فداك، فانظر هل تجد ابن عمّي هذا فيما عندكم وهل تجده ناجياً؟ قال: فقال: نعم نجده عندنا ونجده ناجياً[1].

عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنّه كتب إلى عبد الله بن جندب في رسالة: إنّ شيعتنا مكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا، ويدخلون مدخلنا، ليس على ملّة الإسلام غيرنا وغيرهم[2].

ولا يخفى أنّ الذين ينسبون إلى أهل البيت الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، ويتبعون مذهبهم الصائب، وسبيلهم الحقّ، وصراطهم المستقيم، يمكن في مقام معرفتهم ودرجات إيمانهم، أن يقسّموا إلى طوائف ثلاثة[3]:

(١) البحار ٢٦: ١٢٢، عن بصائر الدرجات: ٤٧.

(٢) المصدر، الباب ٧ أنّهم عليهم السلام يعرفون الناس بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء شيعتهم وأعدائهم وأنّه لا يزيلهم خبر مخبرٍ عمّا يعلمون من أحوالهم، وفي الباب ٤٠ رواية.

(٣) لقد ذكرت هذا المعنى بالتفصيل في (هذه هي البراءة)، فراجع.

١ ـ الشيعة المخلصين الذين وردت صفاتهم وفضائلهم في الروايات الكثيرة، أنّهم صفر الوجوه من السهر، عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الجوع، ذبل الشفاه من الدعاء... وهؤلاء هم الشيعة بالمعنى الأخصّ.

٢ ـ المحبّون الذين زرعوا في قلوبهم محبّة أهل البيت ومودّتهم وأطاعوهم واتّبعوهم، إلّا إنّهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيّئاً.

٣ ـ المعادون لأعدائهم عليهم السلام من أجلهم.

وهذا التقسيم استخرجناه من الحديث الشريف: الأصدقاء ثلاثة: صديقك وصديق صديقك وعدوّ عدوّك، والأعداء ثلاثة: عدوّك وصديق عدوّك وعدوّ صديقك.

ثمّ ـ كما ذكرنا ـ إنّ المعرفة ذات مراتب كمراتب النور الحسّي، فمن الشيعة ـ بالمعنى الأعمّ ـ من يحمل أعلى مراتبها ويعلم بكنهها بالبرهان الساطع والدليل القاطع، ومنهم من يحمل أدناها وأُولى المراتب، وهم الأكثريّة، والعجب أنّهم يعيبون من يفوقهم بالمعرفة ويعادونهم، فإنّ الناس أعداء ما جهلوا، وذلك لضعف قلوبهم ومعرفتهم وإيمانهم، حتّى يوردون بعض الشبهات التي يلقيها الشيطان ويوحيها إلى أوليائه ليفسد على الناس عقائدهم، كقولهم: كيف يقدم الإمام عليه السلام على قتل نفسه؟ وينتهي به الأمر أن يعتقد بأنّ إمامة الحقّ المعصوم والعالم بعلم الله كأئمة الأعداء، فيكسر حجّته ويخصم نفسه ويقصّر في معرفة إمامه، ويُعيب ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ المعرفة، والتسليم لأمر الأئمة الأطهار عليهم السلام، كما ورد في الخبر الشريف:

ـ عن ضريس الكناسيّ، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول وعنده أُناس من أصحابه وهم حوله: إنّي لأعجب من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمة ويصفون أنّ طاعتنا

مفترضة عليهم كطاعة الله، ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم، لضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا، ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون الله افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفي عليهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم.

فقال له حمران: يا بن رسول الله، أرأيت ما كان من قيام أمير المؤمنين والحسن والحسين وخروجهم وقيامهم بدين الله وما أُصيبوا به من قبل الطواغيت والظفر بهم حتّى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران، إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الاختيار، ثمّ أجراه عليهم فيتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام، وبعلم صمت من صمت منّا، ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من ذلك، سألوا الله أن يدفع عنهم وألحّوا عليه في إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم، لزال أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان الذي أصابهم لذنب اقترفوه ولا لعقوبة معصية خالفوا فيها، ولكن لمنازل وكرامة من الله أراد أن يبلّغهم إيّاها فلا تذهبنّ بك المذاهب فيهم[1].

ـ عن صالح بن عقبة الأسدي، عن أبيه، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يقولون بأمر ثمّ يكسرونه ويضعّفونه، يزعمون أنّ الله احتجّ على خلقه برجل، ثمّ يحجب عنه علم السماوات والأرض، لا والله لا والله لا والله، قلت: فما كان من أمر هؤلاء الطواغيت وأمر الحسين بن عليّ عليهما السلام؟ فقال: لو أنّهم ألحّوا فيه على الله لأجابهم الله، وكان يكون أهون من سلك فيه خرز انقطع فذهب، ولكن كيف؟ إنّا

(١) البحار ٢٦: ١٥٠، عن الخرائج والجرائح: ٢٥٥.

إذاً نريد غير ما أراد الله[1].

قال الراوندي رحمه الله بعد إيراد الخبر: يعني أنّ الله لم يرد ذلك إلجاءً واضطراراً، وإنّما أراد أن يكون ذلك اختياراً، فإنّ الإلجاء ينافي التكليف، وكذلك نحن نريد مثل ذلك، ولا نخالف الله.

فما يفعله الإمام عليه السلام إنّما بعلم الله وإرادته لمصالح تشريعيّة وتكوينيّة، يعلمها الله والراسخون في العلم، وإنّ الإمام عليه السلام بمنزلة البحر الزاخر، لا ينفد ما عنده، وعجائبه أكثر من ذلك، كما ورد في الخبر الشريف:

عن عليّ بن أبي حمزة، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام إذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبش ـ السودان ـ وقد اشتروهم له، فكلّم غلاماً منهم وكان من الحبش جميل فكلّمه بكلامه ساعة حتّى أتى على جميع ما يريد وأعطاه درهماً، فقال: أعطِ أصحابك هؤلاء كلّ غلام منهم كلّ هلال ـ شهر ـ ثلاثين درهماً ثمّ خرجوا.

فقلت: جعلت فداك، لقد رأيتك تكلّم هذا الغلام بالحبشيّة فماذا أمرته؟ قال: أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً، ويعطيهم في كلّ هلال ثلاثين درهماً، وذلك أنّي لمّا نظرت إليه علمت أنّه غلام عاقل من أبناء ملكهم، فأوصيته بجميع ما أحتاج إليه، فقبل وصيّتي ومع هذا غلام صدق.

ثمّ قال: لعلّك عجبت من كلامي إيّاه بالحبشيّة، لا تعجب فما خفي عليك من أمر الإمام أعجب وأكثر، وما هذا من الإمام في علمه إلّا كطير أخذ بمنقاره من البحر قطرة من ماء، أفترى الذي أخذ بمنقاره نقص من البحر شيئاً؟

قال: فإنّ الإمام بمنزلة البحر لا ينفد ما عنده وعجائبه أكثر من ذلك، والطير

(١) المصدر، والمرجع.

حين أخذ من البحر قطرة بمنقاره لم ينقص من البحر شيئاً، كذلك العالم لا ينقصه علمه شيئاً ولا تنفد عجائبه[١].

فلا بدّ لنا أن نعرف الإمام عليه السلام حقّ المعرفة وتمامها، فبالمعرفة الكاملة يتقرّب الإنسان إلى قاب قوسين أو أدنى، وينال الدرجات العلى:

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ أُوتوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾[٢].

ولا يخفى أنّ فلسفة الحياة وسرّ الخليقة هو كمال الإنسان[٣]، وكماله إنّما هو بمعرفته، ومن تمام المعرفة أن يعرف إمام زمانه كما ورد في الخبر الشريف:

عن الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: خرج الحسين بن عليّ عليهما السلام على أصحابه فقال: أيّها الناس إنّ الله جلّ ذكره ما خلق العباد إلّا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه، فقال له رجل: يا بن رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كلّ زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته.

قال الله تعالى:

﴿ ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدونِ ﴾[٤].

قال الإمام الباقر عليه السلام: أي ليعرفون.

فلا عبادة إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعبادة، فهما متلازمان كتلازم الزوجيّة

(١) البحار ٢٦: ١٩١، عن قرب الإسناد: ١٤٤.

(٢) المجادلة: ١١.

(٣) ذكرت تفصيل ذلك في (سرّ الخليقة وفلسفة الحياة)، وهو مطبوع، فراجع.

(٤) الذاريات: ٥٦.

والأربعة. أو كوجهي العملة الواحدة.

ولا يخفى أنّ المعرفة الأرضيّة الفرشيّة تختلف عن المعرفة السماويّة العرشيّة، وبينهما بون واسع، ربما يمكن بيانه من خلال هذا الخبر الشريف الوارد في عدم جواز رؤية الله سبحانه بالبصر، لا في الدنيا ولا في الآخرة، خلافاً للمشبّهين الملحدين القائلين بجواز رؤيته في القيامة وأنّه يرى وجهه كفلقة قمر ليلة بدره، وكأصحاب التيمي والعدوي، كما يشير إلى ذلك المحقّق الفيض الكاشاني في كتابه القيّم (الحقائق)[١].

ثمّ ـ كما ذكرنا ـ رفع درجات الإنسان يوم القيامة إنّما هو بالمعرفة التامّة، فقد ورد في الخبر الشريف: «اقرأ وارقأ» أي اقرأ القرآن الكريم وارقأ الدرجات، والمراد من القراءة هنا ليس التلاوة، فإنّه ـ كما ورد في الخبر الشريف ـ «ربّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه»، وهذا يعني أنّ من يقرأ القرآن ولم يعمل بآياته، من يقرأ آية الخمس مثلاً ولم يخمّس أمواله، فإنّ القرآن يلعنه، فالرقيّ للقراءة التي تعني العمل بالآيات الكريمة، ولا عمل إلّا بالمعرفة، فالقراءة الموجبة لرفع المقام، تلك التي تكون مقارنة للمعرفة، ومن ثمّ العمل الصالح.

ولمّا كان أمر الأئمّة الأطهار عليهم السلام من الصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملكٌ مقرّب أو نبيٌّ مرسل أو مؤمنٌ امتحن الله قلبه بالإيمان.

وإنّما ينجح في الابتلاء ويفوز في الامتحان قليل من الناس:

﴿ وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكورُ ﴾[٢].

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين: ٥٤، عن علل الشرائع: ٩.

(٢) سبأ: ١٣.

قال الإمام الحسين عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا والدين لعقٌ على ألسنتهم، يحوطونه أينما درّت معائشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».

نستنتج من تلك المقدّمات أنّ من يعرف الإمام حقّ المعرفة إنّما هو قليل من أهل الدين، ويكون الرقيّ وشموخ المنزلة ورفعة المقام في الدنيا والآخرة، لمن كان تامّ المعرفة، كامل العلم، سليم القلب، منشرح الصدر، متخلّق بأخلاق الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وقصدنا من هذه الرسالة الموجزة دعوة الناس إلى معرفة الإمام الحسين عليه السلام في عرش الله، إحياءً لأمرهم عليهم السلام، عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام: رحم الله عبداً أحيا أمرنا، فقيل له: كيف يُحيا أمركم؟ قال: يتعلّم علومنا ويعلّمها الناس، فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا[1].

فما ذكرناه إنّما هو طرف من محاسن الكلام، عسى أن يصل إلينا منه بصيص من أنوار معرفتهم الكاملة، ومعارفهم الحقّة، وعلومهم الإلهيّة، والله المعين والمسدّد للصواب، والهادي إلى سواء السبيل.

ويقع الكلام في فصول وخاتمة.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢١٧.

الفصل الأوّل

العرش لغةً واصطلاحاً

من حسن الدخول في موضوع علميّ، أن نعرف أوّلاً المفردات والعناوين البارزة والأوّلية في ذلك الموضوع، وذلك من خلال المعاني اللغوية التي يتكفّل ببيانها وشرحها المعاجم والمقاييس اللغوية، التي ترجع إلى بيان وضع الواضع الأوّل، وما هو المعنى الحقيقي الموضوع له.

ثمّ تنقل تلك الألفاظ بتحمّل ومجاز إلى معاني جديدة، يصطلحها جماعة خاصّة أو قوم لأنفسهم.

وربما يكون ذلك من دون علاقة مع المعنى اللغوي الأوّل، ويسمّى بالنقل غير المألوف، وربما يكون مع ارتباط بالمعنى الأوّل بعلاقة العامّ والخاصّ، بمعنى أن يكون المعنى الأوّل عامّاً ينتقل إلى خاصّ كما هو الغالب أو بالعكس، ويسمّى بالنقل المألوف.

فلا بدّ أوّلاً أن نعرف كلمة (العرش) الوارد في الخبر الشريف، وذلك من خلال المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، باعتبار لغة القرآن الكريم والأحاديث الشريفة الواردة عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وعن أهل بيته الأئمة الهداة عليهم السلام، ثمّ ندخل في صلب الموضوع.

العرش لغةً :

من عَرَش يعرش، والعرش في الأصل شيء مسقف، وجمعه عروش. قال سبحانه :

﴿ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾.

ومنه قيل : عرشت الكَرْم وعرشته إذا جعلت له كهيئة سقف، وقد يقال لذلك المعرّش. قال :

﴿ مَعْروشاتٍ وَغيرِ مَعْروشات ﴾.

﴿ وَمِنَ الشَّجَرِ وَما يَعْرُشونَ ﴾.

﴿ وَما كانوا يَعْرُشونَ ﴾.

قال أبو عبيدة : يبنون. واعترش العنب ركّب عرشه، والعرش شبه هودج للمرأة شبيهاً في الهيئة بعرش الكرم، وعرشت البئر جعلت له عريشاً.

وسمّي مجلس السلطان عرشاً اعتباراً بعلوّه، قال :

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلىٰ العَرْشِ ﴾.

﴿ أَيُّكُمْ يَأتيني بِعَرْشِها ﴾.

﴿ نَكِّروا لَها عَرْشَها ﴾.

﴿ أَهٰكَذا عَرْشُكِ ﴾.

وكنّى به عن العزّ والسلطان والمملكة، قيل : فلان ثلّ عرشه، أي ذهب سلطانه، وعرش الله : ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالإسم، وليس كما تذهب إليه أوهام العامّة، فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً، والله يقول :

﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأرضَ أن تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾.

وقال قوم : هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب، واستدلّ بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «ما السماوات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسيّ إلّاكحلقة ملقاة في أرض فلاة، والكرسي عند العرش كذلك، وقوله :

﴿ وَكانَ عَرْشُهُ عَلىٰ الماءِ ﴾

تنبيه أنّ العرش لم يزل منذ أُوجد مستعلياً على الماء، وقوله :

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ ﴾.

﴿ رَفيعُ الدَّرَجاتِ ذو العَرْشِ ﴾.

وما يجري مجراه، قيل هو إشارة إلى مملكته وسلطانه لا إلى مقرّ له يتعالى عن ذلك[1].

قوله :

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلىٰ العَرْشِ ﴾.

العرش :سرير الملك، ومنه قوله :

﴿ أَهٰكَذا عَرْشُكِ ﴾.

قال المفسّر في قوله : ﴿ أَهٰكَذا ﴾ أربع كلمات حرف الاستفهام وحرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة، أي مثل هذا عرشك، ولم يقل أهذا عرشكِ لئلّا يكون تلقيناً، قالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ولم تقل هو هو ولا ليس به، وذلك من رجاحة عقلها إذ لم تقطع في موضع الاحتمال.

---

(١) مفردات الراغب : ٣٢٩.

قوله : ﴿ يَعْرُشونَ ﴾ أي يبنون.

قوله : ﴿ مَعْروشاتٍ وَغيرِ مَعْروشات ﴾ أي مرفوعات على تحمّلها، يقال : عرشت الكرم، إذا جعلت تحته قصباً وأشباهه لتميد عليه، وغير معروشات من سائر الشجر الذي لا يعرش.

والعريش : ما يستظلّ به، يبنى من سعف النخل مثل الكوخ، فيقيمون فيه مدّة إلى أن يصرم النخل، ومنه عريش كعريش موسى عليه السلام في حديث مسجد الرسول صلى الله عليه وآله حين ظلل.

والعريش : خيمة من خشب، والجمع عُرُش مثل قليب قُلُب. قال الجوهري : ومنه قيل لبيوت مكّة : العرش؛ لأنّها عيدان تنصب ويظلّل عليها، وفي الحديث : «كان يقطع التلبية إذا نظر إلى عُرُش مكّة» أي إلى بيوتها، وكان ذلك قبل معاوية[1].

عرش : العرش : سرير المِلك، يَدلّك على ذلك سرير ملكة سبأ، سمّاه الله عزّ وجلّ عرشاً.

والعرش : البيت وعرش البيت سقفه...

والعرش أيضاً الخشبة.

والعرش الملك، ثُلّ عرشه هدم ما هو عليه من قوام أمره وقيل : وَهَى أمره وذهب عزّه.

والعرش أربعة كواكب صغار ـ أسفل من العوّاء ـ يقال : إنّها عجز الأسد.

(١) مجمع البحرين ٤ : ١٤٢.

والعريش ما يستظلّ به.

وعرش البئر طيّها بالخشب.

وظهر القدم العرش...[1].

وقال الشيخ المفيد قدس سره : العرش في اللغة هو الملك، قال :

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم ... وأودت كما أودت أياد وحميرُ

يريد : إذا ما بنو مروان هلك ملكهم وبادوا.

وقال آخر :

أظننت عرشك لا يزول ولا يغيّر ؟ يعني : أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر ؟

وقال الله تعالى مخبراً عن ملكة سبأ :

﴿ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظيمٌ ﴾.

يريد : ولها ملك عظيم.

فعرش الله تعالى هو ملكه، وهو استيلاؤه على الملك، والعرب تصف الاستيلاء بالاستواء، قال :

قد استوى شرّ على العراق ... من غير سيفٍ ودمٍ مراق

يريد به : قد استولى على العراق.

انتهى كلامه.

أقول :

الظاهر أنّه وقع خلط بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فإنّ العرش لغةً ـ كما مرّ ـ ليس بمعنى الملك، بل بمعنى السرير الذي يجلس عليه المَلِك.

(١) لسان العرب ٩ : ١٣٣.

العرش اصطلاحاً :

نعم العرش اصطلاحاً : يطلق على الملك وما شابه ذلك من باب التجوّز والكناية لعلاقة المشارفة أو الملازمة، فإنّ الملك لمّا يجلس على كرسيّه الذي يسمّى بالعرش، كما هو المراد في قصّة بلقيس وسليمان وتفسّره الآيات في سورة النمل، فكان السلطان الملك يملك الرقاب والأملاك ويستولي عليها بحكومته ودولته، فكأنّما العرش ملازم أو مشرف على تصرّفه الملكي الرئاسي، فيطلق العرش اصطلاحاً على الملك والعزّة والسلطنة وما شابه ذلك تجوّزاً، فنقل من معنى عامّ إلى معنى خاصّ كما جاء في القرآن الكريم والروايات الشريفة ذلك، فتدبّر.

الفصل الثاني

العرش في القرآن الكريم

لقد وردت كلمة (العرش) ومشتقّاتها في القرآن الكريم في ٣٣ موضعاً، بعضها بالمعنى اللغوي، وبعضها بمعنى جديد، وهو عرش الله عزّ وجلّ.

فمن الأوّل :

قوله تعالى في قصّة بلقيس ملكة سبأ مع النبيّ سليمان في سورة النمل في قوله تعالى :

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقالَ ما لِيَ لا أَرىٰ الهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الغائِبينَ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَديداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأتيني بِسُلْطانٍ مُبينٍ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعيدٍ فَقالَ أَحَطْت بِما لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأ بِنَبَأ يَقينٍ إِنِّي وَجَدْتُ اَمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَاُوْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظيمٌ... قالَ يا أَيُّها المَلأ أَيُّكُمْ يَأتيني بِعَرْشِها قَبْلَ أَنْ يَأتوني مُسْلِمينَ قالَ عِفْريتٌ مِنَ الجِنِّ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقومَ مِنْ مَقامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمينٌ قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتابِ أنا آتيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِنْدَهُ قالَ هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي... قالَ نَكِّروا لَها عَرْشَها... أَهٰكَذا عَرْشُكِ قالَت كَأَنَّهُ هُوَ... ﴾[1].

---

(١) النمل : ٢٠ ـ ٤٢.

وقوله تعالى في قصّة فرعون:

﴿ وَدَمَّرْنا ما كانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَما كانوا يَعْرُشونَ ﴾[١].

وقوله تعالى في خطابه مع النحل:

﴿ أنِ ٱتَّخِذي مِنَ الجِبالِ بُيوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرُشونَ ﴾[٢].

وفي قصّة يوسف مع أبويه وإخوته بعد اللقاء في قوله تعالى:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً ﴾[٣].

وفي قصّة شعيب وسؤاله عن إحياء الأموات:

﴿ أَوْ كَالَّذي مَرَّ عَلىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[٤].

وفي وصف البساتين وما فيها في قوله تعالى:

﴿ وَهُوَ الَّذي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْروشاتٍ وَغَيْرَ مَعْروشاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ ﴾[٥].

وفي قصّة المحاورة بين المؤمن والكافر:

﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلىٰ ما أَنْفَقَ فيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[٦].

وفي قوله تعالى:

---

(١) الأعراف: ١٣٧.

(٢) النحل: ٦٨.

(٣) يوسف: ١٠٠.

(٤) البقرة: ٢٥٩.

(٥) الأنعام: ١٤١.

(٦) الكهف: ٤٢.

﴿ وَهِيَ ظالِمَةٌ فَهِيَ خاوِيَةٌ عَلىٰ عُروشِها ﴾[١].

ومن الثاني المصطلح في لغة القرآن الكريم، فإنّه سبحانه يذكر عرشه، تارةً باعتبار استوائه عليه، وأُخرى بوصفه أنّه صاحب العرش وربّه، وثالثةً باعتبار حمّالة العرش من الملائكة وغيرهم.

فمن الأوّل قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْشِ يُغْشي اللَّيْلَ النَّهارَ ﴾[٢].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ ﴾[٣].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾[٤].

﴿ الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ ﴾[٥].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبيراً ﴾[٦].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ ما لَكُمْ مِنْ دونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفيعٍ ﴾[٧].

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها ﴾[٨].

---

(١) الحجّ: ٤٥.

(٢) الأعراف: ٥٤.

(٣) يونس: ٣.

(٤) الرعد: ٢.

(٥) طه: ٥.

(٦) الفرقان: ٥٩.

(٧) السجدة: ٤.

(٨) الحديد: ٤.

ومن الثاني :

﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾[١].

﴿ إذاً لابْتَغَوْا إلىٰ ذي العَرْشِ سَبيلاً ﴾[٢].

﴿ فَسُبْحانَ اللهِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾[٣].

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾[٤].

﴿ فَتَعالى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إلـهَ إلّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾[٥].

﴿ اللهُ لا إلـهَ إلّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾[٦].

﴿ رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذو العَرْشِ ﴾[٧].

﴿ سُبْحانَ رَبِّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ رَبِّ العَرْشِ عَمَّا يَصِفونَ ﴾[٨].

﴿ إنَّهُ لَقَوْلُ رَسولٍ كَرِيمٍ ذي قُوَّةٍ عِنْدَ ذي العَرْشِ مَكِينٍ ﴾[٩].

﴿ وَهُوَ الغَفورُ الوَدودُ ذو العَرْشِ المَجِيدِ ﴾[١٠].

---

(١) التوبة : ١٢٩.

(٢) الإسراء : ٤٢.

(٣) الأنبياء : ٢٢.

(٤) المؤمنون : ٨٦.

(٥) المؤمنون : ١١٦.

(٦) النمل : ٢٣.

(٧) غافر : ١٥.

(٨) الزخرف : ٨٢.

(٩) التكوير : ٢٠.

(١٠) البروج : ١٥.

ومن الثالث :

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ ﴾[١].

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[٢].

﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾[٣].

هذا إجمال ما أردنا بيانه من جملة الآيات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم بلفظ العرش ومشتقّاته، لغةً واصطلاحاً، وأمّا التفصيل فيتبيّن من المباحث الآتية.

---

(١) الزمر : ٧٥.

(٢) غافر : ٧.

(٣) الحاقّة : ١٧.

الفصل الثالث

العرش العلمي

قال الله تعالى في كتابه العظيم :

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ يُحْيي وَيُميتُ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالباطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَليمٌ هُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ ما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ وَإِلى اللهِ تُرْجَعُ الأُمورُ يولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وَيولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وَهُوَ عَليمٌ بِذاتِ الصُّدورِ آمِنوا بِاللهِ وَرَسولِهِ وَأَنْفِقوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفينَ فيهِ فَالَّذينَ آمَنوا مِنْكمْ وَأَنْفَقوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبيرٌ ﴾[1].

سورة الحديد هي سورة الإيمان ونوره في القلوب، والإنفاق والقرض الحسن في سبيل الله، والزهد في الدنيا، والعدالة الاجتماعية وحكومة التقوى في الحياة.

وفي صدرها يبيّن الله سبحانه ـ لأُولئك القوم الذين يتعمّقون كما ورد في الخبر

---

(١) الحديد : ١ ـ ٧.

الشريف ـ بعض أسمائه الحسنى فهو العزيز الحكيم المالك المحيي والمميت والقادر والأوّل والآخر والظاهر والباطن والعليم والخالق والمحيط والبصير.

وبمثل هذه الصفات الأزليّة الأبديّة والسرمديّة، استوى واستولى على عرش العلم كلّه، فهو سبحانه يعلم ما في الأرض وما في السماء، وهو معنا، فإنّا في محضر الله سبحانه، وهو السميع البصير بكلّ ما يفعله الإنسان، وهو العليم بذات الصدور من النوايا والخفايا، فله ملك السماوات والأرض، فهو المالك على الإطلاق، وإليه ترجع الأُمور كلّها، وأزمّتها طرّاً بيده.

فعرش الله علمه الذي يسع كلّ شيء.

يقول شيخنا الصدوق قدس سره في الاعتقادات: اعتقادنا في الكرسي أنّه وعاء جميع الخلق من العرش والسماوات والأرض وكلّ شيء خلق الله تعالى في الكرسي، وفي وجه آخر الكرسي هو العلم.

وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتُ وَالأَرْضُ ﴾، قال: علمه.

وقال قدس سره: وأمّا العرش الذي هو العلم فحملته أربعة من الأوّلين، وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين: فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ـ وهم أنبياء أُولي العزم أصحاب الرسالات العالمية في زمانهم ـ وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد ـ من أنبياء أُولي العزم ورسالته خالدة إلى يوم القيامة وناسخة الأديان السابقة ـ وعلي والحسن والحسين عليهم السلام. هكذا روى بالأسانيد الصحيحة عن الأئمة عليهم السلام في العرش وحملته.

وإنّما صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم، لأنّ الأنبياء الذين كانوا قبل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله على شرائع الأربعة من الأوّلين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام،

ومن قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم بعد محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من الأئمة عليهم السلام. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: وهذا يعني أنّ الأئمة الأطهار عليهم السلام هم يحملون علم الله وعرشه العلمي المحيط بالمخلوقات، وأنّ حامل العرش وعلم الله، في عصرنا هذا، إنّما هو قطب عالم الإمكان وناموس الدهر، بقيّة الله الأعظم في الأرض، إمامنا المنتظر الحجّة الثاني عشر، صاحب الزمان وقاطع البرهان وترجمان القرآن، حافظ الشريعة ومحيي السنّة، القائم من آل محمّد عليهم السلام، عجّل الله فرجه الشريف، وجعلنا من خيرة أنصاره وأعوانه وشيعته والمستشهدين بين يديه على محبّته وولايته ودينه.

عن الكافي بسنده عن صفوان بن يحيى قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أُدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فاستأذنته فأذن لي فدخل، فسأله عن الحلال والحرام ثمّ قال له: أفتقرّ الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كلّ محمول مفعول به، مضاف إلى غيره، محتاج، والمحمول اسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل وهو في اللفظ مدحة، وكذلك قول القائل: فوق وتحت وأعلى وأسفل، وقد قال الله: ﴿ وَلَهُ الأَسْماءُ الحُسْنىٰ فَادْعوهُ بِها ﴾، ولم يقل في كتبه أنّه المحمول، بل قال: إنّه الحامل في البرّ والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوى الله ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه: «يا محمول». قال أبو قرّة: فإنّه قال: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾، وقال: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ ﴾؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: العرش ليس هو الله، والعرش اسم علم وقدرة وعرش فيه كلّ شيء، ثمّ أضاف الحمل إلى غير خلق من خلقه، لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً يسبّحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه، وملائكة

يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حول بيته، والله على العرش استوى، كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش، والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس، وفوق كلّ شيء وعلى كلّ شيء، ولا يقال: محمول، ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل شيء فيفسد اللفظ والمعنى، قال أبو قرّة: فتكذّب بالرواية التي جاءت: أنّ الله تعالى إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرّون سجّداً، فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه، فمتى رضى وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه؟ كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال... إنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه وتعالى! لم يزل مع الزائلين، ولم يتغيّر مع المتغيّرين، ولم يتبدّل مع المتبدّلين، ومن دونه في يده وتدبيره، وكلّهم إليه محتاج، وهو غنيّ عمّن سواه[1].

وللعلّامة المجلسي بيان لطيف في معنى الرواية الشريفة فراجع.

ثمّ جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي في قوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ حملة العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين، ومعنى ﴿ يَحْمِلونَ العَرْشَ ﴾ يعني العلم[2].

(١) البحار ٥٥: ١٥، عن الكافي ١: ١٣٠.

(٢) المصدر ٥٥: ٢٧، عن التفسير: ٦٩٤.

وفي التوحيد والمعاني بسنده عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأَرْض ﴾، قال: علمه[1].

وبسنده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأَرْض ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي، والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره[2].

وعن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ قال: يعني محمّداً وعليّاً والحسن والحسين ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام.

فكتب على العرش العلمي بلون المعرفة: (الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وهذا من العلم الذي لا يقدر أحد قدره، وإنّما حمله أربعة من الملائكة المقرّبين، جبرئيل وميكائيل وإسرائيل وعزرائيل، وأربعة من الأنبياء والمرسلين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وأربعة من الآخرين محمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، فهؤلاء الصفوة من الخلق تتجلّى في خلقهم وتدبيرهم لما سوى الله سبحانه بإذنه وعلمه العلم الإلهي، المتجلّي بالمصباح الحسيني والمتبلور بالسفينة الحسينيّة، فقد كتب على العرش: الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة.

(١) المصدر: ٢٨، عن التوحيد: ٢٣٩.

(٢) المصدر نفسه.

العرش الرحماني

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ ﴾[1].

﴿ الَّذي خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ وَما بَيْنَهُما في سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبيراً ﴾[2].

الرحمن من أسماء الله الحسنى، وكذلك الرحيم، والفرق بينهما كما يظهر من الروايات الشريفة أنّ الرحمان اسم عامّ، فإنّ الله برحمته الرحمانيّة يخلق المؤمن والكافر ويرزقهما في الدنيا، فرحمته هذه رحمة واسعة تشمل المؤمن وغيره في هذه الدنيا، ولله رحمة خاصّة بالمؤمنين وإنّها قريبة بالمحسنين في دنياهم وآخرتهم، فهي من اللطف الخاصّ والتي تسمّى بالرحمة الرحيميّة.

والعرش الرحماني يعني علم الله الذي يُنبئ عن رحمته الرحمانيّة، وفي باطنها الرحمة الرحيمية.

فاستوى على العرش، بمعنى أنّ ما يصدر منه جلّ جلاله عن حكمة وعلم وقدرة بلا نهاية، فهو العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء، فبعلمه وقدرته استولى وهيمن على ما سواه من مصنوعاته ومخلوقاته المجرّدة والمادّية، العلويّة والسفليّة، فله ما في السماوات والأرض ويدبّر بعلمه وقدرته ورحمته شؤون خلقه وكائناته،

(١) طه: ٥.

(٢) الفرقان: ٥٩.

وهو الرحمن الرحيم.

وعلى مثل هذا العرش الرحماني كتب بقلم إلهي وإرادة ربّانية «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، وهذا يعني أنّ الحقيقة الحسينية سارية في عروق الحياة الكوني، ومن يركب سفينته الرحمانيّة، فإنّه يعيش الرحمة الإلهيّة، ويتّصل بالعالم الإمكاني بروح حسينيّة، فيزداد علماً عرشيّاً، ولا يرى إلّا جميلاً، حتّى مصارع الشهداء الأطهار تكون بنظرة زينبيّة، وبحدقة حسينيّة، وبفيض قدسيّ إلهي من على العرش الرحماني جميلاً، كما قالت زينب الكبرى عليها السلام حينما سألها ابن زياد اللعين: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك الحسين؟ قالت: ما رأيت إلّا جميلاً.

وتتجلّى الرحمة الرحمانيّة في خاصّة أولياء الله سبحانه، ومن رحمانيّة الإمام الحسين عليه السلام غفران ذنب حرّ بن يزيد الرياحي الذي أتى بذنبٍ عظيم، فإنّه جعجع بركب الإمام وكان من الأسباب في قصّة كربلاء الحزينة.

فكلّ الكون بنظر هؤلاء الأولياء العرفاء جميل في غاية الجمال، وإنّه مظهر جمال الله وجلاله وكماله، فإنّ الله جميل ويحبّ الجمال، ولا يفعل إلّا الجميل، فهو الجمال المطلق ومطلق الجمال.

العرش التدبيري

قال الله تعالى في كتابه العزيز :

﴿ اللهُ الَّذي رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجْري لأجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأمْرَ يُفَصِّلُ الآياتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقاءِ رَبِّكُمْ توقِنونَ ﴾[1].

هذه الآية الكريمة وما بعدها تدلّ على معرفة هذا العرش الذي سمّيناه بالعرش التدبيري وبالعرش الحكومي أيضاً، في كلّ ذلك آيات لقوم يتفكّرون ويتعقّلون، ونتيجة العقل والتفكّر إنّما هو زيادة اليقين وكمال الإيقان، ولعلّكم بلقاء ربّكم المسخّر والمدبّر والحاكم على الكون توقنون وتعتقدون، فسبحانه وتعالى استولى واستوى على العرش، ليدبّر الأمر في خلقه وعباده، ويفصّل لهم الآيات الربّانيّة، لزيادة يقينهم، وإنّهم سيلاقون ربّهم، فإنّ الإنسان كادحٌ إلى ربّه كدحاً فملاقيه، ومن يرجو لقاء ربّه فإنّه يعمل الصالحات وهو مؤمن، وهذا هو المقصود من اليقين التامّ والإيمان الكامل بالله سبحانه وبلقائه، ويكون في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر، فلا بدّ من العمل الصالح المقرون بالإيمان، كما في آيات القرآن في كثير من المواضع، فقد قارن الله سبحانه الإيمان بالعمل الصالح في قوله تعالى :

﴿ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ ﴾.

فالله سبحانه هو المدبّر، وفي زمن الإمام السجّاد عليه السلام شوهد قد كتب على ستار الكعبة :

(١) الرعد : ٢.

لا تـــــدبّر لك أمـــــراً فـــأُولي التـــدبير هـــلكىٰ
وكّـــــل الأمـــــر إلى مـــــن هـــــو أولى مـــــنك أمـــــرا

والله سبحانه يهدي عباده أن يتوكّلوا عليه :

﴿ وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنونَ ﴾[1].

ومن توكّل على الله فهو حسبه ويكفيه، فإنّه خير وكيل، جامع لكلّ صفات الكمال والجمال، فإنّه الحيّ السرمدي العالم بكلّ شيء والقادر عليه، فيفعل الله ما يشاء بقدرته، ويحكم ما يريد بعزّته.

فهو المدبّر لما سواه مباشرة أو بوسائط، فأزمّة الأُمور طرّاً بيده، وليس في الديار ديّاناً إلّا هو، هو الأوّل هو الآخر، هو الظاهر هو الباطن، فبالعلم المطلق والرحمة الرحمانيّة استوى على العرش التدبيري، ليدبّر أمر خلقه ونظمه بحكمةٍ بالغة ونظام ودقيق، وعلى مثل هذا العرش الإلهي كتب بلون أخضر لون المعرفة : (الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة) ليسري النور الحسيني من مصباح هدايته في كلّ المخلوقات، فتبكيه الأرضين والسماوات وما فيهنّ، كما ورد في الأخبار الشريفة.

(١) التغابن : ١٣.

العرش الخَلقي

قال الله سبحانه في كتابه المجيد:

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذينَ تابوا وَاتَّبَعوا سَبيلَكَ وَقِهِمْ عَذابَ الجَحيمِ ﴾[1].

﴿ وَالمَلَكُ عَلىٰ أَرْجائِها وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾[2].

﴿ وَسيقَ الَّذينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلى الجَنَّةِ زُمَراً حَتَّىٰ إِذا جاؤوها وَفُتِّحَتْ أَبْوابُها وَقالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدينَ * وَقالوا الحَمْدُ للهِ الَّذي صَدَقَنا وَعدَهُ وَأَوْرَثَنا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ العامِلينَ * وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَقيلَ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ ﴾[3].

لقد تعلّق علم الله بجميع خلقه قبل إيجادهم، وكلّ شيء كان عنده محضراً، فوسعت رحمته وعلمه كلّ شيء، وقد حكّم الله سبحانه قانون العلل والمعاليل في كونه ونظامه، فأبى أن يجري الأُمور إلّا بأسبابها، وجعل لكلّ شيء سبباً، ومن خلقه الملائكة، فعلّمهم كما علّم آدم الأسماء بما لم يعلّمهم، فحملوا علم الله سبحانه

(١) غافر: ٧.

(٢) الحاقّة: ١٧.

(٣) الزمر: ٧٣ ـ ٧٥.

المتعلّق بخلقه وشؤونهم، وهذا العلم الخاصّ نسمّيه بالعرش الخلقي الذي تحمله الملائكة المقرّبون وعباد الله الصالحون، وهم ثمانية كما ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة أربعة منهم من الملائكة وأربعة منهم من الأنبياء والأوصياء، فهؤلاء حملوا علم الله المتعلّق بخلقه، فهم أُولى الوسائط في العوالم العلويّة والسفليّة بين الخالق والمخلوق، ولا يريدون إلّا ما أراد الله، ولا يكرهون إلّا ما كره الله، فإنّ الإرادة الإلهيّة تتجلّى فيهم، حتّى كان رضاهم رضاه ورضاه رضاهم، وكذلك سخطه سخطهم وسخطهم سخطه، فصاروا صنائع الله سبحانه، والخلق صنايعهم في التربية والتعليم والواسطة في الفيوضات، وانتقال الفيوضات الإلهيّة والعنايات الربّانيّة، فهم وجه الله الذي يتوجّه إليه الأولياء، وهم باب الله الذي منه يؤتى، فمن أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله سبحانه، فلا فرق بينهم وبينه، إلّا أنّهم عباد الله المكرمون، فتقهم ورتقهم بيده جلّ جلاله.

وعلى مثل هذا العرش الخلقي كتب بلون المعرفة الأخضر: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

فحسن الحسين وقديم إحسانه سارٍ في خلق الله، كسريان الروح في جسد الإنسان.

العرش المُلكي

قال الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿ لَقَدْ جاءَكُمْ رَسولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَريصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنينَ رَؤوفٌ رَحيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إِلـهَ إِلّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾[1].

﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّماواتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ * سَيَقولونَ اللهُ قُلْ أَفَلا تَتَّقونَ ﴾[2].

يظهر من هذه الآيات الكريمة أنّ عرش الله يأتي أيضاً بمعنى ملك الله وملكوته ـ والملك ظواهر الأشياء والملكوت بواطنها وحقائقها ـ، فإنّ الله صاحب العرش العظيم أي الملك العظيم، كما ورد ذلك في خبر حنان بن سدير.

فعن توحيد الصدوق بسنده المعتبر عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وصنع في القرآن صفة على حدة، فقوله: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك الكيفوفية في الأشياء. ثمّ العرش في الوصل مفرد ـ نسخة بدل منفرد ـ من الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب

(١) التوبة: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) المؤمنون: ٨٦ ـ ٨٧.

مقرونان، لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها ـ منه ـ الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والترك وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن قال: ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان. قلت: جعلت فداك، فلِمَ صار في الفضل جار الكرسي؟ قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيّتها وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف، وبمثل صرّف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز.

فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى (ربّ العرش ـ ربّ الوحدانيّة ـ عمّا يصفون) وقوم وصفوه بيدين ـ عاجزة ـ فقالوا: ﴿ يَدُ اللهِ مَغْلولَة ﴾ وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا: وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء، ووصفوه بالأنامل.

زبدة المخاض

إنّ الذي نعتقده ونقطع به أنّ العرش الإلهي ليس جسماً، وأنّه كهيئة السرير، كما عند المجسّمة ـ خذلهم الله ـ، وأنّ الله سبحانه يجلس عليه كما يجلس الملك على سرير وعرش ملكه، ويكون لعرشه حين جلوسه صوت وأطيط كأطيط الرحل، وأنّه ينزل منه إلى السماء الأُولى أو إلى الأرض، كما تعتقد به الوهابيّة في عصرنا، تبعاً لابن تيميّة حينما سئل عن عرش الله ونزوله منه، وكان جالساً على المنبر، فقال: إنّه ينزل من عرشه كما أنزل من منبري هذا[1]، ثمّ نزل من منبره!! فهذا منافٍ للعقل السليم والنقل الصحيح، فإنّه يلزم على الله عزّ وجلّ أن يكون جسماً وفي جهة خاصّة، ومن ثمّ يلزمه الاحتياج والافتقار وهما من آيات وخواصّ الإمكان الذاتي، وأنّ الله جلّ جلاله واجب الوجود لذاته، مستجمع لجميع صفات الجمال والكمال وهو الغنيّ بالذات، سبحان الله عمّا يصفون هؤلاء الجهّال، فكيف يكون جسماً؟ والجسم محتاج في وجوده وتركيبه إلى الغير وإلى الأجزاء، والله الغنيّ اللطيف.

في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق قدس سره بسنده عن سلمان الفارسي قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين علي عليه السلام: أخبرني عن ربّك أيحمل أو يُحمل؟ فقال: إنّ ربّنا جلّ جلاله يحمل ولا يُحمل، قال النصراني: كيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل (ويحمل

(١) جاء ذلك في رحلة ابن بطوطة لمّا وصل إلى دمشق ودخل جامعه، والتقى بابن تيميّة، فراجع.

عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية)؟ فقال عليّ عليه السلام: إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر، ربّك عزّ وجلّ مالكه لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه، قال النصراني: صدقت رحمك الله[1].

قيل: إنّ نظام العلّية هو الشكل العامّ لهذا العالم، وجميع حوادث وظواهر العالم خاضعة لهذا القانون المطّرد، أي إنّ كلّ معلول له علّة، حتّى تنتهي العلل والمعاليل إلى علّة العلل وهو الله سبحانه وتعالى، فهو مفيض الحياة وواهب القدرة وصانع القانون، ولا يخفى وجود الاختلاف بين هذه العلل والمعاليل، ولكن على اختلاف مراحل عالم الكون تنتهي جميع مراحله إلى مرحلة فيها تنتهي أزمّة الحوادث الملقاة على كواهل الأسباب، وأزمّة الأسباب على اختلاف أشخاصها وأنواعها وترتّب مراتبها هو المسمّى عرشاً.

فالعرش مقام تنتهي فيه التدابير العامّة، وتصدر منه الأوامر الكونيّة:

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ فَعَّالٌ لِما يُريدُ ﴾[2].

منه صور جميع الوقائع وهي حاضرة عند الله معلومة له، وبذلك يمكن القول إنّ العرش: مقام العلم التامّ بتدبير العالم الذي يسع كلّ شيء، وكلّ شيء في جوفه.

ومن هذه التدابير خلق السماوات والأرض، أي بداية خلق الكون، وبما أنّ الماء كان العلّة التي انطلقت منها الحياة فتعود جميع الأسباب والعلل إلى هذه العلّة الأُولى، والتي هي بدورها معلولة ومخلوقة لله عزّ وجلّ لذلك كان عرشه على الماء،

(١) البحار ٥٥: ٩، عن التوحيد: ٢٣٢.

(٢) البروج: ١٦.

كما في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ وَالأرضَ في سِتَّةِ أيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلى الماءِ ﴾[١].

أي أنّه في علم الله التامّ إنّ الماء بداية سلسلة الأسباب والحياة :

﴿ وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ أفَلا يُؤْمِنون ﴾[٢].

فكون العرش على الماء يومئذٍ كناية عن أنّ ملكه تعالى مستقرّاً يومئذٍ على هذا الماء الذي هو مادّة الحياة.

وأمّا حملة العرش فإنّه يظهر من الآيات أنّهم من الملائكة ﴿ وَمَنْ حَوْلَهُ ﴾ وهم الملائكة الذين حول العرش :

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ ﴾[٣].

فيكون حملة العرش أيضاً من الملائكة كما في الروايات الشريفة، فتصدر الأوامر والأحكام من ذلك المقام المقدّس إلى هؤلاء الملائكة المقرّبين، والله العالم.

وأمّا الكرسي فهو كناية عن الملك والاحتواء والسيطرة، وما قيل عن البعض إنّ لله عزّ وجلّ كرسي يجلس عليه كلام غير صحيح فلا ينسجم مع الأدلّة العقليّة وظواهر القرآن ونصوص الأخبار، وحقيقة الكرسي أنّه مرتبة من العلم الفعلي وتسع هذه المرتبة كلّ ما في السماوات والأرض :

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماوات وَالأرْضَ ﴾[٤].

---

(١) هود : ٢.

(٢) الأنبياء : ٣٠.

(٣) الزمر : ٧٥.

(٤) البقرة : ٢٥٥.

أي وسع علمه جميع ملكه :

﴿ ثُمَّ اسْتَوىٰ عَلى العَرْشِ ﴾[١].

احتواء الملك والسيطرة عليه.

وبهذا يكون العرش والكرسي أمراً واحداً، وهو مرتبة عظيمة من العلم الإلهي، والكرسي يسع العرش كما يظهر من قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ﴾[٢] وقد يطلق الكرسي على العرش، ويراد منه معنىً واحداً، فيمكن أن يقال :

١ ـ إنّ العرش هو المقام الذي يظهر به جميع الأشياء، ويتمركز فيه إجمال جميع التدابير التفصيلية لهذا العالم، وهو مقام الملك الذي يصدر منه التدابير، ومقام العلم الذي يظهر به الأشياء.

٢ ـ وإنّ الكرسي محيط بكلّ شيء وهو المقام الذي يظهر به تفصيلات الأشياء مع تغيّراتها، والبداء الحاصل إنّما فيه لا في العرش. وهذه التفصيلات والتغيّرات حسب نظام العلّية وترتّب المعلولات على عللها، فهو الكرسي أيضاً مقام الإحاطة والتدبير والحفظ، وإنّه مقام العلم الحضوري.

٣ ـ العرش والكرسي بابان في العلم الغيبي، إلّا أنّ ملك العرش أغيب من علم الكرسي، لذلك كانت صفته أعظم من صفة الكرسي، وهما في ذلك مقرونان.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام : «إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كلّ سبب وضع في القرآن وصفه على حدة، فقوله تعالى : ﴿ رَبّ العَرْشِ العَظيمِ ﴾ يقول : الملك العظيم، وقوله : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوىٰ ﴾ يقول : على الملك

---

(١) الأعراف : ٥٤ + يونس : ٣ + الرعد : ٢ + الفرقان : ٥٩.

(٢) البقرة : ٢٥٥.

استوى. وهذا ملك الكيفوفيّة في الأشياء، ثمّ العرش في الوصل متفرّد من الكرسي، لأنّهما بابان من أكبر أبواب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه يطلع البدع، ومنه الأشياء كلّها.

والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي، فمن ذلك قال: ﴿ رَبّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان.

قلت: جعلت فداك، فلم صار في الفضل جار الكرسي؟ قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفيّة فيه، وفيه الظاهر من أبواب البداء وأينيّتها، وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الصرف، ومثل صرف العلماء ويستدلّوا على صدق دعواهما، لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز»[1].

الكيفوفيّة: بمعنى الكيفيّة من الكيف، وهو سؤال عن حال الشيء فملك الكيفوفيّة ملك الأحوال الواقعة في الأشياء والأُمور الحاصلة فيها بعد إيجادها، أي ما يعرض عليها من صفات ومتغيّرات.

فالعرش والكرسي واحد من حيث إنّهما مقام الغيب الذي يظهر منه الأشياء وينزل منه إلى هذا العالم، لكن العرش في الكلام متميّز عن الكرسي، لأنّ هذا المقام في نفسه ينقسم إلى مقامين لكنّهما مقرونان غير متباينين: أحدهما الباب الظاهر

(١) التوحيد للشيخ الصدوق، باب العرش وصفاته.

الذي يلي هذا العالم وهو الكرسي، والآخر الباب الباطن الذي يليه وهو العرش. فهما يختلفان بنوع من الإجمال والتفصيل والبطون والظهور. وأحرى بالمقامين أن يسمّيا عرشاً وكرسيّاً، لأنّ فيهما خواصّ عرش الملك وكرسيّه.

ثمّ يطلق العرش على كلّ صفة من صفات الله العليا وأسمائه الحسنى من الجلال والجمال والكمال، إذ كلّ منها مستقرّ لعظمته وكبريائه، وبتلك الأسماء والصفات يظهر على قدر قابليات خلقه، ومعرفة عباده، حتّى يكون الخلق مظهراً لها، ويكون الإنسان الكامل وهو النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله مظهراً لتمام أسمائه وصفاته إلّا الألوهيّة سبحانه وتعالى.

فحينئذٍ لله سبحانه عرش العلم، وعرش القدرة وعرش الحياة، وهذه من صفات الذات وأنّها عين الذات[1]، كما له عرش صفات الأفعال، فله عرش الرحمانيّة وعرش الرحيميّة وعرش الوحدانيّة وعرش التقدّس والتنزّه، كما يظهر من الأخبار والآيات ذلك.

وقال العلّامة المجلسي قدس سره: وقد أوّل الوالد رحمه الله الخبر الذي ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ ﴾ أنّ المعنى: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، أنّ المراد بالعرش هنا عرش الرحمانيّة، والظرف حال، أي الربّ سبحانه حال كونه على عرش الرحمانية استوى من كلّ شيء، إذ بالنظر إلى الرحيمية التي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصّة بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنّه تعالى بسبب صفة الرحمانية حال كونه على عرش الملك والعظمة والجلال

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (عقائد المؤمنين) و (دروس اليقين في معرفة أُصول الدين)، وهما مطبوعان، فراجع.

استوى نسبته إلى كلّ شيء، وحينئذٍ فائدة التقييد بالحال نفي توهّم أنّ هذا الاستواء ممّا ينقص من عظمته وجلاله شيئاً، انتهى[1].

فعرش الله جلّ وعظم شأنه في عالم الأسماء الحسنى والصفات العليا، إنّما يطلق على أسمائه وصفاته، وقد كتب على عرش الله «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة» وهذا يعني أنّ الحسين عليه السلام هو مظهر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، وتتجلّى هذه المظهريّة وتبرز إلى عالم الوجود، وفي دنيا الموجودات بكونه عليه السلام مصباح الهداية التكوينيّة والتشريعيّة، لمن كتب عليه الهداية من المؤمنين والمتّقين باختيارهم نجد الخير، وأنّه سفينة النجاة لمن غرق في بحر الذنوب والمعاصي والآثام، فتاب إلى الله وأراد النجاة.

ثمّ يطلق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وورثتهم من العلماء الصالحين وكمّل المؤمنين، فإنّ الله يناجيهم في سرّهم، وجعل قلوبهم مستقرّ محبّته وشوقه، وصدورهم معدن معرفته وعلمه.

وقد ورد في الخبر الشريف: «قلب المؤمن عرش الرحمن».

وروي أيضاً في الحديث القدسي: «لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن».

وعلى مثل هذه القلوب الطاهرة والقدسيّة الموالية، خُطّ وكتب: «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، فقلب المؤمن حسيني العرش، وإنّه عرش الله، وفي مثل هذا القلب المبارك: «إنّ لقتل الحسين عليه السلام في قلوب المؤمنين لحرارة لا تُطفأ ولا تبرد أبداً إلى يوم القيامة».

(١) البحار ٥٥: ٣٨.

الفصل الرابع

سعة العرش الإلهي

لا يمكن للبشر أن يقف على سعة عرش الله سبحانه، فإنّ العرش محيط بنا، وكيف للمحاط أن يدرك المحيط، ولكن أهل البيت عليهم السلام الذين هم أدرى بما في البيت الكوني الواسع الرحيب، فإنّ خلقة النبيّ وأهل بيته الأطهار في عالم الأنوار كان قبل خلق الخلق، فهم العقل الأوّل والمخلوق الأوّل الصادر من الله سبحانه وتعالى[1].

فهؤلاء الأئمة المعصومون عليهم السلام أخبرونا عن سعة العرش بالمثال، بما يطابق مقتضى الحال، وبمقدار ما كان يمكن لأُولئك الرجال الذين من حولهم أن يدركوه في تلك الأحوال، من باب (كلّم الناس على قدر عقولهم) فحاول النبيّ والأئمة الأطهار عليهم السلام أن يرفعوا بعض الستار عن تلك الحقائق النوريّة، ذلك من خلال التشبيه والمثال، وإليكم النماذج التالية:

(١) لقد تعرّضت لهذا الموضوع بالتفصيل في (علي المرتضى عليه السلام نقطة باء البسملة) و (جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام) و (فاطمة الزهراء عليها السلام ليلة القدر) و (أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة)، وكلّها مطبوعة، فراجع.

١ ـ البحار عن الخصال والمعاني والعياشي والدرّ المنثور بسندهم في حديث أبي ذرّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال :

يا أبا ذرّ، ما السماوات السبع في الكرسي إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة[١].

٢ ـ عن ابن حميد، قال : ذاكرت أبا عبد الله عليه السلام فيما يروون من الرؤية ـ أي رؤية الله بالبصر والعياذ بالله كما عند أصحاب العدوي والتيمي ـ فقال :

الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور السرّ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب[٢].

وفي إحدى زياراتي لبيت الله الحرام كنت أنظر إلى الكعبة الشريفة، وأُفكّر بطواف الناس حول البيت الشريف، ثمّ طواف الملائكة حول البيت المعمور في السماء الرابعة، وطواف الملائكة المقرّبين حول العرش الإلهي في السماء السابعة، وأنّ الملائكة من الأجسام اللطيفة، فيطوفون حول البيت المعمور المتلائم مع حالهم وخلقهم وكذلك المقرّبون، فخطر على بالي :

(١) البحار ٥٥ : ٥.

(٢) البحار ٤ : ٤٤.

أنّ الكعبة بحجمها المحسوس، والمربّع الذي تربّع لمساواته لكلمات التسبيح الأربعة، أي (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر)، وإنّ المعرفة الإلهيّة تتلخّص في هذه الكلمات، وأنّ الخلق كلّه يسبح حولها ويسبّح الله سبحانه، فما من شيء إلّا ويسبّح بحمده (والتسبيح من السبح والسباحة، وهي تعني الحركة بكلّ الإعضاء إلى الأمام والإمام).

فالكعبة المربّعة والمكعّبة تعدّ بمنزلة النقطة في الحركة الدائريّة، فهي المركز والمنطلق، وكلّ من دخل في مدارها كان منها وإليها، ومن خرج فقد شذّ وهلك.

ثمّ لو عرفنا ـ كما في علم الجغرافيا ـ مساحة الكرة الأرضيّة، ونسبة الكعبة إليها، ثمّ بهذه النسبة لو كبّرنا الدائرة إلى أربع مرّات بعدد المساحة للكرّة الأرضيّة، وقسنا بين الكعبة والبيت المعمور لعرفنا مساحة البيت المعمور، وهكذا مساحة العرش الإلهي يوم القيامة، الذي يجتمع في ظلّه المؤمنون من أوّل الخلق إلى آخره، كما ورد في الروايات الشريفة الكثيرة.

وإنّما يكون هذا الحساب لو أمكن بالحساب الضوئي والنوري وبالحاسبة الآلية، كما هو معروف عند أهله.

ثمّ المراد من الحجّ والعمرة والطواف ليس زيارة الأحجار وحسب، إنّما المراد أن يعلم الزائر ولاءه لأصحاب الولاية الحقّة، وهو الرسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام، وأنّ الولاية هي مركز الحركة والطواف نحو الله سبحانه، وهي نقطة الانطلاق، كما هي نقطة الانتهاء، وهي نقطة باء البسملة المتمثّلة حقيقةً بالمعرفة العلويّة، بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام، المتمثّل برسول الله صلى الله عليه وآله.

فالكلّ في بواطنهم وحقائقهم يطوفون حول بيت الولاية آل محمّد عليهم السلام،

وإن خالف جمع في ظواهرهم كما في قوله تعالى :

﴿ ما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنْسَ إلّا لِيَعْبُدون ﴾.

فتدبّر.

وما ذكرته كنظريّة قابلة للأخذ والعطاء والمناقشة العلميّة الموضوعيّة، ومن الله التوفيق والسداد والصواب.

الفصل الخامس

الألوان في العرش

كلّنا نعرف اللون الحسّي، فهو بديهي التصوّر، فإنّه بالقوّة الباصرة وحاسّتها وبالضوء والنور، نرى الألوان الزاهية التي تعدّ بالآلاف لتفاوتها، في مراتبها الطولية والعرضية، وامتزاجها وتركّبها الخارجي بعضها مع بعض.

إلّا أنّ أُمّهات الألوان سبعة كما هو المعروف، أو أربعة كما ورد في روايات العرش، وهي عبارة عن الأبيض والأصفر والأخضر والأحمر.

والأجسام المركّبة من العناصر الأربعة ـ الماء والتراب والهواء والنار ـ يتولّد منها ما لا يعدّ ولا يحصى، كذلك الألوان.

وأمّا الألوان في العرش فقد جاء في حديث الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن تفسير القمّي بسنده قال عليه السلام :

جاء رجل إلى أبي علي بن الحسين عليهما السلام فقال له : إنّ ابن عباس يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن في أيّ يوم نزلت وفيمن نزلت ! فقال أبي عليه السلام : سله فيمن نزلت :

﴿ وَمَنْ كانَ في هٰذِهِ أعْمىٰ فَهُوَ في الآخِرَةِ أعْمىٰ وَأضَلُّ سَبيلاً ﴾ ؟

وفيمن نزلت :

﴿ وَلا يَـنْفَعَكُمْ نُـصْحي إنْ أرَدْتُ أنْ أنْـصَحَ لَكُـمْ إنْ كـانَ اللهُ يُـريدُ أنْ يَغْويكُمْ ﴾ ؟

وفيمن نزلت :

﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا اَصْبِروا وَصابِروا وَرابِطوا ﴾ ؟

فأتاه الرجل فسأله فقال : وددت أنّ الذي أمرك بهذا واجـهني بـه فأسأله عن العرش ممّ خلقه الله وكم هو وكيف هو ؟

فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام : فهل أجابك بالآيات ؟

قال : لا .

قال أبي : لكن أُجيبك فيها بعلم ونور غير المدّعى ولا المنتحل .

أمّا قوله : ﴿ وَمَنْ كانَ في هٰذِهِ أعْمىٰ فَهُوَ في الآخِرَةِ أعْمىٰ وَأضَلُّ سَبيلاً ﴾ ففيه نزلت وأبيه .

وأمّا قوله ﴿ وَلا يَنْفَعَكُمْ نُصْحي إنْ أرَدْتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ ﴾ ففي أبيه نزلت .

وأمّا الأُخرى ففي ابنه نزلت وفينا ولم يكن الرباط الذي أمرنا به ، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط .

وأمّا ما سأل عنه من العرش ممّ خلقه الله ، فإنّ الله خلقه أرباعاً ، لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنور ، ثمّ خلقه من ألوان أنـوار مخـتلفة مـن ذلك النور : نور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الأنوار ، ومنه ضوء النهار ، ثمّ جعله سبعين ألف طبق غلظ كلّ طبق كأوّل العرش إلى أسفل السافلين ، ليس مـن ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربّه ويقدّسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة ، لو أذن للسان واحد فأسمع شيئاً ممّـا تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون ، وكشف البحار ولهلك

ما دونه ، له ثمانية أركان يحمل كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يحصى عددهم إلّا الله ، يسبّحون بالليل والنهار لا يفترون ، ولو أحسّ حسّ شيء ممّـا فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس حجب الجبروت والكـبرياء والعـظمة والقـدس والرحمة والعلم ، وليس وراء هذا مقال ، لقد طمع الجائر في غير مطمع ، أمـا إنّ في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنّم فيخرجون أقواماً من دين الله ، وستصبغ الأرض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمّد ، تنهض تلك الأفراخ في غير وقت وتطلب غـير مدرك ، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون ويصابرون ، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1] .

وجاءت الرواية في توحيد الصدوق بسنده إلى قوله ـ وليس بعد هذا مقال ، كما جاءت في الكشّي بسنده إلى آخر الخبر ، وكذلك في الاختصاص بسنده مثله ، وللعلّامة المجلسي بيان في شرح الخبر ، فراجع[2] .

وجاء في الكافي بسنده رفعه قال :

سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أخبرني عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش أو العرش يحمله ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : الله عزّ وجلّ حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وذلك قول الله عزّ وجلّ :

﴿ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأرضَ أن تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَدٍ

---

(١) البحار ٥٥ : ٢٤ ، عن تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي : ٣٨٥ .

(٢) البحار ٢٤ : ٣٧٤ .

مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَليماً غَفوراً ﴾.

قال: فأخبرني عن قوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ فكيف ذاك وقلت: إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض، وهو العلم الذي حمّله الله الحَمَلة، وذلك نور من نور عظمته فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المشتبهة ـ المشتّتة ـ فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو ها هنا وها هنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله:

﴿ ما يَكونُ مِنْ نَجْوىٰ ثَلاثَةٍ إِلّا وَهُوَ رابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلّا هُوَ سادِسُهُمْ وَلا أَدْنىٰ مِنْ ذٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَما كانوا ﴾.

فالكرسي محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفى، وذلك قوله تعالى:

﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتُ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُما وَهُوَ العَلِيُّ العَظيمُ ﴾.

فالذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه، وأراه خليله عليه السلام، فقال:

﴿ وَكَذٰلِكَ نُرِيَ إِبْراهيمَ مَلَكوتَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَلِيَكونَ مِنَ المُؤْمِنينَ ﴾.

وكيف يحمل حملة العرش الله، وبحياته حييت قلوبهم، وبنوره اهتدوا إلى معرفته[1]؟!

قوله عليه السلام: (والذين يحملون العرش هم العلماء الذين حمّلهم الله علمه) إشارة إلى أنّ العرش هو العلم الإلهي الوسيع الذي جميع الأشياء في كلّ العوالم، حتّى العلم بذاته سبحانه وتعالى، والعلماء يحبّهم الله اصطفاهم ليحملوا علمه، إلّا أنّهم يحملونه في أسماءه وصفاته، لا في ذاته، فما عرف الله في ذاته أحد (وما عرفناك حقّ معرفتك)، فلا يعلم ما هو إلّا هو جلّ جلاله.

ثمّ علماء السماء هم الملائكة، وعلماء الأرض هم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وورثة الأنبياء من العلماء الصالحين المتّقين الزاهدين، فإنّ العلم الإلهي يقذف في قلوبهم، لأنّ العلم كما ورد في الخبر الشريف: «ليس بكثرة التعلّم إنّما العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء هدايته»، فما لو كان من أهل الهداية والصلاح باختياره ذلك، فمثل هؤلاء يحملون عرش الله، فقلب المؤمن عرش الرحمن، وعلى مثل هذا العرش المقدّس كتب بلون المعرفة: (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، فكلّ عالم ـ الأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء ـ هو حسينيّ الهوى، حسينيّ الوجود والقلب، حسينيّ العلم والعرش، وكلّ حسينيّ هو عالم وفي خطّ العلماء،

(١) البحار ٥٥: ٩، عن الكافي ١: ١٢٩.

ومن بلغ هذا المقام الشامخ والمنزلة العظيمة والدرجة الرفيعة، فإنّه يرى ملكوت السماوات والأرض، ويرى حقائق الأشياء وبواطنها، ولا يلقّاها إلّا ذو حظٍّ عظيم، امتحن الله قلبه بالإيمان، وفاز بسعادة الدارين.

عن إبراهيم بن محمّد الخزّاز ومحمّد بن الحسين، قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام، فحكينا له ما روي أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في هيئة الشابّ الموفّق في سنّ أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضرة. وقلنا: إنّ هشام بن سالم وصاحب الطاق والميثمي ـ وكان هذا من الافتراء عليهم، فإنّهم من الثقات المقرّبين ـ يقولون: إنّه أجوف إلى السرّة والباقي صمد. فخرّ ساجداً ثمّ قال:

سبحانك ما عرفوك ولا وحدّوك، فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك، سبحانك كيف طاوعتهم أنفسهم أن شبّهوك بغيرك، إلهي لا أصفك إلّا بما وصفت به نفسك، ولا أُشبّهك بخلقك، أنت أهلٌ لكلّ خير، فلا تجعلني من القوم الظالمين.

ثمّ التفت إلينا فقال: ما توهّمتم من شيء فتوهّموا الله غيره.

ثمّ قال: نحن آل محمّد النمط الوسطى الذي لا يدركنا الغالي، ولا يسبقنا التالي، يا محمّد، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشابّ الموفّق وسنّ أبناء الثلاثين سنة، يا محمّد عظم ربّي وجلّ أن يكون في صفة المخلوقين.

قال: قلت: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟

قال: ذاك محمّد صلى الله عليه وآله، كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب، إنّ نور الله منه اخضرّ ما اخضرّ، ومنه احمرّ ما احمرّ، ومنه ابيضّ ما ابيضّ، ومنه غير ذلك، يا محمّد، ما شهد به الكتاب والسنّة فنحن

القائلون به.

للعلّامة المجلسي في بحاره بيان لطيف لهذا الخبر الشريف وفي ألوان يقول: وأمّا تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه:

الأوّل: إنّها كناية عن تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد، كأنّه ممزج بضرب من الظلمة، والأحمر هو المتوسّط بينهما، ثمّ ما بين كلّ اثنين ألوان أُخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس.

الثاني: إنّها كناية عن صفاته المقدّسة، فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضته الأرواح التي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب، والأبيض رحمته ولطفه على عباده كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ ﴾.

الثالث: ما استفدته من الوالد العلّامة قدّس الله روحه، وذكر أنّه ممّا أُفيض عليه من أنوار الكشف واليقين، وبيانه يتوقّف على تمهيد مقدّمة، وهي أنّ لكلّ شيء مثالاً في عالم الرؤيا والمكاشفة، وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال، فبعضها أقرب إلى ذي الصورة، وبعضها أبعد، وشأن المعبّر أن ينتقل منها إلى ذواتها.

فإذا عرفت هذا:

فالنور الأصفر: عبارة عن العبادة، ونورها كما هو المجرّب في الرؤيا، فإنّه كثيراً ما يرى الرائي الصفرة في المنام فيتيسّر له بعد ذلك عبادة يفرح بها، وكما هو المعاين في جباه المتهجّدين، وقد ورد في الخبر في شأنهم أنّه ألبسهم الله من نوره لمّا خلوا به.

والنور الأبيض : العلم، لأنّه منشأ للظهور، وقد جرّب في المنام أيضاً.

والنور الأحمر : المحبّة، كما هو المشاهد في وجوه المحبّين عند طغيان المحبّة، وقد جرّب في الأحلام أيضاً.

والنور الأخضر : المعرفة، كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر، لأنّه عليه السلام في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة.

ولعلّهم عليهم السلام إنّما عبّروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة، كما تعرض على النفوس الناقصة في الرؤيا هذه الصور، ولأنّا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق كما قال عليه السلام : الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

وهذه التأويلات غاية ما يصل إليه أفهامنا القاصرة، والله أعلم بمراد حججه وأوليائه عليهم السلام[1].

(١) البحار ٤ : ٤٣.

الفصل السادس

تربيع العرش

الحجم الأوّلي في الأفلاك هي الكرويّة ـ كما ثبت في محلّه من الفلسفة وعلم النجوم والهندسة ـ كما أنّ الدائرة هي أُسّ الأشكال الهندسية، فمرجع الأشكال والأجسام إلى الدائرة أو الكرة، وإنّما الأشكال الأُخرى تتولّد من الضغوط الاختيارية أو القسرية، فالشكل المربّع والحجم المكعّب، إنّما هما وليدتا الضغوط من الجوانب الأربعة.

هذا في المحسوسات والجسمانيات والأجسام، وتنظيراً بها ـ من باب تشبيه المعقول بالمحسوس ـ يكون الأمر كذلك فيما وراء الطبيعيات والمغيّبات، إلّا أنّ الأسباب في التربيع مثلاً، إنّما يكون أمراً علمياً ومعنوياً، كما في عرش الله، فإنّه ورد في الروايات أنّه مربّع، وسبب ذلك كما جاء في الفقيه والعلل والمحاسن للشيخ الصدوق بسنده :

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه سئل : لِمَ سمّي الكعبة كعبة ؟

قال : لأنّها مربّعة.

فقيل له : ولِمَ صارت مربّعة ؟

قال : لأنّها بحذاء بيت المعمور وهو مربّع.

فقيل له : ولِمَ صار البيت المعمور مربّعاً ؟

قال : لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع.

فقيل له : ولِمَ صار العرش مربّعاً ؟

قال : لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر[1].

أجل الإسلام هو بالمعنى الخاصّ خاتم الأديان، وبنيت معارفه الأوّلية ـ وقد عدّها العلماء من أساس علومه ـ على الكلمات والتسبيحات الأربعة : التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، وبهذا الترتيب يكون سير المعرفة في تكامل الإنسان وخلافته لله سبحانه.

فتمام المعرفة في مقام التوحيد إنّما يكون أوّلاً بتنزيه الله سبحانه وتقديسه عن النقائص وصفة الاحتياج التي تعدّ من خصائص الممكن الذاتي، كالتركيب والجسميّة والحلول وما شابه ذلك من الجهل والعجز والموت، فإنّ الإنسان إذا أراد أن يعرف خالقه وصانعه من خلال معرفة نفسه «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» فإنّه يرى نفسه غارقاً في بحر النقائص، فهو عاجز لا يقدر على شيء حين ولادته، وكان في بطن أُمّه لا يعلم شيئاً، ولا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، وأنّه محيط بالموت وغير ذلك من صفات النقص، ولمّا كانت العلّة في وجوده أشرف وأجلّ (لمقام العلّية والتقدّم العِلّي) فخالقه وموجده وعلّته الأُولى ـ علّة العلل ـ لا بدّ أن يتنزّه عن مثل هذه النقائص، فبداية المعرفة تستلزم تنزيه الله وتسبيحه، فأوّل الإسلام أن نعرف الله بمعرفة جلاليّة بأنّه جلّ جلاله منزّه عن النقائص والقبائح، فنقول في

(١) البحار ٥٥ : ٥.

مقام معرفة الله : سبحان الله.

ثمّ نرى الجمال في الكون ونرى المحامد، وأنّها ترجع كلّها إلى الله جلّ جلاله، فنعرف الله بمعرفة جماليّة، ونرى جمال الله بأنّه العالم القادر الحيّ له الأسماء الحسنى والصفات العليا، فهو أحقّ بالحمد كلّه، وكلّ الحمد مستغرقاً يرجع إليه، فنقول : الحمد لله.

ثمّ سير المعرفة يقتضي أنّه حينما نرى أنّ كلّ من كان منزّهاً عن النقائص ومستجمعاً للمحامد على الإطلاق، وأنّه الكمال المطلق ومطلق الكمال، ونعرفه معرفة كماليّة، فهو أحقّ بالعبادة والعشق فهو الإله حقّاً ـ من (أَلِهَ) أو (وَلِهَ) من العبادة أو الحبّ، فهو سبحانه وله الحمد يستحقّ العبادة دون غيره، فيقول العبد مبتهجاً : لا إله إلّا الله.

ثمّ يريد العبد أن يعرف ربّه كمال المعرفة فيرى أنّه ـ كما قال النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله : «ما عرفناك حقّ معرفتك»، و «ما عبدناك حقّ عبادتك» ـ فبأيّ وصفٍ يصف ربّه، فهو الكبير المتعال، وهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن، فكلّما أراد العبد أن يصف سيّده ومولاه فإنّه يراه أكبر من أن يوصف، فيقول : الله أكبر.

وهذه المراحل هي حقيقة التوحيد وحقيقة المعرفة والإسلام الكامل.

فالتسبيح معرفة جلالية، والتحميد معرفة جماليّة، والتهليل معرفة كماليّة، ويمتاز الله سبحانه عن غيره في مقام المعرفة، أنّه أكبر ممّا يصفون، وكلّما يتوهّمه الإنسان في مقام التوحيد، فهو بالحمل الشائع الصناعي مخلوق له وليس خالقه، كما ورد في كثير من رواياتنا عن أهل البيت عليهم السلام، نعم بالحمل الأوّلي الذاتي فهو الصانع جلّ جلاله، المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال، وهذه هي أركان الإسلام، وبني الإسلام عليها، وهي حقيقة العلم الإلهي، وهو العرش العلمي

ـ كما مرّ ـ وبحذائه البيت المعمور، وبحذاء المعمور بيت الله الحرام الكعبة المشرّفة في مكّة المكرّمة.

والحاجّ في طوافه حول البيت الحرام، يطوف مع الملائكة في السماء الرابعة حول البيت المعمور، ومع حملة العرش الإلهي، وأنّه يطوف حول العلم بجلال وجمال وكمال، بتسبيح وتحميد وتهليل وتكبير، ولو أدرك الطائف هذا المعنى ولمسه في أعماق وجوده وصميمه، وضاء قلبه بأنواره وأشعّته، فإنّه يصل إلى مقام الفناء في الله سبحانه، ويذوب في علمه وعشقه عندما يطوف مع الطائفين. ويكون طوافه طواف العاشقين الواهين، ويغرق في سبحات جلال الله مع السابحين المسبّحين، وربما يموت شوقاً في لقاء ربّ العالمين، وتعرج روحه مع الملائكة الطائفين، ويطوف معهم في عالم الأرواح الزكيّة والأنوار البهيّة، ولا يلقّاها إلّا ذو حظّ عظيم، رزقنا الله وإيّاكم ذلك.

هذا، وجاء في بحار الأنوار للعلّامة المجلسي قدس سره قائلاً: فأمّا العرش الذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة، وتعبّد الملائكة بحمله وتعظيمه، وقد جاء الحديث: إنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه (البيت المعمور) تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه (الضرّاح) وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضراح، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لو أُلقي حجر من العرش لوقع على ظهر بيت المعمور، ولو أُلقي من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه يستوطنه، تعالى الله عن ذلك، لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكرمةً له وإعظاماً، وتعبّد الملائكة بحمله، كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا يسكنه، تعالى الله عن ذلك، ولكنّه خلقه لخلقه،

وأضافه إلى نفسه إكراماً له وإعظاماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه. انتهى كلامه المقصود نقله[١].

وجاء في تفسير الطبرسي: البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة، تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة، عن ابن عباس ومجاهد، وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، ثمّ لا يعودون إليه أبداً.

وفي العلل عن ابن سنان عن الإمام الرضا عليه السلام: علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿ **إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلَ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ** ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى (الضراح) ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى (المعمور) بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه، فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة[٢].

وهناك روايات في الباب من الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ فراجع، ثمّ يقول العلّامة في مقام البيان: مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحّة جميعها، القول بتحقّق البيت في جميع تلك المواضع، وسيأتي كثير من الأخبار المتعلّقة بالباب في باب الملائكة. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

---

(١) البحار ٥٥: ٨.

(٢) البحار ٥٥: ٥٥ ـ ٥٨.

وبهذا المقدار عرفنا إجمالاً علّة تربيع العرش الإلهي بنظرة روائية، وبيان عرفاني، فتدبّر.

ثمّ كتب على عرش الله: (الحسين مصباح هدىً وسفينة نجاة)، فإنّما يهتدي الإنسان إلى المعرفة بمراحلها بالنور الحسيني، وإنّما يشقّ عباب بحار المعارف الإلهيّة والعلوم الربّانية بالسفينة الحسينيّة، فالتسبيح يتجلّى بالحسين عليه السلام المحمّدي، والتحميد يظهر بمحمّد صلى الله عليه وآله الحسيني (حسين منّي وأنا من حسين)، وكلّهم نورٌ واحد، فبهم عُرف الله وعُبد، وسبّحوا فسبّحت الملائكة، وحمدوا فحمدت الملائكة، وهلّلوا فهلّل الكون معهم، وكبّروا فكبّر العالم بتكبيرهم.

يا رُبّ جوهرةٍ لو أبوح به...

الفصل السابع

العقل في العرش

العقل جوهرة ربّانية قد أفاض الله بها على الإنسان ليكرّمه على مخلوقاته الأُخرى، وبالعقل امتاز عن العجماوات وتشرّف على الكائنات.

وقد بحث العلماء عنه وعن حقيقته كثيراً، وإنّ الحكماء قسّموه إلى تقسيمات عديدة كقولهم بالعقل الهيولاني والعقل المستفاد والعقل بالفعل والعقل الكلّي، وأُضيف العقل الإلهي الربّاني القدسي الذي كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فهو العقل الكلّي، وهو الصادر الأوّل من الله جلّ جلاله[1].

وللعقل تجلّيات ومقامات ومراتب تتعلّق بفيض الله وخلقه، منها: أنّه أوّل خلق الله من الروحانيّين، كان على يمين العرش من نور الله عزّ وجلّ.

فعن سماعة قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده جماعة من مواليه فجرى ذكر العقل والجهل، فقال أبو عبد الله عليه السلام: اعرفوا العقل وجنده والجهل وجنده تهتدوا. قال سماعة: فقلت: جعلت فداك، لا نعرف إلّا ما عرّفتنا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله جلّ ثناؤه خلق العقل وهو أوّل خلق خلقه من

(١) لقد بحثت عن العقل والعقلاء بالتفصيل في (ما هو العقل ومن هم العقلاء ؟)، فراجع.

الروحانيّين عن يمين العرش من نوره، فقال له: أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: خلقتك خلقاً عظيماً وكرّمتك على جميع خلقي...»[1].

والمراد من يمين العرش يعني العلم المبارك والميمون، وأنّه من نور الله جلّ جلاله.

وجاء في الخصائص الحسينيّة:

واعلم ـ كما ذكرنا ـ أنّه وقع اختلاف بين الحكماء من اليونانيّين وغيرهم من العلماء في أوّل ما صدر عن الأوّل، وفي تعيين أوّل المخلوقات، كما اختلف المتكلّمون والملّيون في ذلك، وكذلك اختلفت الأخبار عند الفريقين، في الصادر الأوّل أنّه العقل أو القلم أو الروح أو نور النبيّ أو روحه.

فذهب أكثر الحكماء ـ وهم المشّائيون أتباع أرسطوطاليس ـ إلى أنّ أوّل المخلوقات هو العقل الأوّل ـ لقاعدة الواحد لا يصدر منه إلّا واحد، كما إنّ الواحد لا يصدر إلّا من الواحد ـ ثمّ العقل الأوّل خلق العقل الثاني والفلك الأوّل، وهكذا حتّى انتهت العقول إلى عشرة، والأفلاك إلى تسعة، فإنّ العقل العاشر وهو العقل الفعّال خلق الفلك التاسع وهيولى العناصر الأربعة الماء والتراب والهواء والنار.

والعقل الأوّل المخلوق لله سبحانه وتعالى له ثلاث جهات: وجود من المبدأ الأوّل وهو نور من نوره ووجوب بالنظر إلى المبدأ الأوّل، فإنّ الله واجب الوجود لذاته، والعقل واجب الوجود لغيره، وإمكان من حيث ذاته، فهو ممكن الوجود ذاتاً بمعنى تساوي طرفي الوجود والعدم فيه، فإن وُجد يسأل لِمَ وُجد؟ وإن عُدم

(١) البحار ١: ١٠٩ و ١٥٨.

يُسأل لِمَ عُدم؟ فيحتاج في وجوده وعدمه إلى علّة، بخلاف علّة العلل وهو الله سبحانه.

فالعقل كان بذلك الوجود سبباً لعقل آخر فخلق العقل الثاني، وبذلك الوجوب سبباً وعلّة لنفس فلك، وبذلك الإمكان سبباً لجسم فلك، فخلق باعتبار وجوبه وإمكانه الفلك الأوّل، وعلى هذا النهج يصدر من العقل الثاني إلى العقل العاشر.

وذهب ثاليس الملطي إلى أنّ أوّل المخلوقات الماء، وذهب بلیناس الحكيم إلى أنّ الله لمّا أراد أن يخلق الخلق تكلّم بكلمة، فكانت هذه الكلمة علّة الخلق، وحدث بعد هذه الكلمة العقل، فدلّ بالفعل على الحركة، ودلّت الحركة على الحرارة.

والذي دلّت عليه الروايات الصحيحة الكثيرة، إنّ أوّل مخلوق هو نور النبيّ صلى الله عليه وآله، ودلّ على ذلك العقل السليم، فإنّ العلّة في الأشرفيّة وكثرة الاعتناء والأحبّيّة إلى الله توجب التقدّم في الخلقة، وفي بعض الروايات نوره ونورهم.

وإذ تحقّق أنّ الحقّ هو أنّ أوّل المخلوقات هو نور النبيّ أو نوره وأنوارهم، فعلى كلا التقديرين نقول: إنّ أوّل المخلوقات هو نور الحسين عليه السلام، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «حسين منّي وأنا من حسين»، وفي رواية أُخرى: «أنا من حسين وحسين منّي»، فهو أوّل مخلوق وأوّل ما صدر عن الأوّل، فكلّ مخلوق تابع له.

فلا غرو أن يبكيه كلّ شيء مخلوق، فإذا قلنا بكاه كلّ مخلوق، فلا تتوهّم أنّه مبالغة أو استعارة تمثيليّة أو خيال، أو بكاء بلسان حال، أو فرض وتقدير، لا بل ذلك حقيقة في الباكين من جميع الموجودات، من نبيّ أو ملك أو فلك أو إنس أو جنّ أو شيطان أو جنّة أو نار أو نهر أو معادن أو نبات أو حيوان أو شمس أو قمر، لا أقول في هذا العالم فقط، بل شموس جميع العوالم وأقمارها، وسماواتها وأراضيها وسكّانها.

ففي الرواية: خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم، وأنتم آخر العوالم والآدميين، وهكذا بكاء كلّ شيء بكاء حقيقي، وإن كان في كلّ بحسبه.

وليس مرادي من بكاء كلّ شيء بكاؤه بعد مقتله فقط، فإنّ بيان ذلك له أبواب على حدة تذكر بعد باب شهادته، بل المراد بكاء كلّ شيء عليه قبل قتله، كما في زيارة شعبان، مرويّةً عن القائم عجّل الله فرجه (بكته السماء ومن فيها والأرض ومن عليها ولمّا يطأ لابتيها) ـ لابتاها: مثنّى لابة، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ـ.

وليس المراد من بكاء كلّ شيء عليه قبل قتله حصول ذلك في الجملة، بل أقول: إنّه حيث خلق أوّل ما خلق مظهراً للخضوع والخشوع، فكلّ خضوع وانكسار في العالم فله وبه، كما قال بعض الحكماء المحقّقين:

كلّ انكسارٍ وخضوعٍ به ... وكلّ صوتٍ فهو نوح الهواء[1]

ثمّ قال المحقّق المصنّف الشيخ الأجلّ الشيخ جعفر التستري قدس سره: اعلم أنّ الله جلّ جلاله لم يزل منفرداً ولم يكن مخلوق ولا زمان ولا مكان، فلمّا ابتدأ بخلق أفضل المخلوقات واشتقّ من نوره نور عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، جعل لهم محالّاً متعدّدة وعوالم مختلفة، كما يظهر من مجموع الروايات المعتبرة. فمنها: قبل خلق العرض، ومنها: قبل خلق آدم، ومنها: بعده. أنواراً تارةً وأشباح نور تارة، وظلالاً وذرّاتاً وأنواراً في الجنّة تارة، وعمود نور قذف في ظهر آدم عليه السلام تارة، وفي أصابع يده أُخرى، وفي جبينه تارة، وفي جبين كلّ جدّ من الأجداد من آدم عليه السلام إلى والد النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله بن عبد المطّلب، وفي جبين كلّ جدّة عند الحمل ممّن هو في

(١) الخصائص الحسينيّة: ٣٢.

ترائبها من حوّاء إلى أُمّ النبيّ آمنة بنت وهب.

ثمّ إنّ لنورهم محالّاً متعدّدة قدّام العرش، وفوق العرش، وتحت العرش، وحول العرش، وفي كلّ حجاب من الحجب الاثني عشر، وفي البحار، وفي السرادقات، ولبقائهم في كلّ محلّ مدّة مخصوصة، فمدّة وجودهم قبل خلق العرش أربعمائة وعشرون ألف سنة، وزمان كونهم حول العرش خمسة عشر ألف سنة قبل آدم عليه السلام، وزمان كونهم تحت العرش اثنا عشر ألف سنة قبل آدم.

وليس المقام مقام هذه التفاصيل، فإنّه يحتاج إلى كتابٍ مستقلّ، إنّما المقصود بيان خصائص الحسين عليه السلام في نوره، وامتياز نوره من الأنوار في جميع هذه العوالم والحالات في الظلال والأشباح والذرّات، وحين تجسّمه بالشجرة في الجنّة، والقُرط في أُذن الزهراء عليها السلام، وهي في الجنّة في إحدى هذه العوالم.

فنقول: إنّ هذه الأنوار في هذه العوالم مصدرها نور النبيّ صلى الله عليه وآله وامتيازه كون نوره من نوره، فإنّه من حسين وحسين منه، وحين افتراقهما كان لنور الحسين عليه السلام خصوصيّة في أنّ رؤيته كانت موجبة للحزن، كما اتّفق لآدم عليه السلام حين ظهرت الأنوار في أصابعه، وكان نور الحسين عليه السلام في الإبهام، وقد بقي هذا التأثير إلى الآن، فإنّ من غلب عليه الضحك إذا نظر إلى ظهر إبهامه غلبه الحزن[1].

واتّفق لإبراهيم عليه السلام أيضاً، حين رأى الأشباح فكان شبحه في تلك العوالم، كما أنّ التنطّق باسمه، وسماعه كان مورثاً للحزن[2]، بل سوى ذلك فيما انتسب إلى نوره، كما في حديث المسامير الخمسة التي أتى بها جبرائيل عليه السلام إلى نوح عليه السلام

(١) البحار ٤٢: ٢٧١.

(٢) البحار ٣٦: ١٥١.

ليسمّر بها جوانب السفينة، كلّ مسمار باسم واحد من الأنوار الخمسة، فلمّا أخذ المسمار المنتسب إلى نور الحسين عليه السلام أشرق وأحسّ من رطوبة بلون الدم، فسأل عن ذلك، فأُجيب بأنّه مسمار الحسين[١]. وسبب ظهور الدم منه شهادته بالكيفيّة الخاصّة.

ومن الخصوصيّات لنوره عليه السلام أنّ النور الذي كان يظهر على جبين الأُمّهات عند الحمل بأحد الأجداد للنبيّ صلى الله عليه وآله وعلى جبين آمنة عند الحمل بالنبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّما ذلك لعدم كون أنفسهن من هذه الأنوار، فإذا حملته ظهر أثره في الجبهة، وأمّا إذا كانت الأُمّ بذاتها من الأنوار فلا وجه لظهور النور، ولا يظهر على الوجه بالخصوص نور زائد على ذلك، فلم يظهر على جبهة الزهراء عليها السلام حين حملها بالحسن نور زائد على وجهها. ولكن خصوصيّة الحسين عليه السلام أنّها لمّا حملت بالحسين عليه السلام قال لها النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّي أرى في مقدّم وجهكِ ضوءاً ونوراً، وستلدين حجّة لهذا الخلق»، وقالت عليها السلام: «إنّي لمّا حملت به كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح»[٢].

فخصوصيّة نور الحسين عليه السلام أنّه يظهر على النور أيضاً، ومن خصوصيّاته ـ أيضاً ـ أنّه يغلب النور أيضاً. ولذا قال من رآه صريعاً وهو في الشمس نصف النهار حين قتله: والله لقد شغلني نور وجهه عن النظر في قتله.

ومن خصوصيّاته أيضاً: أنّه لا يحجبه حاجب، كما قال ذلك القائل أيضاً: إنّي ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بالدم والتراب أنور وجهاً منه، فلم يحجب التراب والدم الذي علا على وجهه نوره الذي علا كلّ نور[٣].

---

(١) البحار ٤٤: ٣٣٠.

(٢) البحار ٤٣: ٢٧٣.

(٣) الخصائص الحسينيّة: ٣٦.

الفصل الثامن

آل محمّد عليهم السلام في عرش الله

لقد ثبت بالتواتر الإجمالي والمعنوي، أنّ من شؤون آل محمّد عليهم السلام العليا ومقاماتهم الإلهيّة السامية، أنّ أنوارهم القدسيّة زيّنت عرش الله سبحانه وتعالى، فكثير من الروايات النبويّة والولويّة المروية عن أولياء الله الأئمة الأطهار عليهم السلام تدلّ على هذا المقام العظيم والمنزلة الرفيعة المختصّة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، نذكر نماذج من هذه الأخبار الشريفة:

١ ـ عن علل الشرائع وعيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عُرج بي إلى السماء نوديت: يا محمّد، فقلت: لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت، فنوديت: يا محمّد، أنت عبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد، وعليّ فتوكّل فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجّتي على بريّتي، لك ولمن تبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي، فقلت: يا ربّ، ومَن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد، أوصياؤك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربّي جلّ جلاله إلى ساق العرش، فرأيت اثني عشر نوراً في كلّ نور سطرٌ أخضر، عليه اسم وصيّ من أوصيائي، أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم مهدي

أُمّتي، فقلت: يا ربّ، هؤلاء أوصيائي بعدي؟ فنوديت: يا محمّد، هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي وحججي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأُطهرنّ بهم ديني ولأُعلينّ بهم كلمتي، ولأُطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأُملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأُسخرنّ له الرياح، ولأُذلّلنّ له السحاب الصعاب، ولأُرقينّه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّنّه بملائكتي حتّى يعلن دعوتي، يجمع الخلق على توحيدي ثمّ لأُديمنّ ملكه، ولأُداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة[1].

٢ ـ قصص الأنبياء بسنده قال أبو عبد الله عليه السلام: اجتمع ولد آدم في بيت، فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون، وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم، فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيءٍ كنتم؟ فقال: كنّا نفكّر في خير خلق الله، فأخبروه فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم، فأتى أباه فقال: يا أبتِ، إنّي دخلت على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله، فسألوني فلم يكن عندي ما أُخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم، فقال آدم: يا بنيّ وقفت بين يدي الله جلّ جلاله، فنظرت إلى سطرٍ على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله[2].

٣ ـ فضائل الشيعة بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّوجلّ

(١) سفينة البحار ٦: ١٩٩، عن البحار ٥٢: ٣١٢.

(٢) السفينة ٦: ٢٠٥، عن البحار ٢٦: ٢٨٢.

لإبليس ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العالينَ ﴾ فمن هم يا رسول الله الذي هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله، وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ العالينَ ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش، فنحن باب الله الذي يؤتى منه، بنا يهتدي المهتدون، فمن أحبّنا أحبّه الله وأسكنه جنّته، ومن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبّنا إلّا من طاب مولده[1].

٤ ـ عن قبيصة بن يزيد الجعفي قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام وعنده الدوس بن أبي الدوس وابن ظبيان والقاسم الصيرفي فسلّمت وجلست وقلت: يا بن رسول الله، لقد أتيتك مستفيداً، قال: سل وأوجز، قلت: أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة وأرضاً مدحيّة أوظلمة ونوراً؟ قال: يا قبيصة، لِمَ سألتنا عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت؟ أما علمت أنّ حبّنا قد اكتتم وبغضنا قد فشا، وإنّ لنا أعداء من الجنّ يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الإنس، وإنّ الحيطان لها آذان كآذان الناس؟ قال: قلت: قد سألت عن ذلك. قال: يا قبيصة، كنّا أشباح نور حول العرش نسبّح الله قبل أن يخلق آدم بخمسة عشر ألف عام، فلمّا خلق الله آدم فرّغنا في صلبه فلم يزل ينقلنا من صلب طاهر إلى رحم مطهّر حتّى بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله، فنحن عروة الله الوثقى من استمسك بنا نجا، ومن تخلّف عنّا هوى،

(١) البحار ٢٥: ٢، عن فضائل الشيعة: ٧.

لا ندخله في باب ضلال، ولا نخرجه من باب هدىً، ونحن رعاة شمس الله، ونحن عترة رسول الله، ونحن القبّة التي طالت أطنابها واتّسع فناؤها، من ضوى إلينا نجا إلى الجنّة، ومن تخلّف عنّا هوى إلى النار. قلت: لوجه ربّي الحمد[١].

٥ ـ روى الصدوق في كتاب المعراج عن رجاله إلى ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يخاطب عليّاً عليه السلام ويقول: يا عليّ، إنّ الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه فخلقني وخلقك روحين من نور جلاله، فكنّا أمام عرش ربّ العالمين نسبّح الله ونقدّسه ونحمده ونهلّله، وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين... يا محمّد، كتبت اسمك واسمه على عرشي من قبل أن أخلق الخلق محبّة لكما ولمن أحبّكما وتولّاكما وأطاعكما... الحديث طويل فراجع[٢].

٦ ـ عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله صلّى صلاة الفجر ثمّ استوى في محرابه كالدر في تمامه فقلت: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسّر لنا هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أُولـئِكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِـنَ النَّـبِيِّينَ وَالصِّـدِّيقينَ وَالشُّهَـداءِ وَالصَّالِحينَ ﴾، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أمّا النبيّون فأنا، وأمّا الصدّيقون فعليّ بن أبي طالب، وأمّا الشهداء فعمّي حمزة، وأمّا الصالحون فابنتي فاطمة وولداها الحسن والحسين، فنهض العباس من زاوية المسجد إلى بين يديه صلى الله عليه وآله وقال: يا رسول الله، ألست أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من ينبوع واحد؟ قال صلى الله عليه وآله: وما وراء ذلك يا عمّاه؟ قال: لأنّك لم تذكرني حين ذكرتهم ولم تشرّفني حين شرّفتهم.

(١) المصدر، عن تفسير فرات: ٢٠٧.

(٢) البحار ٢٥: ٤، عن كنز الفوائد: ٣٧٤.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عمّاه، أمّا قولك أنا وأنت وعلي والحسن والحسين من ينبوع واحد فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيّة ولا أرض مدحيّة ولا عرش ولا جنّة ولا نار، كنّا نسّبحه حين لا تسبيح، ونقدّسه حين لا تقديس، فلمّا أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش ـ الحديث طويل فراجع[١] ـ.

٧ ـ أمالي ابن الشيخ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله من طينة من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضج فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضج طينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان لطينة أمير المؤمنين نضج فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضج فجبل طينة شيعتنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم، تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير ونحن له خير[٢].

٨ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله إذا أحبّ أن يخلق الإمام أخذ شربة من تحت العرش فأعطاها ملكاً فسقاها إيّاها ـ أي أُمّ الإمام ـ فمن ذلك يخلق الإمام، فإذا ولد بعث الله ذلك الملك إلى الإمام فكتب بين عينيه (وتمّت كلمة ربّك صدقاً وعدلاً لا مبدّل لكلماته وهو السميع العليم). فإذا مضى ذلك الإمام الذي قبله رفع له مناراً يبصر به أعمال العباد، فكذلك يحتجّ به على خلقه[٣].

(١) المصدر.

(٢) المصدر، عن أمالي ابن الشيخ: ٩٢.

(٣) المصدر، عن تفسير القمّي: ٢٠٢.

٩ ـ عن جابر بن يزيد الجعفي قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام: يا جابر، كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول، فأوّل ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمّداً صلى الله عليه وآله وخلقنا أهل البيت معه من نوره وعظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر، يفصل نورنا عن نور ربّنا كشعاع الشمس من الشمس، نسبّح الله تعالى ونقدّسه ونحمده ونعبده حقّ عبادته، ثمّ بدا لله تعالى عزّ وجلّ أن يخلق المكان فخلقه، وكتب على المكان لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين ووصيّه، به أيّدته ونصرته، ثمّ خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك، ثمّ خلق الله السماوات فكتب على أطرافها مثل ذلك، ثمّ خلق الجنّة والنار فكتب عليها مثل ذلك، ثمّ خلق الملائكة وأسكنهم السماء، ثمّ تراءى لهم الله تعالى ـ أي عرّف نفسه لهم فعرفوه ـ وأخذه عليهم الميثاق له بالربوبيّة ولمحمّد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعليّ عليه السلام بالولاية، فاضطربت فرائص الملائكة ـ أي تزلزلوا في قبول ذلك ـ فسخط الله على الملائكة واحتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجيرون الله من سخطه ويقرّون بما أخذ عليهم، ويسألونه الرضا فرضي عنهم بعدما أقرّوا بذلك، وأسكنهم بذلك الإقرار السماء واختصّهم لنفسه واختارهم لعبادته، ثمّ أمر الله تعالى أنوارنا أن تسبّح، فسبّحت، فسبّحوا بتسبيحنا، ولولا تسبيح أنوارنا ما دروا كيف يسبّحون الله ولا كيف يقدّسونه... الحديث طويل نقلنا منه موضع الحاجة، فراجع[1].

١٠ ـ روى الشيخ أبو جعفر الطوسي قدّس الله روحه عن رجاله عن عبد الله ابن عجلان السكوني قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: بيت علي وفاطمة من

(١) البحار ٢٥: ١٨.

حجرة رسول الله صلوات الله عليهم، وسقف بيتهم عرش ربّ العالمين، وفي قعر بيوتهم فرجة مكشوطة إلى العرش معراج الوحي والملائكة، تنزل عليهم بالوحي صباحاً ومساءً، وفي كلّ ساعة وطرفة عين، والملائكة لا ينقطع فوجهم، فوج ينزل وفوج يصعد، وإنّ الله تبارك وتعالى كشط لإبراهيم عليه السلام عن السماوات حتّى أبصر العرش وزاد الله في قوّة ناظره، وإنّ الله زاد في قوّة ناظرة محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، وكانوا يبصرون العرش ـ أي يبصرون ملكوت السماوات والأرض أو يدركون علوم الله تبارك وتعالى ومعارفه وآياته أو ما ذكرناه من معاني العرش من أسماء الله وصفاته ـ ولا يجدون لبيوتهم سقفاً غير العرش، فبيوتهم مسقّفة بعرش الرحمن، ومعارج معراج الملائكة والروح، فوج بعد فوج، لا انقطاع لهم، وما من بيت من بيوت الأئمّة منّا إلّا وفيه معراج الملائكة، يقول الله: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ ﴾ قال: قلت: من كلّ أمر؟ قال: بكلّ أمر، قلت: هذا التنزيل؟ قال: نعم[1].

١١ ـ عن زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال: إنّ فضل أوّلنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أوّلنا، وكلّ له فضل، قال: قلت له: جعلت فداك وسّع عليّ في الجواب، فإنّي والله ما سألتك إلّا مرتاداً، فقال: نحن من شجرة طيّبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلنا من الله، وعلمنا من عند الله، ونحن أُمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحجّاب فيما بينه وبين خلقه.

أزيدك يا زيد؟ قلت: نعم. فقال: خلقنا واحد، وعلمنا واحد، وفضلنا

(١) البحار ٢٥: ٩٧، عن كنز الفوائد: ٤٧٣.

واحد، وكلّنا واحد عند الله تعالى، فقال: أخبرني بعدّتكم؟ فقال: نحن اثنا عشر هكذا حول عرش ربّنا عزّ وجلّ في مبتدأ خلقنا، أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد[١].

١٢ ـ عن عبد الله بن بكر الأرجائي في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: جعلت فداك، أخبرني عن الحسين عليه السلام لو نبش كانوا يجدون في قبره شيئاً؟ قال: يا ابن بكر ما أعظم مسائلك؟ الحسين مع أبيه وأُمّه وأخيه الحسن في منزل رسول الله صلى الله عليه وآله يحيون كما يحيى، ويرزقون كما يرزق، فلو نبش في أيّامه لوجد، فأمّا اليوم فهو حيّ عند ربّه ينظر إلى معسكره وينظر إلى العرش، متى يؤمر أن يحمله، وإنّه لعلى يمين العرش متعلّق يقول: يا ربّ أنجز لي ما وعدتني، وإنّه لينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم وبمنزلتهم عند الله من أحدكم بولده وما في رحله، وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له رحمةً له، ويسأل آباءه الاستغفار له ويقول: لو تعلم أيّها الباكي ما أعدّ لك لفرحت أكثر ممّا جزعت، ويستغفر له رحمةً له كلّ من سمع بكاءه من الملائكة في السماء وفي الحائر وينقلب وما عليه من ذنب[٢].

١٣ ـ قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً، إنّه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافى الأئمة معه ووافينا معهم، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[٣].

(١) البحار ٢٥ : ٣٦٣، عن المختصر : ١٥٩.

(٢) البحار ٢٥ : ٣٧٦، عن كامل الزيارات : ٢٢٦.

(٣) البحار ٢٦ : ٨٩، عن بصائر الدرجات : ٣٦.

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: يحتمل أن يكون بقاء ما عندهم من العلم مشروطاً بتلك الحالة، ويحتمل أن يكون المستفاد تفصيلاً لما علموا مجملاً، ويمكنهم استنباط التفصيل منه، أو المراد أنّه لا يجوز لنا الإظهار بدون ذلك كما يؤمي إليه خبر ليلة القدر، أو المراد أنفدنا من علم مخصوص سوى الحلال والحرام ولم يفض على النبيّ والأئمة المتقدّمين صلوات الله عليهم، وإن أُفيض في ذلك الوقت كما سيأتي، وذلك إمّا من المعارف الإلهيّة أو من الأُمور البدائيّة كما مرّ منّا الإشارة إليهما، ويؤيّد الأخير كثير من الأخبار الآتية ـ انتهى كلامه رفع الله مقامه ـ ويحتمل أن يكون من العلم المستأثر عند الله، كما في الخبر[١]، فراجع.

١٤ ـ عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: والله إنّا لخزّان الله في سمائه وخزّانه في أرضه، لسنا بخزّان على ذهب ولا فضّة، وإنّ منّا لحملة العرش يوم القيامة[٢].

١٥ ـ روي لنا أنّ حبيب بن مظاهر الأسدي ـ بيّض الله وجهه ـ أنّه قال للحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أيّ شيء كنتم قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام؟ قال: كنّا أشباح نور ندور حول عرش الرحمن فنعلّم الملائكه التسبيح والتهليل والتحميد[٣].

١٦ ـ عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله، أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها، فمنهم من

(١) البحار ٢٦ : ٩٢، الحديث ٢٣.

(٢) البحار ٢٦ : ١٠٥، الباب ٥.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٥٨، عن بحار الأنوار ٦٠ : ٣١١.

يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد؟ فقال: كلّ ذلك حقّ. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت، إنّ شجرة الجنّة تحمل أنواعاً، فكانت شجرة الحنطة وفيها عنب وليست كشجرة الدنيا.

وإنّ آدم لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بأسماء الملائكة له، وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه فناداه: ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجته فاطمة سيّدة نساء العالمين والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة.

فقال آدم عليه السلام: يا ربّ، من هؤلاء؟ فقال عزّ وجلّ: من ذرّيتك وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد، فأُخرجك عن جواري.

ونظر إليهم بعين الحسد، وتمنّى منزلتهم، فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته وأهبطهما عن جواره إلى الأرض[1].

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: لعلّ المراد بنظر الحسد تمنّي أحوالهم والوصول إلى منازلهم وكان ذلك منهما ترك الأولى، لأنّه مع العلم بأنّ الله تعالى

(١) المصدر، عن عيون الأخبار: ١٧٠.

فضّلهم عليهما، كان ينبغي لهما أن يكونا في مقام الرضا والتسليم، وأن لا يتمنّيا درجاتهم صلوات الله عليهم.

أقول: ولعلّ قولهم عليهم السلام: «لا يقاس بنا أحد» إشارة إلى هذا المقام العظيم، وحتّى لمثل آدم عليه السلام لا يحقّ له أن يقيس نفسه بهم، فإنّهم دون الخالق جلّ جلاله، وفوق ما سواه عزّ وجلّ، فهم صنايع الله والخلق صنايعهم، فهم الصادر الأوّل والعلّة الغائيّة في الوجود، وهذا من سرّ السرّ في المعبود، فتدبّر.

١٧ ـ الكراجكي في كنز الفوائد بسنده في حديث طويل في معراج النبيّ صلى الله عليه وآله عن الجارود بن المنذر العبدي: قال رسول الله: يا جارود، ليلة أُسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ فقلت: على ما بعثتم؟ فقالوا: على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكما، ثمّ أُوحي إليّ أن التفت عن يمين العرش. فالتفتّ فإذا: عليّ والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور يصلّون، فقال لي الربّ تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي وهذا ـ أي المهدي عليه السلام ـ المنتقم من أعدائي[1].

هذا وينقل العلّامة المجلسي ما يقول المحقّق الكراجكي رحمه الله في بيان الخبر الشريف وأنّه لو سئل الشيعة عن هذا الحديث أنّه كيف كان الأنبياء المرسلون قبل رسول الله قد ماتوا فكيف يصحّ سؤالهم في السماء؟ وما معنى أنّهم بعثوا على نبوّته وولاية علي والأئمة من ولده عليهم السلام؟ وأنّه كيف يصحّ أن يكون الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام في تلك الحال في السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف هذا، لأنّ

(١) البحار ٢٦: ٣٠١، عن الكنز: ٢٥٦، والضحضاح: قريب القعر.

أمير المؤمنين عليه السلام كان في ذلك الوقت بمكّة في الأرض، ولم يدّع قط ولا ادّعى له أحد أنّه صعد إلى السماء، فأمّا الأئمة من ولده فلم يكن وجد أحد منهم بعد ولا ولد، فما معنى ذلك إن كان الخبر حقّاً ؟

فأجاب قدس سره عن السؤال الأوّل : إنّا لا نشكّ في موت الأنبياء عليهم السلام غير أنّ الخبر قد ورد بأنّ الله تعالى يرفعهم بعد مماتهم إلى سمائه، وأنّهم يكونون فيها أحياء متنعّمين إلى يوم القيامة، ليس ذلك بمستحيل في قدرة الله سبحانه، وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : أنا أكرم عند الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث، وهكذا عندنا حكم الأئمة عليهم السلام .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «لو مات نبيّ بالمشرق ومات وصيّه بالمغرب لجمع الله بينهما» وليس زيارتنا لمشاهدهم على أنّهم بها، ولكن أشرف المواضع فكانت غيّبت الأجسام فيها، ولعبادة أيضاً ندبنا إليها، فيصحّ على هذا أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله رأى الأنبياء عليهم السلام في السماء فسألهم كما أمره الله تعالى.

وبعد فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ فإذا كان المؤمنون الذين قتلوا في سبيل الله على هذا الوصف، فكيف ينكر أنّ الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم أحياء منعّمون في السماء، وقد اتّصلت الأخبار من طريق الخاصّ والعامّ بتصحيح هذا.

وأجمع الرواة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا خوطب لغرض الصلاة ليلة المعراج وهو في السماء، قال له موسى عليه السلام : «إنّ أُمّتك لا تطيق» وإنّه راجع إلى الله تعالى دفعة بعد أُخرى، وما حصل عليه الاتّفاق فلم يبقَ فيه كذب.

وأمّا الجواب عن السؤال الثاني : فهو أن يكون الأنبياء عليهم السلام قد أُعلموا بأنّه سيبعث نبيّاً يكون خاتمهم، وناسخاً بشرعه شرائعهم، وأُعلموا أنّه أجلّهم وأفضلهم،

وأنّه سيكون أوصياؤه من بعده حفظة لشرعه وحملة لدينه وحججاً على أُمّته، فوجب على الأنبياء عليهم السلام التصديق بما أُخبروا به والإقرار بجميعه.

أخبر الشريف يحيى بن أحمد بن إبراهيم بن طباطبا الحسيني عن عبد الواحد ابن عبد الله الموصلي عن أبي علي بن همّام عن عبد الله بن جعفر الحميري عن عبد الله بن محمد بن محمّد بن أحمد عن يونس بن يعقوب عن عبد الأعلى بن أعين قال : سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول : ما تنبّأ نبيّ قطّ إلّا بمعرفة حقّنا، وتفضيلنا على من سوانا.

وإنّ الأُمّة مجمعة على أنّ الأنبياء عليهم السلام قد بشّروا بنبيّنا صلى الله عليه وآله ونبّهوا على أمره، ولا يصحّ منهم ذاك إلّا وقد أعلمهم الله تعالى به فصدّقوا وآمنوا بالمخبر به، وكذلك قد روت الشيعة بأنّهم قد بشّروا بالأئمة أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا الجواب عن السؤال الثالث : فهو أنّه يجوز أن يكون تعالى أحدث لرسول الله صلى الله عليه وآله في الحال صوراً كصور الأئمة عليهم السلام ليراهم أجمعين على كمالهم كمن شاهد أشخاصهم برؤية مثالهم، ويشكر الله تعالى على ما منحه من تفضيلهم وإجلالهم وهذا في الممكن المقدور ـ أي كان ممكناً ومقدوراً لله سبحانه فلا يستحيل عقلاً لوجود المقتضي وعدم المانع ـ.

ويجوز أيضاً أن يكون الله تعالى خلق على صورهم ملائكة في سمائه يسبّحونه ويقدّسونه لتراهم ملائكته الذين قد أعلمهم بأنّهم سيكونون في أرضه حججاً له على خلقه، فتتأكّد عندهم منازلهم وتكون رؤيتهم تذكاراً لهم بهم وبما سيكون من أمرهم.

وقد جاء في الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في السماء لمّا عرج به ملكاً على صورة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهذا خبر اتّفق أصحاب الحديث من السنّة

والشيعة على نقله، حدّثني به من طريق العامّة أبو الحسن محمّد بن أحمد بن شاذان عن جعفر بن محمد بن مسرور عن الحسين بن محمّد عن أحمد بن علويه عن إبراهيم ابن محمّد عن عبد الله بن صالح عن حديد عن عبد الحميد عن مجاهد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لمّا لُسري بي إلى السماء ما مررت بملأ من الملائكة إلّا سألوني عن علي بن أبي طالب حتّى ظننت أنّ اسم علي أشهر في السماء من اسمي، فلمّا بلغت السماء الرابعة نظرت إلى ملك الموت عليه السلام فقال لي: يا محمّد، ما خلق الله خلقاً إلّا أقبض روحه بيدي ما خلا أنت وعليّ، فإنّ الله جلّ جلاله يقبض أرواحكما بقدرته. فلمّا صرت تحت العرش نظرت فإذا أنا بعليّ بن أبي طالب واقفاً تحت عرش ربّي، فقلت: يا عليّ سبقتني؟ فقال لي جبرئيل عليه السلام: يا محمّد، من هذا الذي يكلّمك؟ قلت: هذا أخي علي بن أبي طالب، قال لي: يا محمّد ليس هذا عليّاً، ولكنّه ملك من ملائكة الرحمان خلقه الله على صورة علي ابن أبي طالب، فنحن الملائكة المقرّبون كلّما اشتقنا إلى وجه علي بن أبي طالب زرنا هذا الملك، لكرامة علي بن أبي طالب على الله سبحانه.

فيصحّ على هذا الوجه أن يكون الذين رآهم رسول الله صلى الله عليه وآله ملائكة على صور الأئمة عليهم السلام، وجميع ذلك داخل في باب التجويز والإمكان والحمد لله. انتهى كلامه رفع الله مقامه.

يقول العلّامة المجلسي: ويحتمل أيضاً في رؤية من مضى ومن لم يأت، أن يكون صلى الله عليه وآله رأى أجسادهم المثالية أو أرواحهم على القول بتجسّمها، وقد مرّ بعض القول في ذلك في كتاب المعاد والله يهدي إلى الرشاد.

أقول:

ويمكن أن يكون من عالم الأنوار أو الأشباح الذي كان قبل خلق السماوات

والأرض، وما بينهما وقبل خلق آدم عليه السلام، كما ورد في الروايات الكثيرة، فتدبّر.

١٨ ـ عن المفضّل في حديث طويل في قصّة آدم وحوّاء وعرض الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً، فقال الإمام الصادق عليه السلام: فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنّكما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما، فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجلّ إلى أرضه، فاسألا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما.

فقالا: اللهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة إلّا تبت علينا ورحمتنا، فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم[1].

أقول: في هذا المعنى روايات كثيرة مختلفة إلّا أنّ مضمونها واحد، بأنّ الله سبحانه تاب على آدم وحوّاء بمحمّد وآله عليهم السلام، وأنّ أسماءهم وأنوارهم القدسيّة كانت على ساق العرش وحوله أو قدّامه، أي ثابتة في علم الله ورحمته وتدبيره وفي كلّ أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فلا تعرف ولا تنال إلّا بهم، فهم عليهم السلام الوجه إليها والدليل عليها، بل هم أسماء الله الحسنى التي بها يُدعى، فهم العرش الإلهي حقيقة وفي نفس الأمر، فهم من علم الله وقدرته، وهم جنب الله وروحه ويده وعينه ولسانه ووجهه في خلقه، كما جاء في أخبارنا الصحيحة، كلّ هذا باعتبار العلم وشُعبه ومتعلّقاته ومقاماته، فلا تغفل.

١٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكروبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم،

---

(١) البحار ٢٦: ٣٢٢، عن معاني الأخبار: ٣٧.

ثمّ قال : إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً[١].

٢٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال : اشهدا أن لا إله إلّا أنا، فشهدا، ثمّ قال : اشهدا أنّ محمّداً رسول الله، فشهدا، ثمّ قال : اشهدا أنّ عليّاً أمير المؤمنين، فشهدا[٢].

٢١ ـ إرشاد القلوب عن أبي ذرّ الغفاري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : افتخر إسرائيل على جبرائيل فقال : أنا خير منك. قال : ولِمَ أنت خير منّي ؟ قال : لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش، وأنا صاحب النفخة في الصور، وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى.

قال جبرئيل : أنا خير منك، فقال : بما أنت خيرٌ منّي ؟ قال : لأنّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والكسوف، وما أهلك الله أُمّة من الأُمم إلّا على يدي. فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما : اسكتا، وعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خيرٌ منكما، قالا : يا ربّ، أوَ تخلق خيراً منّا ونحن خلقنا من نور، قال الله تعالى : نعم، وأوحى إلى حجب القدرة انكشفي، فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب : «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين أحبّاء الله» فقال جبرئيل : يا ربّ، فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلّا جعلتني خادمهم، قال الله تعالى : قد جعلت. فجبرئيل عليه السلام من أهل البيت وإنّه خادمنا[٣].

---

(١) البحار، عن البصائر : ٢١.

(٢) البحار، عن اليقين : ٥٥.

(٣) البحار ٢٦ : ٣٤٥، عن إرشاد القلوب : ٢١٤.

٢٢ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صافح عليّاً فكأنّما صافحني، ومن صافحني فكأنّما صافح أركان العرش، ومن عانقه فكأنّما عانقني، ومن عانقني فكأنّما عانق الأنبياء كلّهم، ومن صافح محبّاً لعليّ غفر الله له الذنوب وأُدخل الجنّة بغير حساب[١].

أقول : أركان العرش ـ كما ذكرنا في تربيع العرش ـ عبارة عن التسبيحات الأربعة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر) وهذا خلاصة العلم بالله سبحانه حسب الطاقة البشرية، فمصافحته ربما يعني القرب منه، حتّى يحسّ به الإنسان العارف بالله وكأنّه يلمسه بكلّ وجوده، والمصافحة من باب المفاعلة التي تستلزم الطرفين كالمشاركة والمضاربة، فلا تغفل.

٢٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : أين محمّد وعليّ ؟ فيزخّ بكما إلى السماء حتّى توقفان بين يدي الله، فيقول لنبيّه عليه السلام : أورد عليّاً الحوض، وهذا كأس أعطه حتّى يسقي محبّيه وشيعته، ولا يسقي أحداً من مبغضيه، ويأمر لمحبّيه أن يحاسبوا حساباً يسيراً، ويؤمر بهم إلى الجنّة[٢].

٢٤ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : لمّا خلق الله العرش خلق سبعين ألف ملك وقال لهم : طوفوا بعرش النور وسبّحوني واحملوا عرشي، فطافوا وسبّحوا، وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا. فقال لهم الله : طوفوا بعرش النور فصلّوا على نور جلال محمّد حبيبي واحملوا عرشي، فطافوا بعرش الجلال وصلّوا على محمّد

---

(١) البحار ٢٧ : ١١٥.

(٢) المصدر.

وحملوا العرش، فأطاقوا حمله، فقالوا: ربّنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك، فقال الله لهم: يا ملائكتي، إذا صلّيتم على حبيبي محمّد فقد سبّحتموني وقدّستموني وهلّلتموني[١].

٢٥ ـ من كتاب النشر والطيّ عن الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال: وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش...[٢].

٢٦ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل في مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام ثمّ شهادة الإمام الحسين عليه السلام فيقول صلى الله عليه وآله عن الله في المعراج: وأمّا ابنها الآخر فتدعوه أُمّتك إلى الجهاد، ثمّ يقتلونه صبراً ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته، ثمّ يسلبون حرمه فيستعين بي وقد مضى القضاء منّي فيه بالشهادة له، ولمن معه، ويكون قتله حجّة على من بين قطريها، فتبكيه أهل السماوات والأرضين جزعاً عليه، وتبكيه ملائكة لم يدركوا نصرته، ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً به أنصرك وإنّ شبحه عندي تحت العرش ـ وفي نسخة أُخرى ـ: ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً أنتصر له به وإنّ شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطفئها بالقسط، يسير معه الرعب...[٣] وأمّا ابنك المقتول المخذول وابنك المغدور المقتول صبراً فإنّهما ممّا أُزيّن بهما عرشي، ولهما من الكرامة سوى ذلك ما لا يخطر على قلب بشر لما أصابهما من البلاء، ولكلّ من أتى قبره من الخلق، لأنّ زوّاره زوّارك وزوّارك زوّاري، وعليّ كرامة

(١) البحار ٢٧: ٢٥٩.

(٢) المصدر: ٢٦٢، عن بصائر الدرجات: ٢١.

(٣) البحار ٢٨: ٦٢، عن كامل الزيارات: ٢٣٢.

زائري، وأنا أُعطيه ما سأل وأجزيه جزاء يغبطه من نظر إلى تعظيمي له، وما أعددت له من كرامتي...

٢٧ ـ عن أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام وعلّقها بالعرش وأمرها بالتسليم عليّ والطاعة لي، وكان أوّل من سلّم عليّ وأطاعني من الرجال روح عليّ بن أبي طالب عليه السلام[١].

٢٨ ـ وفي خبر عن النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة زُيّن عرش الرحمن بكلّ زينة، ثمّ يؤتى بمنبرين من نور، طولهما مائة ميل، فيوضع أحدهما عن يمين العرش، والآخر عن يسار العرش، ثمّ يؤتى بالحسن والحسين عليهما السلام، فيزيّن الربّ تبارك وتعالى بهما عرشه كما يزيّن المرأة قرطاها[٢].

٢٩ ـ وعنه صلى الله عليه وآله: الحسن والحسين شنفا العرش وليسا بمعلّقين. (الشنف ـ بالفتح والسكون ـ: القرط الأعلى أو معلاق فوق الأُذن، وأمّا ما علّق في أسفلها فقرط).

٣٠ ـ عن سهل بن سعد الأنصاري، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَما كُنْت بِجانِبِ الطُّوْرِ إذْ نادَيْناهُ ﴾، قال: كتب الله عزّ وجلّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس، ثمّ وضعها على العرش، ثمّ نادى يا أُمّة محمّد: إنّ رحمتي سبقت غضبي، أُعطيكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن

(١) أمالي المفيد: ١٢٥.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٤١٨، عن أمالي الشيخ الصدوق: ٩٨ ـ ٩٩، ونقله البحار ٤٣: ٢٩١، والمنتخب: ١٥٨.

تستغفروني، فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلّا أنا وأنّ محمّداً عبدي ورسولي، أدخلته الجنّة برحمتي[١].

٣١ ـ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: كان الله ولا شيء غيره، فأوّل ما ابتدأ من خلق الله أن خلق محمّداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظلّة خضراء بين يديه، حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر.

٣٢ ـ عن صفوان، عن الصادق عليه السلام، قال: لمّا خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرّة، فقال عزّ وجلّ: هذان نوران لي مطيعان، فلخق الله من ذلك النور محمّداً وعليّاً والأصفياء من ولده عليهم السلام.

أقول: لا يخفى أنّ لنا مثل هذه الأحاديث الشريفة الكثير، ولا تعجب منها في فضل رسول الله وعترته الطاهرين، فإنّه دون الربوبيّة، قالوا عليهم السلام: (نزّلونا عن الربوبيّة وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا معشار عشر)، فهذا ليس من الغلوّ[٢].

ولا بأس أن أذكر ما جاء في البحار عن الشيخ المفيد قدس سره:

قال في جواب المسائل السرويّة حيث سئل: ما قوله ـ أدام الله تأييده ـ في معنى الأخبار المرويّة من الأئمة الهادية عليهم السلام في الأشباح وخلق الله تعالى الأرواح قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام وإخراج الذريّة من صلبه على صور الذرّ، ومعنى قول

(١) البحار ٣: ١٢، عن ثواب الأعمال.

(٢) لقد تعرّضت إلى ذلك بالتفصيل في (هذه هي الولاية)، و(جلوة من ولاية أهل البيت عليهم السلام)، فراجع.

رسول الله صلى الله عليه وآله: الأرواح جنود مجنّدة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف؟

الجواب ـ وبالله التوفيق ـ: إنّ الأخبار بذكر الأشباح تختلف ألفاظها وتتباين معانيها، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة، وصنّفوا فيها كتباً لغوا فيها، وهزؤوا فيما أثبتوه منه في معانيها، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحقّ، وتخرّصوا الباطل بإضافتها إليهم، من جملتها كتاب سمّوه كتاب (الأشباح والأظلّة) نسبوه في تأليفه إلى محمّد بن سنان، ولسنا نعلم صحّة ما ذكروه في هذا الباب عنه، وإن كان صحيحاً، فإنّ ابن سنان قد طعن عليه وهو متّهم بالغلوّ، فإن صدقوا في إضافة هذا الكتاب إليه فهو ضلال لضالّ عن الحقّ، وإن كذبوا فقد تحمّلوا أوزار ذلك، والصحيح من حديث الأشباح، الرواية التي جاءت عن الثقاة بأنّ آدم عليه السلام رأى على العرش أشباحاً يلمع نورها، فسأل الله تعالى عنها، فأوحى إليه أنّها أشباح رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم، وأعلمه أنّه لولا الأشباح التي رآها ما خلقه ولا خلق سماءً ولا أرضاً، والوجه فيما أظهر الله تعالى من الأشباح والصور لآدم أن دلّه على أنّ مصالح الدين والدنيا لا تتمّ إلّا بهم، ولم يكونوا في تلك الحال صوراً مجيبة، ولا أرواحاً ناطقة، لكنّها كانت على مثل صورهم في البشريّة، يدلّ على ما يكونوا عليه في المستقبل في الهيئة، والنور الذي جعله عليهم يدلّ على نور الدين بهم، وضياء الحقّ بحججهم، وقد روي أنّ أسماءهم كانت مكتوبة إذ ذاك على العرش، وأنّ آدم عليه السلام لمّا تاب إلى الله عزّ وجلّ وناجاه بقبول توبته سأله بحقّهم عليه ومحلّهم عنده فأجابه، وهذا غير منكر في العقول، ولا مضادّ للشرع المنقول، وقد رواه الصالحون المأمومون، وسلّم لروايته طائفة الحقّ، ولا طريق إلى إنكاره، والله وليّ التوفيق[١].

(١) البحار ٥: ٢٦٢.

٣٣ ـ قال الإمام الرضا عليه السلام : إنّ آدم عليه السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكّره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة، قال في نفسه : هل خلق الله بشراً أفضل منّي ؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه : ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين وزوجه فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة. فقال آدم عليه السلام : يا ربّ، من هؤلاء ؟ قال عزّ وجلّ : من ذرّيتك وهم خيرٌ منك ومن جميع خلقي، لولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري، فنظر إليهم بعين الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة التي نهي عنها، وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم، فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض[1].

٣٤ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال : فلمّا أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما : إنّكما إنّما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجلّ إلى أرضه، فسلا ربّكما بحقّ الأسماء التي رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا : (اللهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك، محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة، إلّا تبت علينا ورحمتنا)، فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرحيم[2].

(١) البحار ١١ : ١٦٥، عن معاني الأخبار : ٤٢، وعيون الأخبار : ١٧٠.

(٢) البحار ١١ : ١٧٤.

٣٥ ـ عن ابن عباس في حديث قال : فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال : يا ربّ، خلقت خلقاً أحبّ إليك منّي ؟ فلم يجب، ثمّ قال الثانية، فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله عزّ وجلّ له : نعم ولولاهم ما خلقتك. فقال : يا ربّ، فأرينهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ملائكة الحجب : أن ارفعوا الحجب، فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش، فقال : يا ربّ من هؤلاء ؟ قال : يا آدم هذا محمّد نبيّي، وهذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّي ووصيّه، وهذه فاطمة ابنة نبيّي، وهذا الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيّي، ثمّ قال : يا آدم هم ولدك، ففرح بذلك، فلمّا اقترف الخطيئة قال : يا ربّ، أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا، فهذا الذي قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ ﴾، فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه (محمّد رسول الله وعليّ أمير المؤمنين)، ويكنّى آدم بأبي محمّد[1].

٣٦ ـ عن معاذ بن جبل أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام، قلت : فأين كنتم يا رسول الله ؟ قال : قدّام العرش، نسبّح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّد، قلت : على أيّ مثال ؟ قال : أشباح نور حتّى إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يخلق صورنا صيّرنا عمود نور، ثمّ قذفنا في صلب آدم ثمّ أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأُمّهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر، يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون، فلمّا صيّرنا إلى صلب عبد المطّلب أخرج ذلك النور فشقّه نصفين، فجعل نصفه في عبد الله، ونصفه في أبي طالب، ثمّ أخرج الذي لي إلى آمنة، والنصف إلى فاطمة

(١) المصدر : ١٧٥.

بنت أسد، فأخرجتني آمنة، وأخرجت فاطمة عليّاً، ثمّ أعاد الله عزّ وجلّ العمود إليّ فخرجت منّي فاطمة، ثمّ أعاد عزّ وجلّ العمود إلى عليّ فخرج منه الحسن والحسين ـ يعني من النصفين جميعاً ـ فما كان من نور عليّ فصار في ولد الحسن، وما كان من نوري صار في ولد الحسين، فهو ينتقل في الأئمّة من ولده إلى يوم القيامة[١].

٣٧ ـ عن أبي ذرّ الغفاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل في وصف المعراج ساقه إلى أن قال: قلت: يا ملائكة ربّي هل تعرفونا حقّ معرفتنا؟ فقالوا: يا نبيّ الله وكيف لا نعرفكم وأنتم أوّل ما خلق الله؟ خلقكم أشباح نور من نوره في نور من سناء عزّه، ومن سناء ملكه، ومن نور وجهه الكريم، وجعل لكم مقاعد في ملكوت سلطانه، وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيّة والأرض مدحيّة، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ثمّ رفع العرش إلى السماء السابعة فاستوى على عرشه، وأنتم أمام عرشه تسبّحون وتقدّسون وتكبّرون، ثمّ خلق الملائكة من بدء ما أراد من أنوار شتّى، وكنّا نمرّ بكم وأنتم تسبّحون وتحمدون وتهلّلون وتكبّرون وتمجّدون وتقدّسون فنسبّح ونقدّس ونمجّد ونكبّر ونهلّل بتسبيحكم وتمجيدكم وتهليلكم وتكبيركم وتقديسكم وتمجيدكم، فما أُنزل من الله فإليكم وما صعد إلى الله فمن عندكم، فلِمَ لا نعرفكم؟ اقرأ علياً منّا السلام[٢].

٣٨ ـ عن أنس عن النبيّ في حديث: فلمّا أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش، فالعرش من نوري، ونوري من نور الله، ونوري أفضل من العرش[٣].

(١) البحار ١٥: ٨، عن علل الشرائع: ٨٠.

(٢) المصدر: ٨، عن تفسير فرات: ١٣٤.

(٣) المصدر: ١٠.

عن أنس بن مالك قال: قلت للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله، عليّ أخوك؟ قال: نعم، عليّ أخي. قلت: يا رسول الله، صف لي كيف عليّ أخوك؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثة آلاف عام، وأسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه إلى أن خلق آدم، فلمّا خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم، إلى أن قبضه الله، ثمّ نقله إلى صلب شيث، فلم يزل ذلك الماء ينتقل من ظهر إلى ظهر حتّى صار في عبد المطّلب، ثمّ شقّه الله عزّ وجلّ نصفين: فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطّلب، ونصفه في أبي طالب، فأنا من نصف الماء وعليّ من النصف الآخر، فعليّ أخي في الدنيا والآخرة، ثمّ قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ **وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَديراً** ﴾[١].

٣٩ ـ عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: لمّا خلق الله عزّ ذكره آدم ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنّته وزوّجه حوّاء أمته، فرفع طرفه نحو العرش فإذا هو بخمسة سطور مكتوبات، قال آدم: يا ربّ، من هؤلاء؟ قال الله عزّ وجلّ له: هؤلاء الذين إذا تشفّع بهم إليّ خلقي شفّعتهم فقال آدم: يا ربّ، بقدرهم عندك ما اسمهم؟ قال: أمّا الأوّل فأنا المحمود وهو محمّد، والثاني فأنا العالي الأعلى وهذا علي، والثالث فأنا الفاطر وهذه فاطمة، والرابع فأنا المحسن وهذا الحسن، والخامس فأنا ذو الإحسان وهذا حسين، كلّ يحمد الله عزّ وجلّ[٢].

(١) المصدر: ١٤، عن أمالي ابن الشيخ: ١٩٧.

(٢) البحار ١٥: ١٤، عن معاني الأخبار: ٢١.

وبهذا المضمون أخبار كثيرة في البحار في كتاب الإمامة، فراجع.

٤٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً من طينة من جوهرة تحت العرش[١]، وعنه عليه السلام، قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق محمّداً، وعترته من طينة العرش، فلا ينقص منهم واحد ولا يزيد منهم واحد.

لا يخفى أنّه لا تنافي بين الروايات في هذا الباب فخلقتهم قبل العرش باعتبار أنوارهم المجرّدة المقدّسة، ومن تحت العرش باعتبارهم الخلق اللطيف المتلائم مع تلك العوالم قبل خلق الدنيا والعالم السفلي، فتدبّر.

٤١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث المرأة من الجنّ وأنّها رأت إبليس يدعو بهذا الدعاء: (إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنّم فأسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا خلّصتني منها، وحشرتني معهم)، فقلت: يا حارث ما هذه الأسماء التي تدعو بها؟ قال لي: رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنّهم أكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، فأنا أسأله بحقّهم، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم[٢].

٤٢ ـ في كنز الفوائد في قصّة الجارود بن المنذر ودخوله على رسول الله وقصّة المعراج فقال: ثمّ قلت: يا رسول الله، أنبئني أنبأك الله بخبر عن هذه الأسماء التي لم نشهدها وأشهدنا قسّ ذكرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا جارود، ليلة لُسري بي إلى السماء أوحى الله عزّ وجلّ إليّ أن سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ فقلت: على ما بُعثتم؟ فقالوا: على نبوّتك وولاية عليّ بن أبي طالب والأئمة منكما،

(١) المصدر: ٢٢، عن بصائر الدرجات: ٥.

(٢) البحار ١٨: ٨٣، عن الخصال ٢: ١٧١.

ثمّ أوحى إليّ أن التفت عن يمين العرش، فالتفت فإذا عليّ والحسن والحسين وعليّ ابن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمّد ابن عليّ وعليّ بن محمّد والحسن بن عليّ والمهدي في ضحضاح من نور يصلّون، فقال لي الربّ تعالى: هؤلاء الحجج أوليائي، وهذا المنتقم من أعدائي، قال الجارود فقال لي سلمان: يا جارود، هؤلاء المذكورون في التوراة والإنجيل والزبور كذاك[١].

٤٣ ـ عن أبي محمّد العسكري عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: سمعت جدّي رسول الله يقول: ليلة أسري بي ربّي عزّ وجلّ رأيت في بطنان العرش ملكاً بيده سيف من نور يلعب به كما يلعب عليّ بن أبي طالب عليه السلام بذي الفقار، وإنّ الملائكة إذا اشتاقوا إلى عليّ بن أبي طالب نظروا إلى وجه ذلك الملك، فقلت: يا ربّ، هذا أخي عليّ بن أبي طالب وابن عمّي؟ فقال: يا محمّد، هذا ملك خلقته على صورة عليّ يعبدني في بطنان عرش، تكتب حسناته وتسبيحه وتقديسه لعليّ ابن أبي طالب إلى يوم القيامة[٢].

بيان: قال الجزري: فيه ينادي منادٍ من بطنان العرش، أي من وسطه، وقيل: من أصله، وقيل: البطنان جمع بطن وهو الغامض من الأرض، يريد من داخل العرش.

٤٤ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ، إنّه لمّا لُسري بي إلى السماء تلقّتني الملائكة بالبشارات في كلّ سماء حتّى لقيني جبرئيل في محفل من الملائكة، فقال: لو اجتمعت أُمّتك على حبّ

(١) المصدر: ٢٩٧.

(٢) البحار ١٨: ٣٥٤، عن عيون أخبار الرضا: ٢٧٢.

عليّ ما خلق الله عزّ وجلّ النار، يا عليّ، إنّ الله تعالى أشهدك معي في سبعة مواطن حتّى آنست بك، أمّا أوّ ذلك فليلة لُسري بي إلى السماء قال لي جبرئيل عليه السلام: أين أخوك يا محمّد؟ فقلت: خلّفته ورائي، فقال: ادعُ الله عزّ وجلّ فليأتك به، فدعوت الله عزّ وجلّ فإذا مثالك معي، وإذا الملائكة وقوف صفوفاً، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يباهي الله عزّ وجلّ بهم يوم القيامة، فدنوت فنطقت بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة.

والثانية: حين لُسري بي إلى ذي العرش عزّ وجلّ قال جبرئيل: أين أخوك يا محمّد؟ فقلت: خلّفته ورائي، فقال: ادعُ الله عزّ وجلّ فليأتك به، فدعوت الله عزّ وجلّ فإذا مثالك معي، وكشط لي عن سبع سماوات حتّى رأيت سكّانها وعمّارها وموضع كلّ ملك منها ـ إلى أن يقول: ـ فلمّا جاوزت السدرة وانتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على قائمة من قوائم العرش (لا إله إلّا الله أنا وحدي محمّد حبيبي وصفوتي من خلقي أيّدته بوزيره وأخيه ونصرته به)[1].

٤٥ ـ وفي حديث المعراج أيضاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ذو مِرَّةٍ فَاسْتَوىٰ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشىٰ ﴾ قال صلى الله عليه وآله: ثمّ صعد بي حتّى صرت تحت العرش فدلّى لي رفرف أخضر ما أُحسن أصفه، فرفعني الرفرف بإذن الله إلى ربّي فصرت عنده، وانقطع عنّي أصوات الملائكة ودويّهم، وذهبت عنّي المخاوف والروعات وهدأت نفسي واستبشرت، وظننت أنّ جميع الخلائق قد ماتوا أجمعين، ولم أرَ عندي أحداً من خلقه فتركني ما شاء الله ...[2].

(١) المصدر: ٣٨٩.

(٢) المصدر: ٣٩٥.

٤٦ ـ وفي حديث المعراج أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فلمّا جاوزت السدرة انتهيت إلى عرش ربّ العالمين وجدت مكتوباً على كلّ قائمة من قوائم العرش: (أنا الله لا إله إلّا أنا محمّد حبيبي أيّدته بوزيره ونصرته بوزيره)[1].

ولا منافاة بين الروايات لتعدّد الرؤية والكتابات، ويدلّ هذا على عظمة الولاية، وإكمال الدين، وامتداد النبوّة وتأيّدها بها، فلا تغفل.

٤٧ ـ وفي حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: فقام عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا رسول الله، أنسبني من أنا لتعرف الناس قرابتي منك.

فقال: يا عليّ، خلقت أنا وأنت من عمودين من نور معلّقين من تحت العرش، يقدّسان الملك من قبل أن يخلق الخلق بألفي عام، ثمّ خلق من ذينك العمودين نطفتين بيضاوين ملتويتين، ثمّ نقل تلك النطفتين في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الزكيّة الطاهرة حتّى جعل نصفها في صلب عبد الله، ونصفها في صلب أبي طالب، فجزء أنا وجزء أنت، وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكانَ رَبُّكَ قَديراً ﴾.

يا عليّ، أنت منّي وأنا منك، سبط لحمك بلحمي ودمك بدمي، وأنت السبب فيما بين الله وبين خلقه بعدي، فمن جحد ولايتك قطع السبب الذي فيما بينه وبين الله، وكان ماضياً في الدركات.

يا عليّ، ما عرف الله إلّا بي ثمّ بك، ومن جحد ولايتك جحد الله ربوبيّته.

يا عليّ، أنت علم الله بعدي الأكبر في الأرض، وأنت الركن الأكبر في القيامة، فمن استظلّ بفيئك كان فائزاً لأنّ حساب الخلائق إليك ومآبهم إليك،

(١) البحار ١٨: ٤٠٨.

والميزان ميزانك والصراط صراطك، والموقف موقفك، والحساب حسابك، فمن ركن إليك نجا، ومن خالفك هوى وهلك، اللهمّ اشهد اللهمّ اشهد، ثمّ نزل[1].

٤٨ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من ليلة جمعة إلّا ولأولياء الله فيها سرور، قلت: كيف ذاك جعلت فداك؟ قال: إذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافيت معه، فما أرجع إلّا بعلمٍ مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[2].

٤٩ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمّد فيكسى حلّة ورديّة ثمّ يقام عن يمين العرش ثمّ يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء، فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين النبيّ صلى الله عليه وآله، ثمّ يدعى بإسماعيل فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم عليه السلام، ثمّ يدعى بالحسن فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ يدعى بالحسين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين الحسن، ثمّ يدعى بالأئمة فيكسون حللاً ورديّة فيقام كلّ واحد عن يمين صاحبه، ثمّ يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمّ يدعى بفاطمة عليها السلام ونساؤها من ذرّيتها وشيعتها فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأُفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمّة الراشدون ذرّيتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه

(١) البحار ٢٢: ١٤٨، عن كتاب سليم بن قيس: ٢١٥.

(٢) البحار ٢٢: ٥٥٢، عن الاختصاص: ٣١٢.

وسبطيه هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة وذلك قوله: ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فازَ ﴾[1].

٥٠ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر، قيل: يا رسول الله، فكم بينك وبين عليّ في الفردوس الأعلى؟ قال: فتر أو أقلّ من فتر ـ وهو ما بين طرف الإبهام وطرف السبّابة إذا فتحهما ـ أنا وعليّ من نور عرش ربّنا، وعليّ على كرسيّ من نور كرسيّ ربّنا، لا يدرى أيّنا أقرب من ربّه عزّ وجلّ.

٥١ ـ روى الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وروى الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام، واللفظ له، كلّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله، قال: ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة، أنا على دابّة الله البراق، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرت، وعمّي حمزة على ناقتي الغضباء، وأخي علي بن أبي طالب عليه السلام على ناقة من نوق الجنّة بيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش، ينادي (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله)، قال: فيقول الآدميّون: ما هذا إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش ربّ العالمين، قال: فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: ما هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش، هذا الصدّيق الأكبر، هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وقد رواه الخطيب في تأريخه بإسناده عن أبي هريرة وأبو جعفر الطوسي في أماليه بإسناده إلى هارون الرشيد عن المهدي عن المنصور عن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس، إلّا أنّهما لم يذكرا حمزة وقالا في موضعه: فاطمة عليها السلام[2].

٥٢ ـ عن شهاب بن عبد ربّه قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: يا شهاب،

(١) البحار ٢٣: ١٣١، عن تفسير القمّي: ١١٦، والآية في سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) المصدر ٣٩: ٢٢٣.

نحن شجرة النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، ونحن عهد الله وذمّته، ونحن ودّ الله وحجّته، كنّا أنوار صفوف حول العرش، نسبّح فيسبّح أهل السماء بتسبيحنا، إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبّحنا فسبّح أهل الأرض بتسبيحنا، وإنّا لنحن الصافّون، وإنّا لنحن المسبّحون، فمن وفى بذمّتنا فقد وفى بعهد الله عزّ وجلّ وذمّته، ومن خفر ذمّتنا فقد خفر ذمّة الله عزّ وجلّ وعهده[1].

٥٢ ـ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض خطبه: إنّا آل محمّد كنّا أنواراً حول العرش، فأمرنا الله بالتسبيح فسبّحنا فسبّحت الملائكة بتسبيحنا.

٥٤ ـ كنز الفوائد بسنده عن محمّد بن زياد قال: سأل ابن مهران عبد الله بن العبّاس عن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحونَ ﴾؟ قال ابن عباس: إنّا كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فلمّا رآه النبيّ صلى الله عليه وآله تبسّم في وجهه وقال: مرحباً بمن خلقه الله قبل آدم بأربعين ألف عام. فقلت: يا رسول الله، أكان الإبن قبل الأب؟ قال: إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً عليه السلام قبل أن يخلق آدم بهذه المدّة، خلق نوراً فقسّمه نصفين فخلقني من نصفه وخلق عليّاً عليه السلام من النصف الآخر قبل الأشياء كلّها، ثمّ خلق الأشياء فكانت مظلمة، فنوّرها من نوري ونور عليّ عليه السلام ثمّ جعلنا عن يمين العرش، ثمّ خلق الملائكة فسبّحنا فسبّحت الملائكة وهلّلنا فهلّلت الملائكة، وكبّرنا فكبّرت الملائكة، فكان ذلك من تعليمي وتعليم عليّ عليه السلام.

٥٥ ـ تفسير القمّي: في قوله تعالى: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله والأوصياء من بعده يحملون علم الله.

(١) البحار ٢٤: ٨٨، عن تفسير القمّي: ٥٦٠، الباب ٤٣، وفيه ١١ رواية.

٥٦ ـ بصائر الدرجات عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: سمعته يقول: إنّ الله إذا أراد أن يخلق الإمام من الإمام بعث ملكاً فأخذ شربة من تحت العرش، ثمّ أوصلها أو دفعها إلى الإمام فيمكث في الرحم أربعين يوماً لا يسمع الكلام، ثمّ يسمع بعد ذلك، فإذا وضعته أُمّه بعث الله ذلك الملك الذي كان أخذ شربة ويكتب على عضده الأيمن: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ ﴾[1].

٥٧ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً صلى الله عليه وآله من جوهرة تحت العرش، وإنّه كان لطينته نضج فجبل طينة أمير المؤمنين عليه السلام من نضج طينة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لطينة أمير المؤمنين عليه السلام نضج فجبل طينتنا من فضل طينة أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت لطينتنا نضج فجبل طينة شيعنا من نضج طينتنا، فقلوبهم تحنّ إلينا، وقلوبنا تعطف عليهم تعطّف الوالد على الولد، ونحن خير لهم وهم خير لنا، ورسول الله لنا خير ونحن له خير[2].

٥٨ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق محمّداً وعترته من طينة العرش، فلا ينقص منهم واحداً ولا يزيد منهم واحد[3].

٥٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: خلقنا الله من نور عظمته، ثمّ صوّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنّا نحن خلقاً وبشراً نوراً نبيّن، لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من أبداننا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من ذلك الطينة،

(١) المصدر: ١٧٨، عن البصائر: ١٣٠، والآية في الأنعام: ١١٥.

(٢) البحار ٢٥: ٨، عن البصائر: ٥.

(٣) المصدر والمرجع.

ولم يجعل الله لأحد في مثل ذلك الذي خلقهم منه نصيباً إلّا الأنبياء والمرسلين فكذلك صرنا نحن وهم ؟؟؟؟؟ وسائر الناس همجاً في النار وإلى النار.

٦٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال لأبي يحيى : يا أبا يحيى لنا في ليالي الجمعة لشأن من الشأن، قال : فقلت له : جعلت فداك وما ذلك الشأن ؟ قال : يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم يعرج بها إلى السماء حتّى توافي عرش ربّها فتطوف بها أُسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا وأُعطوا سروراً، ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم فقد زيد في علمه مثل جمّ غفير[١].

٦١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إذا كانت ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش ووافيت معه فما أرجع إلّا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لنفد ما عندنا[٢].

وفي هذا الباب روايات كثيرة لم نتعرّض لها طلباً للاختصار.

٦٢ ـ روى عن القاسم بن معاوية قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : هؤلاء يروون حديثاً في معراجهم أنّه لمّا لُسري برسول الله صلى الله عليه وآله رأى على العرش لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أبو بكر الصدّيق. فقال : سبحان الله، غيّروا كلّ شيء حتّى هذا ؟ قلت : نعم، قال : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب على قوائمه : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين[٣].

(١) البحار ٢٦ : ٩٠، عن البصائر : ٣٦.

(٢) المصدر والمرجع.

(٣) البحار ٢٧ : ١، عن الاحتجاج : ٨٣، وفي البحار الباب الأوّل وفيه ٢٨ رواية بهذا المضمون.

قال رسول الله : رأيت ليلة الإسراء مكتوباً على قائمة من قوائم العرش : أنا الله لا إله إلّا أنا وحدي خلقت جنّة عدن بيدي، محمّد صفوتي من خلقي أيّدته بعليّ ونصرته بعليّ.

٦٣ ـ عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

لمّا أن خلق الله تعالى آدم وقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده فقال : يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك، قال آدم : يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم ؟ فقال تعالى : يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر : لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة، السطر الثاني : آليت على نفسي أن أرحم من والاهما واعُذّب من عاداهما[١].

٦٤ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لمّا أخطأ آدم خطيئته توجّه بمحمّد وأهل بيته، فأوحى الله إليه : يا آدم ما علمك بمحمّد ؟ قال : حين خلقتني رفعت رأسي فرأيت في العرش مكتوباً : محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين.

٦٥ ـ عن ابن عباس قال رسول الله : والذي بعثني بالحقّ بشيراً ما استقرّ الكرسيّ والعرش ولا دار الفلك ولا قامت السماوات والأرض إلّا بأن كتب عليها : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين[٢].

٦٦ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مكتوب على العرش : لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مقيم الحجّة، من عرف حقّ عليّ زكى وطاب، ومن أنكر حقّه لعن

(١) البحار ٢٧ : ٦.

(٢) المصدر : ٨، عن اليقين في إمرة أمير المؤمنين.

وخاب، أقسمت بعزّتي أن أُدخل الجنّة من أطاعه وإن عصاني، وأقسمت بعزّتي أن أُدخل النار من عصاه وإن أطاعني[١].

وعندنا في هذا المعنى عشرات الروايات فلا نطيل طلباً للاختصار، وإذا أردت التفصيل فراجع بحار الأنوار.

٦٧ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّي لأعرف بطرق السماوات من طرق الأرض، ونحن الاسم المخزون المكنون، نحن الأسماء الحسنى التي إذا سئل الله عزّ وجلّ بها أجاب، نحن الأسماء المكتوبة على العرش، ولأجلنا خلق الله عزّ وجلّ السماء والأرض والعرش والكرسي والجنّة والنار، ومنّا تعلّمت الملائكة التسبيح والتقديس والتوحيد والتهليل والتكبير، ونحن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه[٢].

٦٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خلقت أنا وعليّ بن أبي طالب من نور واحد نسبّح الله بمنة العرش قبل أن يخلق آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله آدم جعل ذلك النور في صلبه[٣].

٦٩ ـ في تفسير أهل البيت عليهم السلام أنّ قوله: ﴿ **هَلْ أَتى عَلى الإنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ** ﴾ يعني به عليّاً عليه السلام وتقدير الكلام: ما أتى على الإنسان زمان من الدهر إلّا وكان فيه شيئاً مذكوراً، وكيف لم يكن مذكوراً وإنّ اسمه مكتوب على ساق العرش وعلى باب الجنّة والدليل على هذا القول قوله: ﴿ **إنَّا خَلَقْنا الإنْسانَ مِنْ**

(١) المصدر: ١٠.

(٢) البحار ٢٧: ٣٩.

(٣) البحار ٣٥: ٣٣.

نُطْفَةٍ ﴾ ومعلوم أنّ آدم عليه السلام لم يخلق من النطفة[١].

٧٠ ـ روي عن عبد الله بن مسعود قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله فسلّمت وقلت: يا رسول الله أرني الحقّ أنظر إليه بياناً.

فقال: يا ابن مسعود لُجّ المخدع فانظر ماذا ترى؟

قال: فدخلت فإذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهمّ بحقّ نبيّك محمّد إلّا ما غفرت للمذنبين من شيعتي، فخرجت لأُخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، فوجدته راكعاً وساجداً وهو يخشع في ركوعه وسجوده ويقول: اللهمّ بحقّ عليّ وليّك إلّا ما غفرت للمذنبين من أُمّتي، فأخذني الهلع.

فأوجز صلى الله عليه وآله في صلاته وقال: يا ابن مسعود أكفراً بعد إيمان!

فقلت: لا وعيشك يا رسول الله غير أنّي نظرت إلى عليّ وهو يسأل الله تعالى بجاهك، ونظرت إليك وأنت تسأل الله بجاهه، فلا أعلم أيّكما أوجه عند الله تعالى من الآخر؟

فقال: يا ابن مسعود، إنّ الله تعالى خلقني وخلق عليّاً والحسن والحسين من نور قدسه، فلمّا أراد أن ينشئ خلقه فتق نوري وخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ وخلق منه العرش والكرسي، وعليّ والله أجلّ من العرش والكرسي ـ باعتبار شرافة العلّة على المعلول ـ وفتق نور الحسن وخلق منه الحور العين والملائكة، والحسن والله أجلّ من الحور العين والملائكة، وفتق نور الحسين وخلق منه اللوح والقلم، والحسين والله

(١) البحار ٣٥: ٢٥٤، عن المناقب ١: ٥٨٠.

أجلّ من اللوح والقلم، فعند ذلك اظلمّت المشارق والمغارب، فضجّت الملائكة ونادت: إلهنا وسيّدنا بحقّ الأشباح التي خلقتها إلّا ما فرّجت عنّا هذه الظلمة، فعند ذلك تكلّم الله بكلمةٍ أُخرى فخلق منها روحاً، فاحتمل النور الروح فخلق منه الزهراء فاطمة، فأقامها أمام العرش، فأزهرت المشارق والمغارب، فلأجل ذلك سمّيت الزهراء.

يا ابن مسعود، إذا كان يوم القيامة يقول الله عزّ وجلّ لي ولعليّ: أدخلا الجنّة من أحببتما، وألقيا في النار من أبغضتما، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيد** ﴾.

فقلت: يا رسول الله، من الكفّار العنيد؟

قال: الكفّار من كفر بنبوّتي والعنيد من عاند عليّ بن أبي طالب عليه السلام[1].

٧١ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث قال: إذا كان يوم القيامة دعا الله بالنبيّ وبعليّ عليهما السلام فيجلسان على كرسي الكرامة بين يدي العرش، كلّما خرجت زمرة من شيعتهم فيقولون هذا النبيّ وهذا الوصيّ فيقول بعضهم لبعض (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله) بولاية النبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ والأئمة من ولدهم عليهم السلام، فيؤمر بهم إلى الجنّة[2].

٧٢ ـ عن جابر الجعفي أنّه سأل جعفر بن محمّد عليه السلام عن تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شيعَتِهِ لإبْراهيمَ** ﴾ فقال عليه السلام: إنّ الله سبحانه لمّا خلق إبراهيم كشف له بصره، فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش، فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال: هذا نور

(١) البحار ٣٦: ٧٤، عن كنز الفوائد.

(٢) البحار ٣٦: ١١٥.

محمّد صفوتي من خلقي، ورأى نوراً من جنبه فقال: إلهي ما هذا النور؟ فقال: نور عليّ بن أبي طالب عليه السلام ناصر ديني، ورأى إلى جنبهما ثلاثة أنوار فقال: إلهي ما هذه الأنوار؟ فقيل له: هذا نور فاطمة، فطمت محبّيها من النار، ونور ولديها الحسن والحسين، فقال: إلهي وأرى تسعة أنوار قد أحدقوا بهم، قيل: يا إبراهيم هؤلاء الأئمة من ولد عليّ وفاطمة، فقال إبراهيم: إلهي بحقّ هؤلاء الخمسة إلّا عرّفتني من التسعة؟ قيل: يا إبراهيم أوّلهم عليّ بن الحسين وابنه محمّد وابنه جعفر وابنه موسى وابنه عليّ وابنه محمّد وابنه عليّ وابنه الحسن والحجّة القائم، فقال إبراهيم: إلهي وسيّدي أرى أنواراً قد أحدقوا بهم لا يحصي عددهم إلّا أنت؟ فقيل: يا إبراهيم هؤلاء شيعتهم شيعة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال إبراهيم: وبما تعرف شيعته؟ قال: بصلاة إحدى وخمسين والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والقنوت قبل الركوع والتختّم باليمين، فعند ذلك قال إبراهيم: اللهمّ اجعلني من شيعة أمير المؤمنين. قال: فأخبر الله تعالى في كتابه فقال: ﴿ **وَإِنَّ مِنْ شيعَتِهِ لإبْراهيم** ﴾[1].

٧٣ ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل في المعراج: قال: ثمّ صعد بي إلى تحت العرش فدنا إليّ رفرف أخضر، فرفعني الرفرف بإذن الله إلى ربّي[2].

٧٤ ـ وعنه في حديث طويل قال: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام، ثمّ نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين وإلى أرحام المطهّرات. قلت: يا رسول الله فأين كنتم؟ وعليّ أيّ مثل

(١) البحار ٣٦: ١٥٢، عن الكنز، وفي تفسير البرهان ٤: ٢٠.

(٢) البحار ٣٦: ١٦٢.

كنتم ؟ قال : كنّا أشباحاً من نور تحت العرش نسبّح الله ونقدّسه ونمجّده[١].

٧٥ ـ وفي آخر طويل أيضاً قال صلى الله عليه وآله : لمّا عرج بي إلى المساء نظرت إلى ساق العرش فإذا هو مكتوب بالنور : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعليّ ونصرته بعليّ ورأيت أحد عشر اسماً مكتوباً بالنور على ساق العرش بعد عليّ : الحسن والحسين عليّاً عليّاً عليّاً ومحمّداً محمّداً وجعفراً وموسى والحسن والحجّة، قلت : إلهي وسيّدي من هؤلاء الذين أكرمتهم وقرنت أسماءهم باسمك ؟ فنوديت : يا محمّد هم الأوصياء بعدك والأئمة فطوبى لمحبّيهم والويل لمبغضيهم[٢].

وفي هذا المضمار روايات عديدة.

٧٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال : أخبرني جبرئيل عليه السلام لمّا أثبت الله تبارك وتعالى اسم محمّد في ساق العرش قلت : يا ربّ هذا الاسم مكتوب في سرادق العرش أرى أعزّ خلقك عليك قال : فأراه الله اثنى عشر أشباحاً أبداناً بلا أرواح بين السماء والأرض[٣].

٧٧ ـ وفي حديث آخر : ثمّ خلق العرش فكتب على أركانه لا إله إلّا الله محمّد رسول الله عليّ وصيّه[٤].

٧٨ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أن يخلق السماوات والأرض والعرش والكرسي

(١) المصدر : ٣٠٢، إرشاد القلوب : ٢٧٢.

(٢) البحار ٣٦ : ٣٢٦.

(٣) المصدر : ٣٤١.

(٤) المصدر : ٣٤٢.

واللوح والقلم والجنّة والنار وقبل أن خلق آدم ونوحاً ... ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام ...

٧٩ ـ عن عبد الله بن العباس في حديث في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وما أعطاه الله وأعطى رسوله قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أعطاني الله تعالى خمساً وأعطى عليّاً عليه السلام خمساً ـ إلى أن قال ـ : وقالوا لي : يا محمّد والذي بعثك بالحقّ لقد دخل السرور على جميع الملائكة باستخلاف الله عزّ وجلّ لك ابن عمّك، ورأيت حملة العرش قد نكسوا رؤوسهم إلى الأرض، فقلت : يا جبرئيل لِمَ نكس حملة العرش رؤوسهم ؟ فقال : يا محمّد ما من ملك من الملائكة إلّا وقد نظر إلى وجه عليّ بن أبي طالب استبشاراً به ما خلا حملة العرش، فإنّهم استأذنوا الله عزّ وجلّ في هذه الساعة فأذن لهم أن ينظروا إلى عليّ بن أبي طالب فنظروا إليه[١] ...

٨٠ ـ وعن ابن عباس في حديث احتجاج اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال : إنّ الله عزّ وجلّ أعطاني نهراً في السماء مجراه من تحت العرش، وعليه ألف ألف قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضّة حشيشتها الزعفران ورضراضها الدرّ والياقوت، وأرضها المسك الأبيض، فذاك خير لي ولأُمّتي وذلك قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ** ﴾ قالوا : صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة[٢].

٨١ ـ عن الإمام الكاظم في حديث عن أمير المؤمنين عليه السلام : ومحمّد صلى الله عليه وآله ناجاه الله جلّ ثناؤه فوق سبع سماوات رفعه عليهن فناجاه في موطنين : أحدهما

(١) المصدر ١٦ : ٣١٨.

(٢) المصدر : ٣٢٨.

عند سدرة المنتهى، وكان له هناك مقام محمود، ثمّ عرج به حتّى انتهى إلى ساق العرش، فقال عزّ وجلّ: ﴿ ثُمَّ دَنى فَتَدَلَّى ﴾[١].

٨٢ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خلق الله العرش خلق ملكين فاكتنفاه فقال: أشهد أن لا إله إلّا أنا، فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ محمّداً رسول الله فشهدا، ثمّ قال: اشهدا أنّ عليّاً أمير المؤمنين فشهدا[٢].

٨٣ـ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: افتخر إسرافيل على جبرائيل فقال: أنا خيرٌ منك، قال: ولِمَ أنت خيرٌ منّي؟ قال: لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش وأنا صاحب النفخة في الصور وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرائيل عليه السلام: أنا خيرٌ منك، فقال: بما أنت خير منّي؟ قال: لأنّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والقذوف، وما أهلك الله أُمّة من الأُمم إلّا على يدي، فاختصما إلى الله تعالى فأوحى إليهما: اسكتا فوعزّتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، قالا: يا ربّ أوَ تخلق خيراً منّا، ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم وأوحى إلى حجب القدرة: انكشفي فانكشفت، فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: (لا إله إلّا الله محمّد رسول الله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله) فقال جبرائيل: يا ربّ فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلّا جعلتني خادمهم قال الله تعالى: قد جعلت، فجبرائيل من أهل البيت وإنّه لخادمنا[٣].

(١) المصدر: ٣٤٤.

(٢) المصدر: ٣٦٤، عن كشف اليقين.

(٣) البحار ١٦: ٣٦٤، عن إرشاد القلوب ٢: ٢١٤.

٨٤ـ عن الأصبغ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ الأَعْلىٰ ﴾ فقال: مكتوب على قائمة العرش قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين بألفي عام: لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، فاشهدوا بهما، وأنّ عليّاً عليه السلام وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله[١].

٨٥ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْموداً ﴾ قال: يجلسه على العرش[٢].

قوله عليه السلام: (يجلسه على العرش) كناية عن رفعة مقامه وتفوّقه على الخلائق أجمعين أو يكون الجلوس حقيقة أو تشريفاً.

٨٦ـ عن المفضّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا مفضّل إنّ الله تبارك وتعالى جعل للنبيّ صلى الله عليه وآله خمسة أرواح: روح الحياة فيه دبّ ودرج، وروح القوّة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه أمر وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوّة، فإذا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله انتقل روح القدس، فصار في الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرّها وبحرها، قلت: جعلت فداك يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش[٣].

٨٧ـ ومن هذا الباب قصّة من عنده علم من الكتاب في قصّة سليمان وعرش بلقيس، فهو من الولاية التكوينيّة.

(١) المصدر: ٣٦٥، عن تفسير القمّي: ٧٢١.

(٢) المصدر: ٣٧٨.

(٣) المصدر ١٧: ١٠٦، عن بصائر الدرجات: ١٣٤.

٨٨ ـ عن المفضّل قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام ذات يوم: إنّ لنا في كلّ ليلة جمعة سروراً، قلت: زادك الله وما ذاك؟ قال: إنّه إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله صلى الله عليه وآله العرش، ووافى الأئمة عليهم السلام معهم، ووافيناهم، فلا تردّ أرواحنا إلى أبداننا إلّا بعلم مستفاد ولولا ذلك لنفذ ما عندنا[١].

٨٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: يا أبا يحيى لنا في ليالي الجمعة لشأن من الشأن، قال: فقلت له: جعلت فداك وما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى، وأرواح الأوصياء الموتى، وروح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتّى توافي عرش ربّها، فتطوف بها أُسبوعاً، وتصلّي عند كلّ قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثمّ تردّ إلى الأبدان التي كانت فيها، فتصبح الأنبياء والأوصياء، قد ملئوا وأُعطوا سروراً ويصبح الوصيّ الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ غفير[٢].

٩٠ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أرواحنا وأرواح النبيّين توافي العرش كلّ ليلة جمعة فتصبح الأوصياء وقد زيد في علمهم مثل جمّ الغفير من العلم[٣].

٩١ ـ وفي حديث في أفضليّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله على عيسى بن مريم عليه السلام وأنّه أحيا الموتى على يديه ويد أمير المؤمنين عليه السلام فقال عليه السلام: ثمّ نادى المحبّون: معاشر المسلمين إنّ لمحمّد وعليّ شأناً عظيماً في الممالك التي كنّا فيها، لقد رأينا

(١) البحار ١٧: ١٥١، عن بصائر الدرجات: ٣٦.

(٢) المصدر: ١٥٢، عن البصائر: ٣٦.

(٣) المصدر والمرجع.

لمحمّد صلى الله عليه وآله مثالاً على سرير عند البيت المعمور وعند العرش، ولعليّ عليه السلام مثالاً عند البيت المعمور وعند الكرسي وأملاك السماوات والحجب وأملاك العرش يحفّون بهما ويعظمونهما ويصلّون عليهما ويصدرون عن أوامرهما، ويقسمون على الله عزّ وجلّ لحوائجهم إذا سألوه بهما، فأمن منهم سبعة نفر وغلب الشقاء على الآخرين[١].

٩٢ ـ وفي حديث في فضل النبيّ الخاتم على الأنبياء وفضله على سليمان قال عليّ عليه السلام: ومحمّد صلى الله عليه وآله أُعطي ما هو أفضل من هذا إنّه لُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر، وعرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقلّ من ثلث الليل حتّى انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى، فدلّي له من الجنّة رفرف أخضر، وغشي النور بصره، فرأى عظمة ربّه عزّ وجلّ بفؤاده ولم يرها بعينه، فكان قاب قوسين بينها وبينه أو أدنى[٢].

وزاده الله تعالى الكوثر وأعطاه الشفاعة، وذلك أعظم من ملك الدنيا من أوّلها إلى آخرها سبعين مرّة، ووعده المقام المحمود، فإذا كان يوم القيامة أقعده الله تعالى على العرش، فهذا أفضل ممّا أُعطي سليمان بن داود عليه السلام[٣].

٩٣ ـ قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿ **بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ** ﴾ قال: اللوح المحفوظ له طرفان: طرف على العرش وطرف على جبهة إسرافيل، فإذا تكلّم الربّ جلّ ذكره بالوحي ضرب اللوح جبين إسرافيل، فنظر في اللوح فيوحى بما في اللوح إلى جبرائيل عليه السلام[٤].

(١) البحار ١٧: ٢٦١، عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ١٤٩.

(٢) المصدر: ٢٨٩.

(٣) المصدر: ٢٨٨.

(٤) البحار ١٨: ٢٥٨، عن تفسير القمّي.

٩٤ ـ وفي حديث المعراج عن الإمام الصادق عليه السلام، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فلمّا دخلت الجنّة رجعت إليّ نفسي فسألت جبرئيل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها فقال :

هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها، ولولا تلك الحجب لتهتّك نور العرش وكلّ شيء فيه ...[1].

(١) المصدر : ٣٢٨، وجاء في الهامش : في الحديث كما ترى أسرار لم يطّلع عليها أحد إلى الآن، ولم يكشف عنها العلوم غطاءها إلى حينذاك كقوله : سرادقات الحجب وهتك النور وغيرهما، ولعلّ الله ادّخر علم تلك الأسرار الكونيّة التي أفاض علمها إلى أئمّتنا عليهم السلام لجيل يأتي يوماً ينقر العلوم نقراً، يتصفّح عن الحقائق الكامنة في جوّ العالم والكرات الواقعة في الفضاء اللامتناهي تصفّحاً، والأسف أنّ المسلمين مع تصلّبهم في العمل ونشاطهم في الأُمور وتنقيرهم عن الأسرار في زمنهم الأوّل أصبحوا كسالى خاملين معطّلين، طائفة منهم رسخت فيها العطالة والبطالة، ومالوا إلى العزلة ودعوا المجتمع إليها، راجحين للانفراد على المدنيّة والحضارة مقلّدين من كان قبلهم من أصحاب الأديار والكهوف والغيران، وصنف منهم عكفوا إلى جمع الدرهم والدنيار وانحازوا إلى الأشر والبطر والترف، وأراحوا أنفسهم عن كدّ تحصيل العلوم، وتصفّح الأسرار الكونيّة وما أودع الله علمه في كمون ذلك العالم، ولحبّهم الفسوق نسوا أنفسهم فأنساهم الله ما أعدّ فيهم من استعدادات قويّة يمكنهم الاستمداد منها على حلّ الأسرار وكشف ما غمض حقيقته عنّا، وتسخير القوى الطبيعيّة واستخدامها. وهذه الطائفة ليسوا بأقلّ من غيرهم بل هم الأكثرون، سيّما في قرننا المظلم آفاقه، والظالم أهله، الذي خطف أبصار أهله ما استفاد الغربيّون من العلوم، وركنوا إليهم وإليها واكتفوا بها فصاروا عبيداً بعدما كانوا سادة، وتبعاً بعدما كانوا متبوعين، فهل يقطة بعد النوم ؟ ونشاط عبد الكسل والفشل. وما ظلم هؤلاء المترفون بأكثر من ظلم طائفة أُخرى كما رأوا أو سمعوا من الأسرار الكونيّة الواردة في الثراء العلميّة من أحاديثنا يتأوّلونها بمعانٍ خياليّة تفهة، أو عرفانيّة صرفة.

٩٥ ـ عن ابن عباس قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيما احتجّ على اليهود : حملت على جناح جبرئيل عليه السلام حتّى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش : إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر، الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي وما رأيته بعيني[1].

٩٦ ـ وروي عن جابر قال : جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات، فتحت له أبواب السماء وتحرّك له العرش ـ اهتزّ له العرش ـ فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا سعد بن معاذ قد قبض[2].

٩٧ ـ عن عبد العظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني عن آبائه عليهم السلام قال :

دعا سلمان أبا ذرّ رحمة الله عليهما إلى منزله، فقدّم إليه رغيفين، فأخذ أبو ذرّ الرغيفين يقلّبهما، فقال له سلمان : يا أبا ذرّ لأيّ شيء تقلّب هذين الرغيفين ؟

قال : خفت أن لا يكونا ناضجين.

فغضب سلمان من ذلك غضباً شديداً، ثمّ قال : ما أجرأك حيث تقلّب هذين الرغيفين ؟ فوالله لقد عمل في هذا الخبر الماء الذي تحت العرش، وعملت فيه الملائكة حتّى ألقوه إلى الريح، وعملت فيه الريح حتّى ألقته إلى السحاب، وعمل فيه السحاب حتّى أمطره إلى الأرض، وعمل فيه الرعد والملائكة حتّى وضعوا مواضعه، وعملت فيه الأرض والخشب والحديد والبهائم والنار والحطب والملح وما لا أُحصيه أكثر، فكيف لك أن تقوم بهذا الشكر ؟

(١) البحار ١٨ : ٣٤٠.

(٢) البحار ٢٠ : ٢١٣.

فقال أبو ذرّ : إلى الله أتوب وأستغفر الله ممّا أحدثت، وإليك أعتذر ممّا كرهت[١].

٩٨ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّار بن ياسر : يا عمّار بالعلم نلت ما نلت من هذا الفضل، فازدد منه تزدد فضلاً، فإنّ العبد إذا خرج في طلب العلم ناداه الله عزّ وجلّ من فوق العرش : مرحباً يا عبدي أتدري أيّ منزلة تطلب ؟ وأيّة درجة تروم تضاهي ملائكتي المقرّبين لتكون لهم قريباً لأُبلغنّك مرادك ولأُوصلنّك لحاجتك[٢].

٩٩ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الكروبيين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثمّ قال : إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل، أمر واحداً من الكروبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً[٣].

١٠٠ ـ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله خلق في السماء السابعة ملكاً رأسه تحت العرش ورجلاه تحت الثرى، وملائكة أكثر من ربيعة ومضر ليس لهم طعام ولا شراب، إلّا الصلاة على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ومحبّيه والاستغفار لشيعته ومواليه[٤].

١٠١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستّين

(١) البحار ٢٢ : ٣٢٠، عن عيون أخبار الرضا : ٢١٥.

(٢) المصدر : ٣٤٠.

(٣) البحار ٢٦ : ٣٤٢، عن البصائر : ٢١.

(٤) البحار ٢٦ : ٣٤٩.

ألف ركن، وخلق عند كلّ ركن ثلاثمائة ألف وستّين ألف ملك لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلّا كالرملة في المفازة الفضفاضة، فقال لهم الله : يا عبادي احتملوا عرش هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه. فخلق الله عزّ وجلّ مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه فخلق الله بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال الله عزّ وجلّ لجميعهم : خلّوه عليّ أُمسكه بقدرتي، فخلّوه فأمسكه الله عزّ وجلّ بقدرته. ثمّ قال لثمانية منهم : احملوه أنتم، فقالوا : يا ربّنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير، فكيف نطيقه الآن دونهم ؟ فقال الله عزّ وجلّ : لأنّي أنا الله المقرّب للبعيد والمذلّل للعبيد والمخفّف للشديد والمسهّل للعسير، أفعل ما أشاء وأحكم ما أُريد أُعلّمكم كلمات تقولونها يخفّف بها عليكم، قالوا : وما هي يا ربّنا ؟ قال : تقولون : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، فقالوها فحملوه وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جَلد قوي. قال الله عزّ وجلّ لسائر تلك الأملاك : خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي، ليحملوه وطوفوا أنتم حوله وسبّحوني وقدّسوني، فإنّي أنا الله القادر على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير[١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ألا ومن أحبّ عليّاً ناداه ملك من تحت العرش : أن يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر الله لك الذنوب كلّها...[٢].

(١) البحار ٢٧ : ٩٧.

(٢) المصدر : ١١٥.

١٠٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صافح عليّاً فكأنّما صافحني، ومن صافحني فكأنّما صافح أركان العرش[١].

١٠٣ ـ قال رسول الله : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : أين محمّد وعليّ، فيزخّ بكما إلى السماء حتّى توقفان بين يدي الله، فيقول لنبيّه عليه السلام : أورد عليّاً الحوض وهذا كأس أعطه حتّى يسقي محبّيه وشيعته ولا يسقي أحداً من مبغضيه ...[٢].

١٠٤ ـ قال جبرئيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة نصب لك منبر عن يمين العرش والنبيّون كلّهم عن يسار العرش وبين يديه، ونصب لعليّ عليه السلام كرسي إلى جانبك إكراماً له، فمن هذه خصائصه يجب عليكم أن تحبّوه[٣].

١٠٥ ـ قال رسول الله لعليّ عليه السلام : إذا كان يوم القيامة أخذت بحجزة من ذي العرش تعالى، وأخذت يا عليّ بحجزتي، وأخذت ذرّيتك بحجزتك، وأخذ شيعتكم بحجزتكم[٤].

عن الإمام الصادق، عن آبائه، قال : قال رسول الله : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثمّ ثنّوا فقالوا : اللهمّ صلّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل،

(١) المصدر نفسه.
(٢) المصدر : ١١٨.
(٣) البحار ٢٧ : ١٢٩.
(٤) المصدر : ١٦١.

فإذا النداء من قبل الله عزّ وجلّ، قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه في الأرواح وجعلته عندي من المصطفين الأخيار[١].

١٠٦ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال : لمّا خلق الله العرش خلق سبعين ألف ملك وقال لهم : طوفوا بعرش النور وسبّحوني واحملوا عرشي فطافوا وسبّحوا، وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا فقال لهم الله : طوفوا بعرش النور فصلّوا على نور جلالي محمّد حبيبي، واحملوا عرشي فطافوا بعرش الجلال وصلّوا على محمّد وحملوا العرش فأطاقوا حمله، فقالوا : ربّنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك فقال الله لهم : يا ملائكتي إذا صلّيتم على حبيبي محمّد فقد سبّحتموني وقدّستموني وهلّلتموني[٢].

عن الإمام الرضا عليه السلام في خبر طويل في فضل يوم الغدير قال : وفي يوم الغدير عرض الله الولاية على أهل السماوات السبع فسبق إليها أهل السماء السابعة فزيّن بها العرش[٣].

في حديث طويل في مظلوميّة أهل البيت عليهم السلام عن الله سبحانه مخاطباً نبيّه إلى أن يقول :

ثمّ أُخرج من صلبه ذكراً أنتصر له به ـ وهو صاحب الزمان عليه السلام ـ وأنّ شبحه عندي تحت العرش يملأ الأرض بالعدل ويطفئها بالقسط ...[٤].

اللهمّ بحقّ محمّد وآله وباسمك العظيم الأعظم عجّل فرجه وسهّل مخرجه،

(١) المصدر : ٢٢٣.
(٢) المصدر : ٢٥٩.
(٣) المصدر : ٢٦٢.
(٤) البحار ٢٨ : ٦٢.

وأرنا طلعته الرشيدة وغُرّته الحميدة، واجعلنا من خلّص شيعته وأعوان مذهبه، وأنصار دينه، والمستشهدين بين يديه، والمنتظرين حقّاً لقدومه ودولته وولايته.

هذه نبذة يسيرة من الروايات الشريفة الكثيرة الواردة في شأن من شؤون محمّد وآله عليهم السلام، وأنّهم في عالم الأنوار قبل خلق الخلائق، ثمّ في عرش الله عند خلقه من نورهم الأنور عليهم السلام، ثمّ في عالم الأصلاب والأرحام في قوس نزولي، ثمّ إلى ربّهم يرجعون في قوس صعودي، وبهم بدأ الله سبحانه وبهم يختم، ولا فرق بينه وبينهم إلّا أنّهم عباد الله المكرمون فتقهم ورتقهم بيده جلّ جلاله.

الفصل التاسع

عوالم ومعالم العرش الإلهي

يظهر من الآيات الكريمة والروايات الشريفة الصادرة عن معدن العلم والرسالة السمحاء، أنّ إطلاق العرش له معانٍ متعدّدة، فتارةً في عالم الأسماء والصفات وفي عالم النور، فهو مظهر الاسم النوري في نطاق الأمر ﴿ لَهُ الأَمْرُ وَالخَلْقُ ﴾ كما يظهر في عالم الخلق بما يناسبه من العالم العلوي الملكوتي، وهو الذي خلق من نور النبيّ والوصيّ بعد خلقهما من نوره المطلق ومطلق النور ﴿ اللهُ نورُ السَّماواتِ وَالأَرْضِ ﴾ وهذا العرش الثاني له الجهات ولو تجوّزاً كاليمين والشمال والفوق والتحت والأمام والخلف، وله الظلّ والقوائم والسرادقات والأركان والبطنان، ومثل هذا العرش يكون من تحته الماء والريح والمطر واللوح المحفوظ وسجود الملائكة والفطرة وميزان العدل واجتماع الناس والحبّ العلويّ المخزون وخفيق أجنحة الملائكة وزبرجدة خضراء والبيت والبحر المسجور والقناديل وغير ذلك من العوالم والمعالم.

ولكي نعيش تلك العوالم الروحانيّة، ويُفتح لنا آفاق جديدة في الفكر الإسلامي حول العرش الإلهي، حبّذا أن نطرق أبواب النبيّ المصطفى والعترة الطاهرة، معدن العلم والرسالة عليهم السلام، فإنّهم أعرف من غيرهم بما في العرش، فإنّه

خلق من نورهم، وهم أهله، وفي ضحضاحه وبطنانه، وأهل البيت أدرى وأعرف بما في البيت. ثمّ أذكر الأخبار تفصيلاً وإجمالاً.

هذا ولا أشرح الروايات، كما لا أُعلّق عليها إلّا نادراً، إنّما أُفوّض ذلك إليك أيّها القارئ الكريم، لتستخرج منها اللآلئ والدرر، وتقف على حقائق تزهدك في الدنيا، وتشوّقك لتسكن في ظلّ العرش الإلهي.

١ ـ عن هشام بن الحكم في حديث طويل عن أبي عبد الله عليه السلام في أسئلة السائل عن التوحيد فقال: فقوله ﴿ **الرَّحْمٰنُ عَلَى العَرْشِ ٱسْتَوىٰ** ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام بذلك وصف نفسه، وكذلك هو مستولٍ على العرش بائن من خلقه، من غير أن يكون العرش حاملاً له، ولا أنّ العرش محلّ له، لكنّا نقول: هو حامل للعرش، وممسك للعرش، ونقول في ذلك، ما قال: ﴿ **وَسِعَ كرسيّه السماوات والأرض** ﴾ فثبّتنا من العرش والكرسي ما ثبّته، ونفينا أن يكون العرش والكرسي حاوياً له، وأن يكون عزّ وجلّ محتاجاً إلى مكان أو إلى شيء ممّا خلق، بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن يرفعوا أيديهم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ذلك في علمه وإحاطته وقدرته سواء ولكنّه عزّ وجلّ أمر أولياءه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنّه جعله معدن الرزق، فثبّتنا ما ثبّته القرآن والأخبار عن الرسول صلى الله عليه وآله حين قال: ارفعوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ وهذا تجمع عليه فرق الأُمّة كلّها[1].

ولا يخفى أنّ الحديث حول العرش وما دونه، وأمّا فوق العرش فقد نهينا عن

(١) البحار ٣: ٣٠.

الخوض فيه ـ وإن كان علمه عند أهله ـ فلا نتحدّث عن ذلك، ولا نفكّر بما هنالك.

٢ ـ عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: تكلّموا فيما دون العرش، ولا تكلّموا فيما فوق العرش ـ أي في الله سبحانه ـ فإنّ قوماً تكلّموا في الله فتاهوا، حتّى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجب من خلفه[1].

هذا وليس المراد من العرش في السماوات هو الشيء المادّي كما في الأرض، وأنّ الله يجلس عليه ويكون له أطيط كأطيط الرحل كما في كتاب (مسلم)، وكما تعتقد به المجسّمة والحنابلة وأتباع ابن تيميّة وابن القيّم ومحمّد بن عبد الوهاب، فهذا أمر مردود وسخيف، يناقضه البراهين العقليّة والأدلّة النقليّة من الكتاب الكريم والسنّة الصحيحة. كما أرشد إلى ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام ذلك الرجل اليهودي.

٣ ـ روي أنّ بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له: أنت خليفة رسول الله على الأُمّة؟ فقال: نعم. فقال: إنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أُممهم، فخبّرني عن الله أين هو؟ في السماء هو أم في الأرض؟ فقال له أبو بكر: في السماء على العرش. قال اليهودي: فأرى الأرض خالية منه، فاراه على هذا القول في مكان دون مكان، فقال أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أُعزب عنّي وإلّا قتلتك، فولّى الرجل متعجّباً يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا يهودي، قد عرفت ما سألت عنه وما أُجبت به، وإنّا نقول: إنّ الله عزّ وجلّ أيّن الأين فلا أين له، وجلّ من أن يحويه مكان، وهو في كلّ مكان بغير مماسّة ولا مجاورة، يحيط علماً بما فيها، ولا يخلو شيء من تدبيره تعالى، وإنّي مخبرك بما جاء في كتاب نبيّكم، يصدّق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به؟ قال اليهودي:

(١) البحار ٣: ٢٥٩ و ٢٦٥.

نعم، قال: ألستم تجدون في بعض كتبكم أنّ موسى بن عمران كان ذات يوم جالساً إذ جاءه ملك من المشرق فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك من المغرب فقال له: من أين جئت؟ قال: من عند الله عزّ وجلّ، ثمّ جاءه ملك آخر فقال له: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من السماء السابعة من عند الله عزّ وجلّ، وجاءه ملك آخر فقال: من أين جئت؟ قال: قد جئتك من الأرض السابعة السفلى من عند الله عزّ وجلّ، فقال موسى عليه السلام: سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان، فقال اليهودي: أشهد أنّ هذا هو الحقّ المبين، وإنّك أحقّ بمقام نبيّك ممّن استولى عليه[1].

٤ ـ وفي مسائل اليهودي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال له: فربّك يَحمل أو يُحمل؟ قال: إنّ ربّي عزّ وجلّ يحمل كلّ شيء بقدرته ولا يحمله شيء، قال: فكيف قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَة ﴾؟ قال: يا يهودي، ألم تعلم أنّ لله ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، فكلّ شيء على الثرى، والثرى على القدرة، والقدرة تحمل كلّ شيء.

٥ ـ عن الهروي قال: سأل المأمون أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَن عَملاً ﴾ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدلّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله عزّ وجلّ، ثمّ جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة، فتعلم أنّه على كلّ شيء قدير، ثمّ رفع العرش بقدرته ونقله، وجعله فوق

(١) البحار ٣: ٣١٠، عن الخصال.

السماوات السبع، ثمّ خلق السماوات والأرض في ستّة أيام وهو مستولٍ على عرشه، وكان قادراً على أن يخلقها في طرفة عين، ولكنّه عزّ وجلّ خلقها في ستّة أيام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئاً بعد شيء، فيستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة، ولم يخلق الله العرش لحاجة له إليه، لأنّه غنيّ عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش لأنّه ليس بجسم تعالى عن صفة خلقه علوّاً كبيراً[1].

يظهر من هذا الخبر الشريف أنّ العرش العلمي والرحماني وغير ذلك من العروش الإلهيّة، يخلقها الله ويمثّلها في عالم المجرّدات كالعقول المجرّدة، وفي عالم الأنوار والأرواح فيكون العرش مخلوقاً لله وهو غنيّ عنه، أمّا العرش بمعنى العلم، فإنّ العلم عين ذات الله كما هو المعتقد الصحيح الثابت في محلّه، فتدبّر.

٦ ـ وعن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام يسأله مسائل: قال السائل: فتقول: إنّه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: نقول ذلك، لأنّ الروايات قد صحّت به والأخبار. قال السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش وحوّله عن العرش انتقال؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال، ولا يجري عليه الحدوث فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل ولكنّه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا، إنّما يكشف عن عظمته، ويري

(١) البحار ٣: ٣١٨، عن عيون أخبار الرضا.

أولياءه نفسه حيث شاء، ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء.

ثمّ قال: قال مصنّف هذا الكتاب: قوله عليه السلام: إنّه على العرش إنّه ليس بمعنى التمكّن فيه، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال: فلان على خير واستعانة على عمل كذا وكذا، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه، وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى سماء الدنيا، لأنّ العرش هو المكان الذي ينتهى إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش. وقوله: يرى أولياءه نفسه، فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّة وقدرة وخيلاً ورجلاً: قد أظهر نفسه، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ. انتهى كلامه[1].

ولا يخفى أنّ هناك قضايا وحوادث تتعلّق بالعرش ويظهر من الروايات الشريفة أنّ العرش هو العلم الإلهي إلّا أنّ إيجاده للغير إنّما يكون بأنوار وأجسام لطيفة تناسب مع العالم الملكوتي غير الأجسام في العالم الناسوتي، وربما من ضيق التعبير أُعبّر عنها بالأجسام اللطيفة.

٧ ـ فما ورد في هذا المعنى أنّ المؤمن عند موته ينادي روحه منادٍ من قبل ربّ العزّة من بطنان العرش من فوق الأُفق الأعلى ويقول: يا أيّها النفس المطمئنّة إلى محمّد وآله ـ صلوات الله عليهم ـ ارجعي إلى ربّك راضية مرضيّة، فادخلي

(١) البحار ٣: ٣٣٢.

في عبادي وادخلي جنّتي[1].

٨ ـ وعن أبي ولّاد الحنّاط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك يروون أنّ أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير[2].

وهذا يعني أنّ المؤمن بعد رحلته يكون في بدن كبدنه الدنيوي حول العرش وإذا قدم عليه القادم عرفه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا.

٩ ـ عن ابن أبي عمير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل عليّ عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ ﴾ الآية قال: يا عليّ إنّ الوفد لا يكونون إلّا ركباناً، أُولئك رجال اتّقوا الله فأحبّهم الله واختصّهم ورضي أعمالهم فسمّاهم الله المتّقين، ثمّ قال: يا عليّ أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إنّهم ليخرجون من قبورهم وبياض وجوههم كبياض الثلج، عليهم ثياب بياضها كبياض اللبن، عليهم نعال الذهب شراكها من لؤلؤ يتلألأ. وفي حديث آخر قال: إنّ الملائكة لتستقبلنّهم بنوق من العزّة من أنوق الجنّة، عليها رحائل الذهب مكلّلة بالدرّ والياقوت، وجلالها الاستبرق والسندس وخطامها جدل الأرجوان، وزمامها من زبرجد فتطير بهم إلى المجلس، مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدّامه وعن يمينه وعن شماله يزفّونهم زفّاً حتّى ينتهوا بهم إلى باب الجنّة الأعظم وعلى باب الجنّة شجرة الورقة منها تستظلّ تحتها مائة ألف من الناس، وعن يمين الشجرة عين مطهّرة مزكيّة قال: فيسقون منها شربة فيطهّر الله قلوبهم من الحسد ويسقط من

(١) البحار ٦: ١٦٤.

(٢) المصدر: ٢٦٨، الحديث ١١٩ + ١٢٤.

أبشارهم الشعر، وذلك قوله: ﴿ وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهوراً ﴾ من تلك العين المطهّرة، ثمّ يرجعون إلى عين الثرى عن يسار الشجرة فيغتسلون منها، وهي عين الحياة فلا يموتون أبداً، قال: ثمّ يوقف بهم قدّام العرش، وقد سلموا من الآفات والأسقام والحرّ والبرد أبداً، قال: فيقول الجبّار للملائكة الذين معهم: احشروا أوليائي إلى الجنّة فلا توقفوهم مع الخلائق فقد سبق رضاي عنهم ووجبت رحمتي لهم فكيف أُريد أن أُوقفهم مع أصحاب الحسنات والسيّئات، فيسوقهم الملائكة إلى الجنّة، فإذا انتهوا إلى باب الجنّة الأعظم ضربوا الملائكة الحلقة ضربة فتصرّ صريراً فيبلغ صوت صريرها كلّ حوراء خلقها الله وأعدّها لأوليائه فيتباشرون إذ سمعوا صرير الحلقة ويقول بعضهم لبعض (فيتباشرن إذا سمعن صرير الحلقة ويقول بعضهنّ لبعض): قد جاءنا أولياء الله، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّة ويشرف عليهم أزواجهم من الحور العين والآدميين فيقلن لهم: مرحباً بكم فما كان أشدّ شوقنا إليكم؟ ويقول لهن أولياء الله مثل ذلك، فقال عليّ عليه السلام: من هؤلاء يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هؤلاء شيعتك يا عليّ وأنت إمامهم، وهو قوله: ﴿ **وَيومَ نحشر المتّقين إلى الرحمن وفداً** ﴾ على الرحائل ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنّم ورداً** ﴾[1].

١٠ ـ عن عامر الجهني قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المسجد ونحن جلوس وفينا أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ عليه السلام في ناحية، فجاء النبيّ صلى الله عليه وآله فجلس إلى جانب علي عليه السلام، فجعل ينظر يميناً وشمالاً، ثمّ قال: إنّ عن يمين العرش وعن يسار العرش لرجالاً على منابر من نور يتلألأ وجوههم نوراً، قال: فقام أبو بكر فقال: بأبي أنت

(١) البحار ٧: ١٧٣.

وأُمّي يا رسول الله أنا منهم؟ قال له: إجلس، ثمّ قام إليه عمر فقال له مثل ذلك، فقال له: إجلس، فلمّا رأى ابن مسعود ما قال لهما النبيّ صلى الله عليه وآله استوى قائماً على قدميه ثمّ قال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله صفهم لنا نعرفهم بصفتهم، قال: فضرب على منكب عليّ عليه السلام ثمّ قال: هذا وشيعته هم الفائزون[1].

١١ ـ عن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: يا عليّ لقد مثّلت لي أُمّتي في الطين حتّى رأيت صغيرهم وكبيرهم أرواحاً قبل أن تخلق أجسادهم، وإنّي مررت بك وبشيعتك فاستغفرت لكم، فقال علي: يا نبيّ الله زدني فيهم، قال: نعم يا عليّ تخرج أنت وشيعتك من قبوركم ووجوهكم كالقمر ليلة البدر، وقد فرجت عنكم الشدائد، وذهب عنكم الأحزان، تستظلّون تحت العرش، يخاف الناس ولا تخافون، ويحزن الناس ولا تحزنون وتوضع لكم مائدة والناس في المحاسبة[2].

العرش يوم القيامة هو (العرش المسمّى) الذي يصوّر ويمثّل (العرش الإسمي) لله سبحانه، وكلّما يقال في نعيم الآخرة من المعالم الحيّة فإنّه يقال في عرش الله سبحانه، وشيعة أمير المؤمنين موقفهم الأخير في الجنّة منهم من هو إمامه ومنهم من هو تحت العرش وحوله.

١٢ ـ عن الحسين بن سعيد معنعناً عن عليّ عليه السلام قال: أنا وشيعتي يوم القيامة على منابر من نور فيمرّ علينا الملائكة ويسلّم علينا؟ قال: فيقولون: من هذا الرجل؟ ومن هؤلاء؟ فيقال لهم: هذا عليّ بن أبي طالب ابن عمّ النبيّ فيقال: من

(١) البحار ٧: ١٧٩.

(٢) المصدر: ١٨٠.

هؤلاء ؟ قال : فيقال لهم : هـؤلاء شـيعته ، قـال : فـيقولون : أيـن النـبيّ العـربي وابن عمّه ؟ فيقولون : هما عند العرش ، قال : فينادي مـنادٍ مـن السماء عـند ربّ العزّة : يا عليّ ادخل أنت وشيعتك لا حساب عليك ولا عليهم . فيدخلون الجـنّة وينعّمون فيها من فواكهها ويلبسون السندس والاستبرق وما لم ترَ عين . فيقولون : ﴿ الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن إنّ ربّنا لغفورٌ شكور ﴾ الذي منّ علينا بـنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وبوصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والحمد لله الذي منّ عـلينا بهـما مـن فضله ، وأدخلنا الجنّة فنعم أجر العاملين ، فينادي منادٍ من السماء : كلوا واشربـوا هنيئاً ، قد نظر إليكم الرحمن نظرة فلا بؤس عليكم ولا حساب ولا عذاب[١] .

١٣ ـ وفي صفات المتّقين وحالهم يوم القيامة يـقول أمـير المـؤمنين عليه السلام : وهاجت لهم ريح من قبل العرش فنثرت عليهم الياسمين والأقحوان[٢] .

١٤ ـ وعن رسول الله في وصف أمير المؤمنين وما يحـدث له يـوم القـيامة يقول : وعليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة ... فلا يمـرّ بمـلأ مـن المـلائكة إلّا قالوا : نبيّ مرسل ، ولا يمرّ بنبيّ إلّا يقول : ملك مقرّب ، فينادي منادٍ من بطنان العرش : يا أيّها الناس ليس هذا ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل ولا حامل عرش ، هذا عليّ بن أبي طالب ، وتجيء شيعته من بعده فينادي منادٍ لشيعته : من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويّون ، فيأتيهم النداء : أيّها العلويّون أنتم آمنون ادخلوا الجنّة مع من كنتم توالون[٣] .

(١) المصدر : ١٩٩ .

(٢) المصدر : ٢٢٠ .

(٣) المصدر : ٢٣١ .

١٥ ـ وفي حديث آخر : وأخي عليّ بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنّة ، وبيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش ينادي : لا إله إلّا الله محمّد رسول الله ، قال : فيقول الآدميون : ما هذا إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل أو حامل عرش ربّ العالمين ، قال : فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش : معاشر الآدميين ، ما هذا ملكاً مقرّباً ، ولا نبيّاً مرسلاً ، ولا حامل عرش ، هذا الصدّيق الأكبر ، هذا عليّ بن أبي طالب[١] .

وفي هذا المضمون روايات كثيرة كادت أن تكون متواترة .

١٦ ـ وفي حديث : فينادي منادٍ من تلقاء العرش[٢] .

١٧ ـ وفي حديث أحوال يوم القيامة : فيقول الله عزّ وجلّ : ... أيّها الخلائق استعدّوا للحساب ... والجبّار تبارك وتعالى على العرش ـ أي يصدر حكمه من قبل العرش ـ قد نشرت الدواوين ونصبت الموازين . وأُحضر النبيّون والشهداء وهـم الأئمة ، يشهد كلّ إمام على أهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بأمر الله عزّ وجلّ ودعاهم إلى سبيل الله[٣] .

يظهر من الأخـبار الشريـفة أنّ يـوم القـيامة كـلّ شيء يـتمثّل ويـتصوّر إلّا سبحانه وتعالى ، فلا مثل له ولا صورة له ، فالعرش يتصوّر كما أنّ الملائكة لهم صورهم ، وكذلك القلم واللوح يتصوّران بصورة الآدمي .

١٨ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صـدقهم ﴾ قال : إذا كان يوم القيامة وحشر الناس للحساب فيمرّون بأهـوال يـوم القـيامة

(١) البحار ٧ : ٢٣٤ .

(٢) المصدر : ٢٦٩ .

(٣) المصدر : ٢٧٠ .

فينتهون إلى العرصة، ويشرف الجبّار عليهم حتّى يجهدوا جهداً شديداً، قال: يقفون بفناء العرصة ويشرف الجبّار عليهم وهو على عرشه، فأوّل من يدعى بنداء يسمع الخلائق أجمعين أن يهتف باسم محمّد بن عبد الله النبيّ القرشيّ العربيّ، قال: فيتقدّم حتّى يقف على يمين العرش، قال: ثمّ يدعى بصاحبكم عليّ عليه السلام فيتقدّم حتّى يقف على يسار رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يدعى بأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله فيقفون عن يسار علي، ثمّ يدعى كلّ نبيّ وأُمّته معه من أوّل النبيّين إلى آخرهم وأُمّتهم معهم فيقفون عن يسار العرش، قال: ثمّ أوّل من يدعى للمسألة القلم، قال: فيتقدّم فيقف بين يدي الله في صورة الآدميين ـ إلى آخر الحديث الشريف ـ[1].

١٩ ـ وعن النبيّ في حديث عن فضيلة صوم رجب قال: ومن صام من رجب ثلاثة عشر يوماً وضعت له يوم القيامة مائدة من ياقوت أخضر في ظلّ العرش قوائمها من درّ أوسع من الدنيا سبعين مرّة...[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: يبعث قوم تحت ظلّ العرش وجوههم من نور، رياشهم من نور، جلوس على كراسي من نور، قال: فتشرف لهم الخلائق فيقولون: هؤلاء أنبياء؟ فينادي منادٍ من تحت العرش: أن ليس هؤلاء بأنبياء. قال: فيقولون هؤلاء شهداء؟ فينادي منادٍ من تحت العرش: أن ليس هؤلاء شهداء، ولكن هؤلاء قوم كانوا ييسّرون على المؤمنين (على المعسر) وينظرون المعسر حتّى ييسر[3].

٢٠ ـ وفي حديث طويل في تجسّم القرآن وتصوّره بصورة إنسان يوم

(١) المصدر: ٢٨١.

(٢) المصدر: ٣٠١.

(٣) المصدر: ٣٠٤.

القيامة، وما يجري عليه، وحواره مع الله سبحانه عن أبي جعفر عليه السلام عندما يمرّ القرآن بالناس والشهداء والنبيّين والمرسلين: ثمّ يجاوز حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة تبارك وتعالى فيخرّ تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: يا حجّتي في الأرض وكلامي الناطق ارفع رأسك وسل تعطَ، واشفع تشفع، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك وتعالى: كيف رأيت عبادي، فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقّي وكذّب وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني لأُثيبنّ عليك اليوم أحسن الثواب، ولأُعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب...[1].

٢١ ـ عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمّد فيكسى حلّة ورديّة ثمّ يقام عن يمين العرش، ثمّ يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين العرش... ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة والأُفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد وهو إبراهيم ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمة الراشدون ذرّيتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمة من ذرّيته هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة، وذلك قوله: ﴿ **فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنّة فقد فاز** ﴾[2].

وفي هذا المعنى روايات مستفيضة.

(١) البحار ٧: ٣٢٠.

(٢) المصدر: ٣٢٩.

٢٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعّر النيران السبع، ويأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثمان، ويقول : يا ميكائيل مدّ الصراط على متن جهنّم، ويقول : يا جبرئيل انصب ميزان العدل تحت العرش، ويقول : يا محمّد قرّب أُمّتك للحساب، ثمّ يأمر الله أن يعقد على الصراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبعة عشر ألف فرسخ، وعلى كلّ قنطرة سبعون ألف ملك يسألون هذه الأُمّة نساؤهم ورجالهم في القنطرة الأُولى عن ولاية أمير المؤمنين وحبّ أهل بيت محمّد عليهم السلام، فمن أتى به جاز القنطرة الأُولى كالبرق الخاطف، ومن لم يحبّ اهل بيته سقط على أُمّ رأسه في قعر جهنّم، ولو كان معه من أعمال البرّ عمل سبعين صدّيقاً[1].

عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بطنان العرش : يا محمّد يا عليّ القيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد، فهما الملقيان في النار[2].

٢٣ ـ وفي هذا المعنى روايات مستفيضة : (ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش : يا معشر الخلائق غضّوا أبصاركم حتّى تمرّ بنت حبيب الله إلى قصرها، فتمرّ فاطمة بنتي)[3].

٢٤ ـ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **ألقيا في جهنّم كلّ كفّار عنيد** ﴾ قال : فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : إنّ الله تبارك وتعالى إذا جمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد كنت أنا وأنت يومئذٍ عن يمين العرش فيقال لي ذلك : قوما فألقيا من

(١) المصدر : ٣٣٢.

(٢) المصدر : ٣٣٥.

(٣) المصدر : ٣٣٦.

أبغضكما وخالفكما وكذّبكما في النار[1].

٢٥ ـ عن بريد العجلي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : كيف صار الناس يستلمون الحجر والركن اليماني ولا يستلمون الركنين الآخرين ؟ فقال : إنّ الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش وإنّما أمر الله تعالى أن يستلزم ما عن يمين عرشه، قلت : فكيف صار مقام إبراهيم عليه السلام عن يساره ؟ فقال : لأنّ لإبراهيم عليه السلام مقاماً في القيامة، ولمحمّد صلى الله عليه وآله مقاماً، فمقام محمّد صلى الله عليه وآله عن يمين عرش ربّنا عزّ وجلّ، ومقام إبراهيم عليه السلام عن شمال عرشه، فمقام إبراهيم في مقامه يوم القيامة وعرش ربّنا مقبل غير مدبر.

يقول العلّامة المجلسي في توضيح الخبر : قال الوالد العلّامة رحمه الله : حاصله أنّه ينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بحذاء العرش وإزائه في الدنيا وفي القيامة، وينبغي أن يتصوّر أنّ البيت بمنزلة رجل وجهه إلى الناس ووجهه طرف الباب، فإذا توجّه الإنسان إلى البيت يكون المقام عن يمين الإنسان والحجر عن يساره، لكنّ الحجر عن يمين البيت والمقام عن يساره، وكذا العرش الآن ويوم القيامة، والحجر بمنزلة مقام نبيّنا صلى الله عليه وآله والركن اليماني بمنزلة مقام أئمتنا صلوات الله عليهم، وكما أنّ مقام النبيّ والأئمة صلوات الله عليهم في الدنيا عن يمين البيت وبإزاء يمين العرش كذلك يكون في الآخرة، لأنّ العرش مقبل وجهه إلينا غير مدبر، لأنّه لو كان مدبراً لكان اليمين لإبراهيم عليه السلام، واليسار للنبيّ والأئمة عليهم السلام، هذا تفسير الخبر بحسب الظاهر، ويمكن أن يكون إشارة إلى علوّ رتبة نبيّنا صلى الله عليه وآله ورفعته وأفضليّته على رتبة إبراهيم الذي هو أفضل الأنبياء بعد النبيّ والأئمة عليهم السلام، وقد ورد في الأخبار استحباب استلام

(١) البحار ٧ : ٣٣٨.

الركنين الآخرين، فيكون المراد تأكّد فضيلة استلامهما، والمنفيّ تأكّد الفضيلة لا أصلها، انتهى كلامه رفع الله مقامه[١].

٢٦ ـ قال رسول الله: فأقوم عن يمين العرش. فيقومون عن يمين العرش في ظلّه... حتّى تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش... ثمّ ينادي منادٍ من عند العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك عليّ...[٢].

وفي حديث: ثمّ بنادي منادٍ من تلقاء العرش: أين النبيّ الأُمّي؟[٣].

٢٧ ـ لمّا نزل على رسول الله ﴿ إنّا أعطيناك الكوثر ﴾ قال له عليّ بن أبي طالب: ما هو الكوثر يا رسول الله؟ قال: نهر أكرمني الله به. قال عليّ: إنّ هذا النهر شريف فانعته لنا يا رسول الله. قال: نعم يا علي، الكوثر نهر يجري تحت عرش الله تعالى ماؤه أشدّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد وحصاه الزبرجد والياقوت والمرجان، حشيشه الزعفران ترابه المسك الأذفر، قواعده تحت عرش الله عزّ وجلّ ثمّ ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله يده في جنب عليّ أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا عليّ إنّ هذا النهر لي ولك ولمحبّيك من بعدي[٤]. وفي حديث قال أبو عبد الله عليه السلام: والكوثر مخرجه من ساق العرش...[٥].

وهذا النهر مصداق من مصاديق الكوثر الذي هو بمعنى الخير الكثير في الدارين.

(١) المصدر: ٣٤٠.

(٢) البحار ٨: ١ ـ ٢.

(٣) المصدر: ١٧.

(٤) البحار ٨: ١٨.

(٥) المصدر: ١٦٢.

٢٨ ـ عن النبيّ: يا عليّ أنت وشيعتك على الحوض تسقون ما أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الآمنون يوم الفزع الأكبر في ظلّ العرش، يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون...[١].

٢٩ ـ عن عليّ عليه السلام في حديث: فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن توالاني في دار الدنيا، فإذا النداء من بطنان العرش: قد أُجيبت دعوتك[٢].

وعن جعفر بن محمّد عليهما السلام في حديث: فيقول آدم: لست بصاحبكم خلقني ربّي بيده وحملني على عرشه وأسجد لي ملائكته ثمّ أمرني فعصيته... قال النبيّ... ثمّ آتي المقام المحمود حتّى أقضي عليه وهو تلّ من مسك أذفر بحيال العرش... ثمّ يؤتى بنا فيجلس على العرش ربّنا ويؤتى بالكتب فنرجع فنشهد على عدوّنا، ونشفع لمن كان من شيعتنا مرهقاً، قال: قلت: جعلت فداك فما المرهق؟ قال: المذنب فأمّا الذين اتّقوا من شيعتنا فقد نجاهم الله بمفازتهم لا يمسّهم السوء ولا هم يحزنون...

قال الجزري: قوله: فإذا نظرت إلى ربّي أي إلى عرشه أو كرامته أو إلى نور من أنوار عظمته، والجلوس على العرش كناية عن ظهور الحكم والأمر من عند العرش وخلق الكلام هناك[٣].

٣٠ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه: واعلموا أنّ من يتّق الله يجعل له مخرجاً من الفتن ونوراً من الظلم ويخلّده فيما اشتهت نفسه وينزله منزل الكرامة

(١) المصدر: ٢٨.

(٢) المصدر: ٣٩.

(٣) المصدر: ٤٧.

عنده، في دار اصطنعها لنفسه، ظلّها عرشه، ونورها بهجته، وزوّارها ملائكته، ورفقاؤها رسله، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: فبادروا بأعمالكم تكونوا مع جيران الله، رافق بهم رسله وأزارهم ملائكته وأكرم أسماعهم عن أن تسمع حسيس نار أبداً، وصان أجسادهم أن تلق لغوباً ونصباً، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[١].

٣١ ـ وفي وصف حال المتّقين في الجنان في حديث: فبينا هم كذلك إذ يسمعون صوتاً من تحت العرش: يا أهل الجنّة كيف ترون منقلبكم؟ فيقولون: خير المنقلب منقلبنا[٢].

٣٢ ـ وفي حديث في وصف من هو أشقى من الشيطان فيقول عليه اللعنة: فرأيت رجلين في أعناقهما سلاسل النيران معلّقين بها إلى فوق. وعلى رؤوسهما قوم معهم مقامع النيران يقمعونهما بها. فقلت: يا ملك، من هذان؟ فقال: أو ما قرأت على ساق العرش وكنت قبل قرأته قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام ـ لا إله إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته ونصرته بعليّ، فقال: هذان عدوّا أُولئك وظالماهم.

بيان: لعلّه تعالى خلق صورتيهما في جهنّم لتعيين مكانهما وتصوير شقاوتهما للملأ الأعلى ولمن سمع الخبر من غيرهم[٣].

٣٣ ـ وفي حديث احتجاج النبيّ مع اليهود قالت اليهود: موسى خير منك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ولِمَ ذلك؟ قالوا: لأنّ الله عزّ وجلّ كلّمه بأربعة آلاف كلمة ولم

(١) المصدر: ١٦٣.

(٢) المصدر: ٢١٥.

(٣) البحار ٨: ٣١٦.

يكلّمك بشيء. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: لقد أُعطيت أنا أفضل من ذلك. فقالوا: وما ذاك؟ قال: قوله تعالى: ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله** ﴾ وحمّلت على جناح جبرئيل حتّى انتهيت إلى السماء السابعة، فجاوزت سدرة المنتهى عندها جنّة المأوى حتّى تعلّقت بساق العرش، فنوديت من ساق العرش: إنّي أنا الله لا إله إلّا أنا السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبّار المتكبّر الرؤوف الرحيم، فرأيته بقلبي وما رأيته بعيني، فهذا أفضل من ذلك. فقالت اليهود: صدقت يا محمّد وهو مكتوب في التوراة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا اثنان...[١].

٣٤ ـ وفي حديث: إذا قال العبد (سبحان) الله سبّح معه ما دون العرش فيعطى قائلها عشر أمثالها[٢].

٣٥ ـ وفي حديث القوم الذين سألوا أمير المؤمنين وفيما سألوا: أين كان الله قبل أن يخلق عرشه؟ فقال عليه السلام: سبحان من لا تدرك كنه صفته حملة العرش على قرب ربوانيّتهم من كرسيّ كرامته، ولا الملائكة المقرّبون من أنوار سبحات جلاله، ويحك لا يقال: الله أين، ولا فيمَ؟ ولا أيّ، ولا كيف[٣].

٣٦ ـ وفي احتجاجات الإمام الصادق مع الزنادقة قال: فالكرسي أكبر أم العرش؟ قال: كلّ شيء خلقه الله تعالى في جوف الكرسي خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسي... فخلق الكرسي فخشاه السماوات والأرض، والكرسي أكبر

(١) البحار ٩: ٢٩٠.

(٢) المصدر: ٢٩٥.

(٣) المصدر: ١٢٧.

من كلّ شيء خلق، ثمّ خلق العرش أكبر من الكرسي[١].

٣٧ ـ قال السائل: وإذا نزل أليس قد حال عن العرش، وحوّوله عن العرش انتقال؟ قال أبي عبد الله عليه السلام: ليس ذلك على ما هو يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه والملالة والسأمة، وناقل ينقله ويحوّله من حال إلى حال، بل هو تبارك وتعالى لا يحدث عليه الحال، ولا يجري عليه الحدوث، فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحّى عن مكان خلا منه المكان الأوّل، ولكنّه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة ولا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنّما يكشف عن عظمته ويري أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء.

قال العلّامة المجلسي في بيان الخبر: وفي تلك النسخة التي فيها تلك الزيادة زيادة أُخرى بعد تمام الخبر وهي هذه: قال مصنّف هذا الكتاب: قوله عليه السلام: (إنّه على العرش ليس بمعنى التمكّن فيه، ولكنّه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال: فلان على خير، واستعانهُ على عمل كذا أو كذا، ليس بمعنى التمكّن فيه والاستقرار عليه، ولكن ذلك بمعنى التمكّن منه والقدرة عليه.

وقوله: (في النزول) ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافات، ولكنّه على معنى إنزال الأمر منه إلى السماء الدنيا، لأنّ العرش هو المكان الذي ينتهى إليه بأعمال العباد من سدرة المنتهى إليه، وقد يجعل الله عزّ وجلّ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش.

(١) المصدر: ١٨٨.

وقوله: (يري أولياءه نفسه) فإنّه يعني بإظهار بدائع فطرته، فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوّةً وخيلاً ورجلاً: قد أظهر نفسه، وعلى ذلك دلّ الكلام ومجاز اللفظ[١].

٣٨ ـ وفي حديث طويل في خلق آدم عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عن عليّ عليهم السلام: فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت ﴿ **لا علمَ لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم** ﴾ قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام قال: فلاذوا بالعرش فأشاروا بالأصابع، فنظر الربّ جلّ جلاله إليهم ونزلت الرحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به، ودعوا العرش فإنّه لي رضا، فطافوا به وهو البيت الذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، فوضع الله البيت المعمور توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض[٢].

٣٩ ـ عن أحدهما عليهما السلام أنّه سئل عن ابتداء الطواف فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق آدم عليه السلام قال للملائكة: ﴿ **إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة** ﴾ فقال ملكان من الملائكة ﴿ **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّ وجلّ، وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة، فلمّا وقعت الحجب بينه وبينهما، علما أنّه سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا؟ وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلّا أن تلوذوا بالعرش، قال: فلاذوا بالعرش حتّى أنزل الله عزّ وجلّ توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهم، وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة، فخلق الله البيت في الأرض، وجعل

(١) البحار ١٠: ٢٠٠.

(٢) البحار ١١: ١٠٤.

على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة.

بيان: المراد بنوره تعالى إمّا الأنوار المخلوقة في عرشه، أو أنوار الأئمة صلوات الله عليهم، أو أنوار معرفته وفيضه وفضله، فالمراد بالحجب على الأخير الحجب المعنويّة[١].

٤٠ ـ عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قلت لأبي: لِمَ صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿ **إنّي جاعلٌ في الأرض خليفة** ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى ﴿ **وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء** ﴾ قال الله ﴿ **إنّي أعلم ما لا تعلمون** ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الذي في السماء الرابعة، فجعله مثابةً وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً[٢].

٤١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا خلق الله تعالى آدم وقفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده، فقال: يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أُريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك، قال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهم؟ فقال تعالى: يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر: (لا إله إلّا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة) والسطر الثاني: (آليت على نفسي أن أرحم من

(١) البحار ١١: ١١٠.

(٢) المصدر: ١١١.

والاهما وأُعذّب من عاداهما)[١].

٤٢ ـ في حديث قال آدم عليه السلام: يا بني وقفت بين يدي الله جلّ جلاله، فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله[٢].

٤٣ ـ عن أبي سعيد الخدري قال: كنّا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿ **أستكبرت أم كنت من العالين** ﴾ فمن هما يا رسول الله الذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلّا إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿ **أستبكرت أم كنت من العالين** ﴾ أي من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش[٣].

٤٤ ـ وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: كان خلق الله لكم ما في الأرض جميعاً إذ قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم في ذلك الوقت خلق لكم، قال عليه السلام: ولمّا امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الذي قتلوه

(١) المصدر: ١١٤.

(٢) المصدر: ١١٥.

(٣) المصدر: ١٤٢.

وحملوا رأسه قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي، فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم. فإنّ الله عزّ وجلّ يعينني ولا يخلّيني من حسن نظره كعادته في أسلافنا الطيّبين. فأمّا عسكره ففارقوه، وأمّا أهله الأدنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأنّ الله وإن كان خصّني مع من مضى من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهّل عليّ معها احتمال المكروهات فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلم، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقيّ من شقي فيها، أوَلا أُحدّثكم بأوّل أمرنا وأمركم معاشر أوليائنا ومحبّينا والمتعصّبين لنا، ليسهّل عليكم احتمال ما أنتم له مقرّون؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله. قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وسوّاه وعلّمه أسماء كلّ شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمّداً وعلياً وفاطمة والحسن والحسين أشباحاً خمسة في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسي والعرش، فأمر الله الملائكة بالسجدة لآدم تعظيماً له إنّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلّا إبليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله، وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت، وقد تواضعت لها الملائكة كلّها فاستكبر وترفّع وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين.

٤٥ ـ قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال: يا عباد الله، إنّ آدم لمّا رأى النور ساطعاً من صلبه

إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عزّ وجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي، فقال الله تعالى: أُنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم ـ ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم ـ على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريّاتي، هذا محمّد وأنا الحميد والمحمود في أفعالي شققت له إسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، فاطم أوليائي عمّا يعتريهم ويشينهم ـ وهذا من مظاهر الولاية والبراءة ـ فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خلقتي وكرام بريّتي، بهم آخذ وبهم أُعطي وبهم أُعاقب وبهم أُثيب، فتوسّل إليّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أُخيّب بهم آملاً، ولا أردّ بهم سائلاً فلذلك حين نزلت منه الخطيئة، دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب عليه وغفر له[1].

٤٦ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط هبط بالهند ثمّ رمي إليه بالحجر الأسود، وكان ياقوتة حمراء بفناء العرش، فلمّا رأى عرفه فأكبّ عليه وقبّله، ثمّ أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعيا من ثقله فحمله جبرئيل عنه، وكان إذا

(١) البحار ١١: ١٥٠.

لم يأته جبرئيل عليه السلام اغتمّ وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل: لا حول ولا قوّة إلّا بالله[١].

٤٧ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ملكاً من الملائكة كانت له منزلة فأهبطه الله من السماء إلى الأرض فأتى إدريس النبيّ عليه السلام فقال له: اشفع لي عند ربّك، فصلّي ثلاث ليالٍ لا يفتر وصام أيّامها لا يفطر ثمّ طلب إلى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود إلى السماء فقال له الملك: أُحبّ أن أُكافيك فاطلب إليّ حاجة، فقال: تريني ملك الموت لعلّي آنس به فإنّه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فبسط جناحيه ثمّ قال: اركب. فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا فقيل: إنّه قد صعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك لملك الموت: ما لي أراك قاطباً؟ قال: أتعجب إنّي كنت تحت ظلّ العرش حتّى أُمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس ذلك فانتفض من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: ﴿ **واذكر في الكتاب إدريس إنّه كان صدّيقاً نبيّاً ورفعناه مكاناً عليّاً** ﴾[٢].

عن الإمام الصادق عليه السلام في قصّة إبراهيم الخليل عليه السلام: فلمّا أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الشمس الدنيا لطلوعها قال: ﴿ **هذا ربّي هذا أكبر** ﴾ وأحسن فلمّا تحرّكت وزالت كشط الله عن السماوات حتّى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض فعند ذلك قال: ﴿ **يا قوم إنّي بريء ممّا تشركون إنّي وجّهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض**

(١) المصدر: ٢١٠، عن علل الشرائع: ١٦٣.

(٢) المصدر: ٢٧٨.

حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[١].

٤٨ ـ قال أبو جعفر عليه السلام: كشط الله له عن الأرضين حتّى رآهن وما تحتهن، وعن السماوات حتّى رآهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش ﴿ **وليكون من المؤمنين** ﴾[٢].

٤٩ ـ عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية ﴿ **وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ قال: كشط له عن الأرض حتّى رآها ومن فيها، وعن السماء حتّى رآها ومن فيها والملك الذي يحملها والعرش ومن عليه وكذلك أرى صاحبكم[٣].

٥٠ ـ قال أبو عبد الله عليه السلام: وكذلك نري إبراهيم... قال: كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل محمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمّة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك[٤].

٥١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغت دموعها السماء، وبكت السماء حتّى بلغت دموعها العرش، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى السماء، أن احصبيهم ـ أي ارميهم بالحصباء ـ وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم[٥].

(١) البحار ١٢: ٣٠.

(٢) المصدر: ١٨.

(٣) المصدر: ٧٢.

(٤) المصدر: ٧٢.

(٥) المصدر: ١٦٧.

٥٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: سألته عن بليّة أيّوب عليه السلام التي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علّة كانت؟ قال: لنعمة انعم الله عليه بها في الدنيا وأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلّا بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده... إلى آخر القصّة فراجع[١].

٥٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث في دعاء عيسى بن مريم عليه السلام قال: ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بني عبد المطّلب سلوا ربّكم بهؤلاء الكلمات، فوالذي نفسي بيده ما دعا بهن عبد بإخلاص دينه إلّا اهتزّ له العرش، وإلّا قال الله لملائكته: اشهدوا أنّي قد استجبت له بهن وأعطيته سؤله في عاجل دنياه وآجل آخرته، ثمّ قال لأصحابه: سلوا بها، ولا تستبطئوا الإجابة[٢].

٥٤ ـ وفي حديث طويل عن أمير المؤمنين عليه السلام في خلق النوري لرسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ خلق من نور محمّد صلى الله عليه وآله جوهرة، وقسّمها قسمين، فنظر إلى القسم الأوّل بعين الهيبة فصار ماءً عذباً، ونظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منها العرش فاستوى على وجه الماء فخلق الكرسي من نور العرش وخلق من نور الكرسي اللوح، وخلق من نور اللوح القلم وقال له: اكتب توحيدي[٣].

(١) المصدر: ٣٤٦.

(٢) البحار ١٤: ٣٢٨.

(٣) البحار ١٥: ٢٩.

٥٥ ـ قال الله تعالى في وصف ملائكته: ... طعامهم وشرابهم التقديس والتسبيح، وعيشهم من نسيم العرش، وتلذّذهم بأنواع العلوم، خلقهم الله بقدرته أنواراً وأرواحاً كما شاء وأراد[١].

٥٦ ـ روي أنّ في العرش تمثالاً لكلّ عبد فإذا اشتغل العبد بالعبادة، رأت الملائكة تمثالاً له، وإذا اشتغل العبد بالمعصية أمر الله بعض الملائكة حتّى يحجبوه بأجنحتهم لئلّا تراه الملائكة، فذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله: يا من أظهر الجميل وستر القبيح[٢].

٥٧ ـ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ينادي منادٍ يوم القيامة تحت العرش: يا أُمّة محمّد، ما كان لي قِبلكم فقد وهبته لكم، وقد بقيت التبعات بينكم، فتواهبوا وادخلوا الجنّة برحمتي[٣].

(١) البحار ٢٦: ٣٤٨، عن اعتقادات الصدوق.

(٢) البحار ٦: ٧، عن دعوات الراوندي.

(٣) المصدر، عن عدّة الداعي.

مجمل روايات العرش

١ ـ محمّد مكتوباً بالنور على ساق العرش	٣٦	٣٣٧	٣
٢ ـ أثبت الله اسم محمّد في ساق العرش	٣٦	٣٤١	١٠
٣ ـ وجدت أساميهم مكتوبة على ساق العرش	٣٦	٣٣٧	٣
٤ ـ نظرت فإذا مكتوب على ساق العرش	٣٦	٣٤٨	١١
٥ ـ فزيّنه ـ ركنين ـ من أركان العرش	٣٧	٤٤	١٠
٦ ـ لعنه الله من فوق العرش	٣٧	٥٦	١٣
٧ ـ جعلهم في الميثاق عن يمين العرش	٣٧	٦٣	٢
٨ ـ نظر إليهم عن يمين العرش	٣٧	٦٣	٥
٩ ـ تحشر فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش	٣٧	٧٠	١٠
١٠ ـ خلقتك وعلياً من طينة العرش	٣٧	٧٩	٦
١١ ـ خلقت ذرّيته ـ من طينة العرش	٣٧	٧٩	٦
١٢ ـ فتق نوري فخلق منه العرش	٣٧	٨٣	١٥
١٣ ـ نوري أفضل من العرش	٣٧	٨٣	١٥
١٤ ـ فأخرج قناديل فعلّقها في بطنان العرش	٣٧	٨٤	٤
١٥ ـ طلاع ما بين الثرى إلى العرش	٣٧	١٤٣	١١
١٦ ـ لقد خلقنا الله نوراً تحت العرش	٣٧	١٧٤	٢٠
١٧ ـ خلقني الله نوراً تحت العرش	٣٧	١٧٥	١
١٨ ـ فينادي منادٍ من بطنان العرش	٣٧	٣٠١	٢٠

ورد كثيراً

١٩ ـ صعد بي حتّى صرت تحت العرش	٣٧	٣١٩	١٥
٢٠ ـ اللوح المحفوظ تحت العرش	٣٧	٣٢٥	١٢
٢١ ـ ما استقرّ الكرسي والعرش	٣٨	١٢١	١١
٢٢ ـ لمّا لُسري بي أُنهيت إلى العرش	٣٨	١٣٨	٢
٢٣ ـ إنّ الملائكة حافّين من حول العرش	٣٨	١٤٢	٧
٢٤ ـ كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش	٣٨	٣٣٧	٥
٢٥ ـ وصل إلى النبيّ من عند العرش	٣٩	٨٢	١٢
٢٦ ـ ونرى الملائكة حافّين من حول العرش	٣٩	٩٧	١٢
٢٧ ـ فخلق هذا الملك ـ لينظر إليه العرش	٣٩	٩٧	١٨
٢٨ ـ من ملائكة الله ـ ساجد تحت العرش	٣٩	٩٨	٢
٢٩ ـ بحبّهما ـ الكرسي والعرش	٣٩	١٠٦	١٢
٣٠ ـ أوّل من أحبّه من أهل السماء حملة العرش	٣٩	١١٠	٨
٣١ ـ الفطرة من تحت العرش	٣٩	١١٦	٢
٣٢ ـ الملائكة ـ نظر ـ ما خلا حملة العرش	٣٩	١٦٠	١
٣٣ ـ يوم القيامة صار الحسن عن يمين العرش	٣٩	١٧٨	١٧
٣٤ ـ الحسين عن يسار العرش	٣٩	١٧٨	١٧
٣٥ ـ كنت أنا وأنت يومئذٍ عن يمين العرش	٣٩	١٩٩	١٣
٣٦ ـ ينصب ميزان العدل تحت العرش	٣٩	٢٠٩	١٥
٣٧ ـ تقف بيني وبين إبراهيم في ظلّ العرش	٣٩	٢١٤	٧
٣٨ ـ ينادي منادٍ من تحت العرش	٣٩	٢١٤	٨
٣٩ ـ نأتي جميعاً ونقوم تحت العرش	٣٩	٢١٥	١٨
٤٠ ـ ضرب لي قبّة ـ عن يمين العرش	٣٩	٢٢٢	٢

٤١ ـ بيده لواء الحمد واقف بين يدي العرش	٣٩	٢٢٣	٩
٤٢ ـ فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش	٣٩	٢٢٣	١١
ورد كثيراً			
٤٣ ـ يوم القيامة اخذت بحجزة من ذي العرش	٣٩	٣٣٨	٦
٤٤ ـ يوم القيامة أخذت بحبل ـ من ذي العرش	٣٩	٢٤٠	١٧
٤٥ ـ أحبّ علياً ناداه ملك من تحت العرش	٣٩	٣٧٧	٢٠
٤٦ ـ حبّك مخزون تحت العرش	٣٩	٢٨٦	١٦
٤٧ ـ المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش	٣٩	٣٠٦	٨
٤٨ ـ أنتم الآمنون في ظلّ العرش	٣٩	٣٠٧	١٤
٤٩ ـ يبعث أُناساً ـ في ظلّ العرش	٤٠	٦	٢
٥٠ ـ فتق نور عليّ ـ فخلق منه العرش	٤٠	٤٤	٨
٥١ ـ أقامها مقام العرش	٤٠	٤٤	١٤
٥٢ ـ يوم القيامة ينصب لي منبر عن يمين العرش	٤٠	٤٨	٢
٥٣ ـ ينصب لإبراهيم منبر عن يمين العرش	٤٠	٥٥	١
٥٤ ـ نصب لي منبر عن شمال العرش	٤٠	٥٥	٢
٥٥ ـ تكسى حلّة ـ وينادي منادٍ من العرش	٤٠	٨٢	٢
٥٦ ـ لعنت ملائكة الكرسي والعرش	٤١	٢٦	١٨
٥٧ ـ أُدعى أنا فأُقام عن شمال العرش	٤١	١٠٦	١٢
٥٨ ـ كنت أسمع تسبيحها تحت العرش	٤٢	٥٠	١٩
٥٩ ـ فاطمة ـ كانت في حقّة تحت ساق العرش	٤٣	٤	١٤
٦٠ ـ فأنا أجلّ من العرش	٤٣	١٧	١٢
٦١ ـ علقة في قرط العرش	٤٣	١٧	١٩

٦٢ ـ علي أوّل من يقف معي على يمين العرش	٤٣	١٠٠	١٦
٦٣ ـ نسطائيل من موكل قوائل العرش	٤٣	١٠٩	٣
٦٤ ـ أنا الملك الموكل بإحدى قوائم العرش	٤٣	١٢٧	١٦
٦٥ ـ تتعلّق بقائمة من قوائم العرش	٤٣	٣٢٠	١٣
ورد كثيراً			
٦٦ ـ أذن الله لهم فنزلوا أفواجاً من العرش	٤٣	٢٥٩	٤
ورد كثيراً			
٦٧ ـ الحسن والحسين شنفا العرش	٤٣	٢٧٥	٢٣
٦٨ ـ كان جبرئيل وقتئذٍ عند قائمة العرش	٤٣	٣٠٩	١٤
٦٩ ـ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش	٤٤	٢٦٥	١
٧٠ ـ يبكي ـ رضوان ومالك وحملة العرش	٤٥	٢٠٢	١٨
٧١ ـ حداث ـ تحت العرش وفي ظلّ العرش	٤٥	٢١٧	١٨
٧٢ ـ سلوني عمّا فوق العرش	٤٦	١٣٥	١٨
٧٣ ـ سلوني عمّا تحت العرش	٤٦	١٣٥	١٨
٧٤ ـ سمع ليلة المعراج من بطنان العرش	٤٧	١٣٥	١
٧٥ ـ دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش	٤٨	١٧٣	٣
٧٦ ـ تقوّضت أعمدة العرش	٥١	٢٧	١٨
٧٧ ـ أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش	٥١	٢٧	١٨
٧٨ ـ فينشر راية ـ عمودها من عمود العرش	٥٣	٣٣٨	١٨
٧٩ ـ فأين كنتم يا رسول الله ـ قدّام العرش	٥٧	٤٣	١٠
٨٠ ـ لا يوصف بالكون على العرش	٥٧	٧٥	١١
٨١ ـ استوى على العرش ـ أي علا على العرش	٥٧	٧٣	٧

٨٢ ـ خلق الله العرش	٥٧	١٦٩	١٤
٨٣ ـ خلق نور محمّد قبل أن يخلق العرش	٥٧	١٧٥	١٦
٨٤ ـ نظر إلى القسم الثاني ـ فخلق منه العرش	٥٧	٢٠٠	١٦
٨٥ ـ فخلق الكرسي من نور العرش	٥٧	٢٠٠	١٧
٨٦ ـ سكن نور محمّد تحت العرش	٥٧	٢٠٢	٥
٨٧ ـ خلق ما أحبّ استوى على العرش	٥٧	٢٠٥	١٤
٨٨ ـ قسم الماء ـ فجعل نصفاً تحت العرش	٥٧	٢٠٨	٥
٨٩ ـ خلق الله الماء قبل العرش	٥٧	٣١٤	٦
٩٠ ـ سرادق واحد من سرادقات العرش	٥٧	٣١٩	٤
٩١ ـ الملائكة الذين يحومون حول العرش	٥٧	٣١٩	٨
٩٢ ـ ذلك أيسر من أحصاه ما لبث العرش	٥٧	٣٣٧	١٧
٩٣ ـ أسمع خفيق أجنحة الملائكة تحت العرش	٥٧	٣٣٩	١١
٩٤ ـ ما من مؤمن إلّا وله مثال في العرش	٥٧	٣٥٤	١١
٩٥ ـ تراه الملائكة عند العرش	٥٧	٣٥٤	١٢
٩٦ ـ له طرفان ـ طرف على ـ يمين العرش	٥٧	٣٦٦	١٤
٩٧ ـ طواه فجعله في ركن العرش	٥٧	٣٦٦	١٤
٩٨ ـ إنّ الله كتب كتاباً هو عنده فوق العرش	٥٧	٣٧١	١٢
٩٩ ـ زبرجدة خضراء جعله تحت العرش	٥٧	٣٧٥	١٤
١٠٠ ـ إنّ الكرسي سرير دون العرش	٥٧	٢	١٣
١٠١ ـ الكرسي أهو أعظم أم العرش ؟	٥٧	٢١	١٠
١٠٢ ـ البيت المعمور مربعاً ـ لأنّه بحذاء العرش	٥٨	٥	٩
١٠٣ ـ أقام بعزّته أركان العرش	٥٨	٦	١٥

١٠٤ ـ إنّ الله خلق بيتاً تحت العرش	٥٨	٨	٨
١٠٥ ـ الكرسي دعاء جميع الخلق من العرش	٥٨	٩	١
١٠٦ ـ فقال أمير المؤمنين ـ الله ـ حامل العرش	٥٨	٩	١٨
١٠٧ ـ يومئذ ثمانية ـ يحملون العرش	٥٨	١٧	٨
			ورد كثيراً
١٠٨ ـ كلّ أُمّة تسبّح الله بلسان من ألسن العرش	٥٨	١٨	١
١٠٩ ـ حملة العرش رؤوسهم قد خرقت العرش	٥٨	٢٠	٤
١١٠ ـ غُلظ كلّ طبق كأوّل العرش	٥٨	٢٥	٣
١١١ ـ الكرسي جزء من نور العرش	٥٨	٢٨	١٢
١١٢ ـ الأُفق المبين ـ قاع بين يدي العرش	٥٨	٢٩	٨
١١٣ ـ لم ينل قائمة من قوائم العرش	٥٨	٣٤	٢١
١١٤ ـ لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش	٥٨	٤٥	٢
١١٥ ـ السرادق ـ تحت العرش	٥٨	٤٥	٩
١١٦ ـ قال ـ هو لوح ـ معلّق تحت العرش	٥٨	٥	١
١١٧ ـ عليّين ـ السماء السابعة تحت العرش	٥٨	٥٤	٥
١١٨ ـ روح المؤمن ـ ينتهي بها إلى العرش	٥٨	٥٢	١٥
١١٩ ـ الجنّ ـ يصعدون إلى ما تحت العرش	٥٨	٨٨	٤
١٢٠ ـ سيّد السماوات السماء التي فيها العرش	٥٨	١٠٤	١٠
١٢١ ـ البحر المسجور ـ سجر ـ تحت العرش	٥٨	١٠٧	١٨
١٢٢ ـ ترفع ـ حتّى تكون تحت العرش	٥٨	١٤٥	٤
١٢٣ ـ فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش	٥٨	١٤٥	٧
١٢٤ ـ الكرسي جزء من نور العرش	٥٨	١٦١	٩

١٢٥ ـ لا ينكحون إنّما يعيشون بنسيم العرش ٥٩ ١٧٤ ١٦
١٢٦ ـ إنّ الكدوبيين جعلهم الله خلف العرش ٥٩ ١٨٤ ١١
١٢٧ ـ الملائكة يعيشون بنسيم العرش ٥٩ ١٩٢ ٤
١٢٨ ـ خلق ديكاً أبيض عنقه تحت العرش ٥٩ ١٩٧ ٢٢
ورد كثيراً
١٢٩ ـ لم يخلق أعظم من الروح غير العرش ٥٩ ٢٢٢ ١٠
١٣٠ ـ فدخل إسرافيل في مقدّم العرش ٥٩ ٢٦١ ١٢
١٣١ ـ فأدخل رجله اليمنى تحت العرش ٥٩ ٢٦١ ١٤
١٣٢ ـ المطر من بحر تحت العرش ٥٩ ٣٨٣ ١٠
١٣٣ ـ ربّنا إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ٥٩ ٣٨٨ ٩
١٣٤ ـ سمّيت لأنّها تأتي من شمال العرش ٦٠ ١٠ ٤
١٣٥ ـ إنّ الركن اليماني عن يمين العرش ٦٠ ١٠ ١٠
١٣٦ ـ نور المؤمنين فمن نور العرش ٦٠ ٢٦٠ ١٥
١٣٧ ـ جزت ـ إذ أنا بعليّ ـ واقفاً تحت العرش ٦٠ ٣٠٣ ٨
١٣٨ ـ أنزل قطرة من ماء تحت العرش ٦٠ ٣٥٨ ١٨
١٣٩ ـ في حواصل طيور خضر حول العرش ٦١ ٥٠ ١٠
١٤٠ ـ الأرواح تنتقل إلى قناديل تحت العرش ٦١ ١٠١ ١٢
١٤١ ـ رأيتها على ساق العرش ٦٣ ٨٠ ٢٠
١٤٢ ـ كنّا أظلالاً تحت العرش ٦٧ ١٠٠ ٤
١٤٣ ـ خلق محمّداً من طينة تحت العرش ٦٧ ١٢٦ ١
١٤٤ ـ يبعث الله عباداً عن يمين العرش ٦٨ ١٦ ١
١٤٥ ـ توضع يوم القيامة منابر حول العرش ٦٨ ١٩ ١٥

١٤٦ ـ أنتم الآمنون في ظلّ العرش ٦٨ ٤٦ ٩
١٤٧ ـ من أحبّ علياً ناداه ملك من تحت العرش ٦٨ ١٢٥ ١٣
١٤٨ ـ أُعطيت فاتحة الكتاب ـ من تحت العرش ٦٨ ٣٢٣ ١١
١٤٩ ـ هم السابقون إلى ظلّ العرش ٦٩ ٤٠٣ ١٢
١٥٠ ـ لي خزانة أعظم من العرش ٧٠ ٥٩ ٣
١٥١ ـ عمل في الخبز ـ الماء الذي تحت العرش ٧١ ٤٥ ١٢
١٥٢ ـ خرج من قلبه حتّى يبلغ العرش ٧٢ ٢٦٣ ١١
١٥٣ ـ المؤمن إذا كذب يلعنه حملة العرش ٧٢ ٣٦٣ ١١
١٥٤ ـ رأى موسى رجلاً تحت ظلّ العرش ٧٤ ٨٣ ٣
١٥٥ ـ إنّ اليتيم إذا بكى اهتزّ له العرش ٧٥ ٥ ١٣
١٥٦ ـ الكوثر مخرجه من ساق العرش ٧٥ ١٤٠ ١
١٥٧ ـ يستغفر الله له طائر تحت العرش ٧٦ ٥٣ ٥
١٥٨ ـ فلا يزال إلى أن يصير تحت العرش ٧٦ ٥٥ ١٣
١٥٩ ـ لآمرن ريحاً من الرياح التي تحت العرش ٧٧ ٢٥ ٢
١٦٠ ـ فتصعد فتجلس على عين عند العرش ٧٧ ٣٧ ١٧
١٦١ ـ إذا مدح الفاجر اهتزّ العرش ٧٧ ١٥٢ ٣
١٦٢ ـ في ذكر الله ـ له دويّ تحت العرش ٧٧ ٢٩٢ ١٠
١٦٣ ـ ينزل الله ـ من خزائن تحت العرش ٧٨ ٢٩٢ ١٦
١٦٤ ـ بكت السماء حتّى بلغ دموعها العرش ٧٩ ٧٢ ١٥
١٦٥ ـ العباد ـ عين تحت ركن من أركان العرش ٨٠ ٣١٠ ٣
١٦٦ ـ سلوني عمّا دون العرش ٨٢ ٢٥٤ ٢٢
١٦٧ ـ عين ينفجر من ركن من أركان العرش ٨٢ ٢٦٨ ١٠

١٦٨ ـ إبراهيم ـ فنظر فرأى نوراً إلى جنب العرش ٨٥ ٨٠ ١٢
١٦٩ ـ نزلت عليه السكينة لها دويّ حول العرش ٨٦ ٦١ ١
١٧٠ ـ أُعطيت آية الكرسي من كنز تحت العرش ٨٦ ١٢٦ ٦
١٧١ ـ طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش ٨٦ ١٥٣ ١٩
١٧٢ ـ الحمد لله منتهى الرضا وزنة العرش ٨٦ ١٩١ ١٥
ورد كثيراً
١٧٣ ـ هذا الدعاء ـ كنز من كنوز العرش ٨٦ ٣٣٠ ١٢
١٧٤ ـ استوى الربّ على العرش ٩٠ ١٦٧ ٦
ورد كثيراً
١٧٥ ـ ناداه منادٍ من تحت العرش ٩٠ ٢٩٩ ١
١٧٦ ـ هي ـ أشرف ما في كنوز العرش ٩٢ ٢٤٥ ١١
ورد كثيراً حول سورة الحمد
١٧٧ ـ خلق نوراً ـ إلى حجب النور فوق العرش ٩٢ ٣٣٢ ١١
١٧٨ ـ كلمات ـ من كنوز الجنّة من تحت العرش ٩٣ ١٧٥ ٨
١٧٩ ـ إنّ لله عموداً ـ رأسه تحت العرش ٩٣ ١٩٣ ١٨
١٨٠ ـ قال العبد ـ لا إله إلّا الله اهتزّ العرش ٩٣ ١٩٤ ٣
١٨١ ـ أسألك باسمك الذي طوّقت به العرش ٩٣ ٢٥٥ ١٩
١٨٢ ـ أمر برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش ٩٣ ٣٠٩ ١٠
١٨٣ ـ فإنّها ليس لها حجاب دون العرش ٩٣ ٣٤٣ ١٢
١٨٤ ـ دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش ٩٣ ٣٨٥ ٣
١٨٥ ـ أسألك باسمك الذي قام به العرش ٩٤ ٣٥٨ ١١
١٨٦ ـ الله ـ كتب هذا الدعاء على قوام العرش ٩٤ ٣٨٣ ١٤
١٨٧ ـ الملائكة يسوقونه إلى تحت العرش ٩٤ ٤٠٠ ١٩

١٨٨ ـ بسم الله المكتوب على ساق العرش ٩٥ ٣٥ ٩
١٨٩ ـ أربعة مكتوبة حول العرش ٩٥ ١٥٥ ٢١
١٩٠ ـ ما دعا بإخلاص إلّا اهتزّ لهن العرش ٩٥ ١٧٦ ٧
ورد كثيراً
١٩١ ـ أعطيته بعدد من خلقته في العرش ٩٥ ١٦٩ ١٨
١٩٢ ـ فتح لي بصري إلى فرجة في العرش ٩٥ ٣٠٦ ٢٢
١٩٣ ـ أعطيته من الأجر بعدد درّ العرش ٩٥ ٣٥٣ ١٩
١٩٤ ـ جعلت مطيّة فحملتها إلى ساق العرش ٩٦ ٩ ٣
١٩٥ ـ هبّت ريح من تحت العرش ٩٦ ٣٣٨ ٣
ورد كثيراً
١٩٦ ـ لله ملك فرائصه تحت العرش ٩٦ ٣٤٨ ١٧
١٩٧ ـ وضعت له مائدة في ظلّ العرش ٩٦ ٢٨ ١٦
١٩٨ ـ هنأه الله في قبره حتّى يكون بمنزلة العرش ٩٧ ٦٧ ١٣
١٩٩ ـ ناداه جبرئيل من قدّام العرش ٩٧ ٧٠ ١٧
٢٠٠ ـ الأُفق المبين قاع بين يدي العرش ٩٧ ٩١ ٩
٢٠١ ـ روز بهمن اسم ملك تحت العرش ٩٧ ١٣٧ ١٥
٢٠٢ ـ طف بقلبك مع الملائكة حول العرش ٩٩ ١٢٤ ٢٠
٢٠٣ ـ كان ياقوتة حمراء بفناء العرش ٩٩ ٢٢٥ ٥
٢٠٤ ـ كان محدّثه الحسين ـ تحت العرش ١٠١ ١١ ٤
٢٠٥ ـ جلس الحسين في ظلّ العرش ١٠١ ٧٥ ٨
٢٠٦ ـ دمك ـ فاقشعرّت له أظلّة العرش ١٠١ ٢٦٦ ١٥
٢٠٧ ـ يبعث الله قوماً تحت العرش ١٠٢ ١٥١ ١٣
ورد كثيراً

٢٠٨ ـ حملة العرش أجدهم على صورة ابن آدم	٧	١٣١	١
٢٠٩ ـ لكن ظلّ العرش أحسنها وأعظمها	٧٥	٢٩	١٩
٢١٠ ـ جزت تحت العرش إذ أنا بعليّ	٦٠	٣٠٣	٨
٢١١ ـ إنّ الله ـ خلق العرش أرباعاً	٥٨	٢٥	١٦
٢١٢ ـ حول العرش أربعة أنهار	٥٨	١٧	١١
٢١٣ ـ حملة العرش أرجلهم في التخوم	٥٨	١٨	١٧
٢١٤ ـ ناداه ـ من تحت العرش استأنف العمل	٩٨	٣٨١	٢
٢١٥ ـ العرش اسم علم وقدرة	٥٨	١٤	٢١
٢١٦ ـ رأى مكتوباً على العرش أسماء مكرمة	١١	١٥٧	١٦
٢١٧ ـ لا أُسأل عن شيء دون العرش إلّا أجبت	١٠	١٢٦	٢
٢١٨ ـ ما يقدر قدر العرش إلّا الذي خلقه	٥٨	٢١	١
٢١٩ ـ كتبت على ساق العرش الأيمن ـ أنا الله	٢٧	١١	١٥
٢٢٠ ـ أسألك ربّ العرش الذي لا يتحرّك	٩٥	٣٧١	٢١
٢٢١ ـ صار هؤلاء حملة العرش الذي هو العلم	٥٨	٧	١٢
٢٢٢ ـ العرش الذي هو العلم فحملته أربعة	٢٤	٢١	١٨
٢٢٣ ـ عمل فيه ما بين العرش إلى الأرض	٦٦	٢٧٠	٧
ورد كثيراً			
٢٢٤ ـ فللّه الحمد ـ ربّ العرش العظيم	٧٣	١١٢	١٩
٢٢٥ ـ فاشتاق العرش إلى عليّ عليه السلام	٣٩	٩٧	١٦
٢٢٦ ـ حملة العرش اليوم أربعة	٥٨	٥٢	٦
٢٢٧ ـ احفظ ـ على سرادق العرش لا إله إلّا الله	٩٤	٢٢١	١٣
٢٢٨ ـ في العرش تمثال جميع ما خلق الله	٥٨	٣٦	٣
ورد كثيراً			

٢٢٩ ـ وليس بين اللوح والعرش حجاب	٩٠	٥٥	١
٢٣٠ ـ يا جبرئيل لم نكّس حملة العرش رؤوسهم	١٦	٣١٨	١٢
ورد كثيراً			
٢٣١ ـ على ساق العرش رسول الله	١٦	١٠٤	٩
٢٣٢ ـ في ظلّ العرش سبعون ألف أُمّة	٥٧	٣٤٨	١٨
٢٣٣ ـ بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً	٥٨	٤٤	١٢
٢٣٤ ـ دون العرش سبعون حجاباً من نور	٥٨	٣٥	٩
٢٣٥ ـ فأمر نورين ـ فطاف حول العرش سبعين	٢٥	٢١	٦
٢٣٦ ـ السابقون إلى ظلّ العرش طوبى لهم	٦٩	٤٠٣	٩
٢٣٧ ـ في اللوح المحفوظ تحت العرش : عليّ	٣٧	٢٩٩	١٢
٢٣٨ ـ ثمّ وضع العرش على الماء	٥١	١٠	١٤
ورد كثيراً			
٢٣٩ ـ العرش على الماء من دون حجب الضباب	٤٠	١٩٦	١
٢٤٠ ـ زاوية من زوايا العرش على كاهله	٥٩	٢٥٩	١٦
٢٤١ ـ خفّف الله العرش على كواهل ـ من الملائكة	٢٢	٣٣٦	١١
٢٤٢ ـ إنّ العرش على منكب إسرافيل	٦٤	٣٠٨	١٧
٢٤٣ ـ يا من استوى برحمانيّته فصار العرش غيباً	٩٨	٢٢٧	١٠
٢٤٤ ـ إنّ الله ـ خلق العرش فاستوى عليه	٥٧	٣٧٢	٣
٢٤٥ ـ ريح من قبل العرش فتنشف ـ عرقهم	٧	٢٣٢	٥
٢٤٦ ـ انتهى إلى ساق العرش فدنا بالعلم فتدلّى	١٠	٤١	٩
٢٤٧ ـ انتهيت إلى العرش فرأيت أربعة أنوار	٣٥	١٥	١٨
٢٤٨ ـ خلق العرش فكتب على أركانه	٣٦	٣٤٢	٢
٢٤٩ ـ إنّ العرش في الأصل هو الملك	٥٨	٨	٢٠

٢٥٠ ـ فوق العرش في كلّ درجة منه ألف ملك	٨٧	١٧٩	٣
٢٥١ ـ العرش في وجه آخر هو العلم	٣	٣٣٨	٢١
٢٥٢ ـ العرش في وجه هو جملة الخلق	٥٨	٢٩	١
٢٥٣ ـ أرواحنا توافي العرش كلّ ليلة جمعة	١٧	١٥٢	٤
٢٥٤ ـ أرواح النبيّين توافي العرش كلّ ليلة جمعة	٢٦	٩٠	١٠
٢٥٥ ـ ليس العرش كما تظنّ ـ لهيئة السرير	٣	٣٣٤	١٢
٢٥٦ ـ قرعت العرش كما تقرع السلسلة الطشت	٩٣	٢٨٣	٢
٢٥٧ ـ الجلوس على العرش كناية عن الحكم	٨	٤٧	١٤
٢٥٨ ـ رأى على العرش لا إله إلّا الله	٣٦	٥٣	٨
٢٥٩ ـ إنّ اسمه المكتوب على العرش محمّد	١١	٢٩	١٧
٢٦٠ ـ أركان العرش لا ينالها إلّا عليّ	٣٩	٢٥٩	٢٣
٢٦١ ـ الحسين لعلى يمين العرش متعلّق	٢٥	٣٧٦	٧
٢٦٢ ـ إنّ الحسين لعلى يمين العرش متعلّق به	٤٤	٢٩٢	١٣
٢٦٣ ـ اللهمّ بما أطاف به العرش من بهاء كمالك	٩٤	٣٧٢	١٢
٢٦٤ ـ بالاسم الذي خلقت به العرش والكرسي	٩١	١٨٢	٢٢[1]

أسألك يا إلهي يا ربّ العالمين أن تجعلنا من أهل عرشك الكريم وحملته الأبرار في الدنيا والآخرة، وتوفّقنا لحمل العلوم العرشيّة والنفحات القدسيّة، وتحشرنا مع محمّد وعترته الطاهرة.

(١) هذه جملة من مجمل الروايات الشريفة الواردة في العرش وما فيه من العوالم والمعالم، وهناك روايات أُخرى كثيرة إذا أردت التفصيل والتحقيق فعليك بمراجعة بحار الأنوار ومعجمه المفهرس بإشراف علي رضا برازش، المجلّد ١٩، الصفحة ١٣٥٩٠ إلى الصفحة ١٣٦١٠، وفي كلّ صفحة ما يقارب ١٥٠ قطعة من الروايات وفيها كلمة العرش ومشتقّاتها.

الفصل العاشر

إنّ الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة

١ ـ عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، قال:

«دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبيّ بن كعب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: مرحباً بك يا أبا عبد الله، يا زين السماوات والأرضين.

فقال له أُبيّ: وكيف يكون يا رسول الله زين السماوات والأرض أحد غيرك؟

فقال: يا أُبيّ، والذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّ الحسين بن عليّ في السماء أكبر منه في الأرض، فإنّه لمكتوب عن يمين عرش الله: مصباح هدى وسفينة نجاة وإمام خيرٍ ويمن (غير وهن)، وعزّ وفخر وبحر علم وذخر، وإنّ الله عزّ وجلّ ركّب في صلبه نطفة طيّبة مباركة زكيّة، ولقد لقّن دعوات ما يدعو بهنّ مخلوق إلّا حشره الله عزّ وجلّ معه، وكان شفيعه في آخرته، وفرّج الله عنه كربه، وقضى بها دينه ويسّر أمره وأوضح سبيله، وقوّاه على عدوّه، ولم يهتك ستره.

فقال له أُبيّ بن كعب: ما هذه الدعوات يا رسول الله؟

قال: تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: «اللهمّ إنّي أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك وسكّان سماواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لي فقد رهقني من

أمري عسر، فأسألك أن تصلّي على محمّد وآل محمّد وأن تجعل لي من عسري يسراً»، فإنّ الله عزّ وجلّ يسهّل أمرك ويشرح لك صدرك ويلقّنك شهادة أن لا إله إلّا الله عند خروج نفسك»[١].

والحديث المبارك طويل فيه أسماء الأئمّة من ولد الإمام الحسين وأدعيتهم الشريفة، فراجع.

٢ ـ الخصائص الحسينيّة لآية الله المحقّق الشيخ جعفر التستري[٢]: وقد كتب مدحه عن يمين العرش: (إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

وقال[٣]: فيما أعطاه الله من أعظم المخلوقات أعني العرش. ولهذا الإعطاء كيفيّات:

الأُولى: في خصوصيّات من العرش له، فنقول: إنّه قد أعطاه من العرش ظلّه، لجعله له مجلساً يجلس فيه يوم القيامة، ومعه زوّاره والباكون عليه فيرسل إليهم أزواجهم من الجنّة فيأتون ويختارون مجلسه وحديثه، وقد أعطاه يمين العرش

(١) البحار ٤٢: ٢٦٢، و ٣٦: ٢٠٥، عن كمال الدين: ١٥٤، وعيون الأخبار ١: ٦٢، وإعلام الورى: ٣٧٨، والمنتخب للطريحي: ٢٠٣، وأيضاً في البحار ٩١: ١٨٤ عن عيون الأخبار للشيخ الصدوق بسنده عن أحمد بن ثابت الدواليبي عن محمّد بن عليّ بن عبد الصمد عن عليّ ابن عاصم عن أبي جعفر الثاني عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الحسين بن عليّ عليهما السلام، وأمالي الصدوق المجلس ٨٧ الصفحة ٤٧٨.

(٢) الصفحة ٤٧ و ٤٨.

(٣) في الصفحة ١٠٥.

فجعله مقرّاً له في برزخه، فإنّه عن يمين العرش دائماً ينظر إلى مصرعه ومن حلّ فيه، وينظر إلى زوّاره والباكين عليه، ويستغفر لهم ويخاطبهم، ويسأل جدّه وأباه أن يستغفرا لهم (بالله عليك ما كان النبيّ وآله الأطهار والإمام الحسين عليهم السلام، يستغفر له فهل يبقى له ذنب يعاقب عليه يوم القيامة؟!) وقد أعطاه فوق العرش محلّ حديث لزائره، وأيّ حديث فقد ورد في بعض أقسام زياراته أنّه يكون من محدّثي الله فوق عرشه[١]، فالعرش مجلس حديث لزوّاره ظلّه لمن يحدّثه، وفوقه لمن يحدّثه الله، وقد أعطاه أظلّة العرش التي اقشعرّت لدمه وبكت عليه[٢]، وقد أعطاه نظير العرش من أصناف الملائكة المحدقين والطائفين[٣].

الثانية: كيفيّة أعلى من ذلك وأبلغ بأن نقول: إنّه قد أعطاه العرش فكأنّه كلّه له، لأنّه إذا كان مع أخيه زينة له وقرطاً وشنفاً، فكلّ شيء بزينته، فلو تكلّم العرش لقال: أنا من حسين ـ فهو حسيني الوجود والهوى وكفى...

وقال[٤]: خصوصيّة محلّه في برزخه: في الحديث: إنّه في يمين العرش ينظر إلى مصرعه ومن حلّ فيه، وينظر إلى معسكره، وينظر إلى زوّاره وهو أعرف بهم وبأسمائهم وأسماء آبائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله من أحدكم.

وإنّه ليرى من يبكيه فيستغفر له، ويسأل آباءه أن يستغفروا له ويقول: أيّها الباكي لو تعلم ما أعدّ الله لك، لكان فرحك أكثر من جزعك.

(١) كامل الزيارات: ١٤١.

(٢) كامل الزيارات: ١٩٩.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد: ٢٤٩.

(٤) في الصفحة ٣٨.

وقال في خصوصيّة محلّه في المحشر: في الروايات: إنّ له مجلساً تحت ظلّ العرش خاصّاً به له خصوصيّة، هي أنّ أهل مجلسه من الباكين عليه والزائرين له مستأنسين بحديثه، وهم آمنون، وعند جلوسهم عنده، يرسل إليهم أزواجهم من الجنّة، أنا قد اشتقنا لكم، فيأبون الذهاب إلى الجنّة، ويختارون حديث الحسين عليه السلام ومجلسه هناك على الجنّة[1].

ثمّ إنّه عليه السلام له موقف في المحشر، خاصّ به يوجب اضطراب كلّ أهل المحشر، وتشهق فاطمة عليها السلام إذا نظرت إلى موقفه ذلك وهو حين يحشر قائماً ليس عليه رأس، وأوداجه تشخب دماً، وله تفصيل يذكر في محلّه[2].

(١) كامل الزيارات: ٨١ ـ ٨٢، ونقله العلّامة المجلسي في البحار ٣٥: ٢٠٧.

(٢) الخصائص الحسينيّة: ٣٩.

الفصل الحادي عشر

في رحاب آية السفينة وحديثها
نبذة من وجوه الشبه بين الآية والرواية

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم مخاطباً نوح عليه السلام في صنع السفينة:

﴿ وَٱصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا ﴾[1].

ومن الأحاديث النبويّة المتواترة لفظاً ومعنىً، تفصيلاً وإجمالاً، عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ حديث السفينة.

قال رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[2].

وقيل: لمّا سئل مولانا لسان الله الناطق جعفر بن محمّد الإمام الصادق عليه السلام عن حديث «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»: ألستم أنتم سفن النجاة؟ فقال عليه السلام: كلّنا سفن النجاة إلّا أنّ سفينة الحسين أوسع وأسرع.

كما أنّ للجنّة أبواباً، منها باب يسمّى باب الحسين عليه السلام وهو أوسع الأبواب.

(١) هود: ٣٧.

(٢) لقد ذكرت مصادر الحديث بالتفصيل عند الفريقين في كتاب (أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة)، وهو مطبوع، فراجع.

فالسفينة الحسينيّة سعتها بسعة الخلائق، وتضمّ جميع العباد من آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

كما أنّها أسرع للوصول إلى شاطئ السلام وساحل النجاة، والوصول إلى بحر فيض الله ورحمته الواسعة، والفناء في الله سبحانه وتعالى.

وبنظري إنّ المصباح الحسيني للمتّقين، فإنّه عدل القرآن الكريم، بل هو القرآن الناطق، وإذا كان القرآن التدويني العلمي هدىً للمتّقين:

﴿ ذٰلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ ﴾[1].

فكذلك القرآن التكويني العملي، فهو مصباح الهدى للمتّقين.

كما أنّ السفينة الحسينيّة للمذنبين، لها تجلّيات وأشعّات والألواح نورانيّة في السماوات والأرضين، وعلى مرّ التأريخ والعصور، فإنّ لقتله وشهادته تبكي السماء دماً، كما أنّ الأنبياء والأولياء والأوصياء يبكونه، ويقيمون له المآتم والعزاء، إنّما هو من تجلّيات تلك السفينة المباركة، وأشعّة ذلك المصباح الميمون.

ومن بعد شهادته وواقعة الطفّ الحزينة، نشاهد الثورات القائمة، والمآتم المنصوبة، ومواكب العزاء قبل ألف عام، وبناء الحسينيات قبل قرون، وإلى يومنا هذا وغداً تزداد وتزداد، كالقرآن الكريم غضّ جديد لا يبلى، إنّما ذلك كلّه من بركات تلك السفينة وذلك المصباح، فإنّ الشعائر الحسينيّة التي هي مظاهر من الشعائر الإلهيّة، التي من يقيمها فإنّ ذلك من تقوى القلوب، تلك القلوب التي فيها حرارة قتل سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، وإنّها لن تبرد إلى يوم القيامة، وإنّها شعلة وهّاجة تنير دروب الأحرار على مدى العصور والأحقاب ولكلّ الأجيال، فإنّ

(١) البقرة: ٢.

الشعائر الحسينيّة بكلّ مظاهرها ومحتوياتها الشرعيّة إنّما هي من تجلّيات وظهور وبروز تلك السفينة وذلك المصباح. هكذا شاء ربّك الحكيم أن يبقى دينه القويم الإسلام العظيم، بدم الحسين وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام أبد الآبدين.

فأهل البيت وعترة النبيّ المختار هم سفن النجاة، من تركهم فإنّه لا محالة يغرق ويهوى، كما دلّت على ذلك النصوص القرآنيّة والأحاديث الشريفة وبحكم العقل السليم والفطرة السليمة.

١ ـ النصّ الإلهي
صنع السفينة بأمر ونصّ من الله جلّ جلاله

ثمّ ـ كما في علم البلاغة ـ إنّ التشبيه لا بدّ فيه من وجه الشبه، فإنّه يتمّ بالمشبّه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، فحينما يقال: زيد كالأسد، لا بدّ من وجه الشبه بين زيد والأسد وهي الشجاعة، وإذا قيل: كالثعلب، فالوجه: المراوغة، وإذا قيل: كالحمار، فالوجه البلادة، وهكذا الأمثلة الأُخرى.

ثمّ الرسول الأعظم لمّا شبّه أهل بيته الأئمة الهداة الأطهار عليهم السلام بسفينة نوح لا بدّ أن يكون هناك وجه شبه بينهما حتّى يتمّ المثال ويصحّ.

وإليكم بعض الوجوه التي يمكن أن تكون مرادة في مقام التشبيه، وما هي إلّا رشحات فكريّة جديدة، والله الموفّق والمسدّد للصواب.

يقول الله سبحانه وتعالى في قصّة نوح وسفينته:

﴿ وَٱصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا ﴾[1].

وهذا يعني أنّ صنع السفينة إنّما كان بوحي من الله وبنصّ منه، لا أنّه مفوّض إلى الناس، بل كان بعين الله وحفظه، وهذه تسلية من الله لنبيّه أوّلاً، فكأنّه يطيّب خاطره المتألّم من قومه، بإنّه نراك ونرى صنع سفينتك، فلا تحزن فنحن نحفظك فـ ﴿ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا ﴾، ثمّ إنّما يكون ذلك بوحي منّا، فإنّ

(١) هود: ٣٧.

إرادة الله تعلّقت بذلك.

وكذلك مقام أهل البيت عليهم السلام الشامخ فإنّه كان بصنع الله:

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرُ فيها ٱسْمُهُ ﴾[1].

وكان بوحيه:

﴿ يا أَيُّها الرَّسولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَه ﴾[2].

فنصب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في حجّة الوداع في غدير خم للوصاية والإمارة والخلافة إنّما كان بوحي ونصّ من الله سبحانه وتعالى، وما أكثر النصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة الثابتة عند الفريقين تدلّ على ذلك.

كما نصّ النبيّ الأكرم على الأئمة الاثني عشر وأنّهم من قريش في نصوص كثيرة، ينقلها أبناء العامّة في صحاحهم الستّة، كما هو متواتر عند أصحابنا الكرام.

عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الأئمة من قريش[3].

عن معاني الأخبار: سمّي الإمام إماماً لأنّه قدوة للناس منصوب من قبل الله تعالى ذكره، مفترض الطاعة على العباد.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جاعلك للناس إماماً ﴾ قال: فقال: لو علم الله أنّ اسماً أفضل منه لسمّانا به[4].

(١) النور: ٣٦.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) البحار ٢٥: ١٠٤، عن عيون الأخبار: ٢٢٣.

(٤) المصدر، عن تفسير العياشي ١: ٥٨.

وعن صاحب الأمر الإمام المهدي عليه السلام في حديث لمّا سأله سعد بن عبد الله القمّي عن العلّة التي تمنع القوم من اختيار الإمام لأنفسهم ؟ مصلح أو مفسد ؟ قلت : مصلح. قال : فهل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد ؟ قلت : بلى، قال : فهي العلّة وأوردها لك ببرهان ينقاد لك عقلك، ثمّ قال : أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله عزّ وجلّ وأنزل عليهم الكتب وأيّدهم بالوحي والعصمة، وهم أعلام الأُمم أهدى إلى الاختيار منهم، ثمّ موسى وعيسى هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنّان أنّه مؤمن ؟ قلت : لا، قال : هذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختيار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه عزّ وجلّ سبعين رجلاً ممّن لا يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم فوقع خيرته على المنافقين قال الله عزّ وجلّ : ﴿ واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا ﴾ فلمّا وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله عزّ وجلّ للنبوّة واقعاً على الأفسد دون الأصلح وهو يظنّ أنّه الأصلح دون الأفسد، علمنا أنّ الاختيار لا يجوز إلّا لمن يعلم ما تخفي الصدور[1].

عن رسول الله في حديث متواتر عند الفريقين : إنّي قد تركت فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي وأحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض.

(١) ميزان الحكمة ١ : ١٣٠، الطبعة الجديدة.

٢ ـ العصمة

في قصّة نوح عليه السلام قال الله تعالى عن لسان نوح عليه السلام في مخاطبة ولده لمّا دعاه إلى ركوب السفينة ليعصم من الطوفان، فأجاب الولد : إنّي سآوي إلى جبل يعصمني، فقال له نوح عليه السلام :

﴿ لا عاصِمَ اليَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾[1].

وهذا يعني أنّ العصمة من الطوفان والغرق انحصرت بالسفينة، من هذا المنطلق قال نوح عليه السلام :

﴿ ٱرْكَبْ مَعَنا ﴾[2].

فكذلك أهل البيت من المعصومين عليهم السلام، فالحديث النبويّ الشريف الذي يشبّه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح يدلّ على عصمتهم، وأنّه كلّ من تخلّف عنهم غرق وهوى لا محالة.

فلا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من ركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، ومن تخلّف حتّى ولو كان من أولادهم فإنّه من الهالكين.

فالعصمة التي تعني اللطف والعناية الإلهيّة والقوّة القدسيّة في المعصوم ـ النبيّ والإمام عليهما السلام ـ تمنعه من الشين والزلل والخطأ والذنب والسهو، لا على حدّ الإلجاء والقهر، هذه العصمة أودعها الله في صفوة عباده من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام لحفظ

(١) هود : ٤٣.

(٢) هود : ٤٢.

دينه وشرائعه ومناهجه، فلولا العصمة[1] لما تمّ اللطف الإلهي في حفظ الدين:

(١) من مظاهر كمال الأنبياء والأوصياء والتي اتّصف بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام وسيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، هي العصمة من الآثام والمعاصي والذنوب، والتنزّه عن كلّ القبائح وكلّ ما يشين المرء، ولولا ذلك لما تمكّنت الأُمّة من معرفة الحقّ من الباطل والخطأ من الصواب، وقد عرّف متكلّموا الشيعة العصمة بتعاريف عديدة مرجعها إلى ما ذكرناه، وأساسه بنظري هو العلم النوري الذي يقذفه الله في قلب من يشاء، فإنّ العلم بمنشأ الذنوب ونتائجها وآثارها الوضعيّة والتكليفيّة في الدارين، يمنع الإنسان عن المعصية، فيعصمه بعصمة ذاتيّة كلّية، كما في الأنبياء والأوصياء والتي تسمّى بالعصمة الكبرى، وأُخرى بعصمة أفعاليّة جزئيّة، كما في الأولياء والصلحاء، وهذا العلم هو من الله سبحانه بلطف خاصّ، وهو العلم الذي علّم آدم، فهو من العلم الآدمي، وهناك علم ناري شيطاني خالٍ عن التقوى عارٍ عن التزكية.

لو كان للعلم غير التقى شرفاً ... لكان إبليس أشرف خلق الله

فهذا العلم يحرق ويبيد ويهلك النفوس والحرث والنسل، وذلك العلم يعمر به الديار والقلوب ويسعد به الإنسان في الدارين، فالعلم الإلهي النوري الآدمي يوجب العصمة لا محالة، وإنّما يغفر الله للذين يعملون السوء بجهالة.

وأمّا العصمة اصطلاحاً:

فقال الشيخ المفيد عليه الرحمة: بأنّها الامتناع بالاختيار عن فعل الذنوب والقبائح عند اللطف الذي يحصل من الله تعالى في حقّه، وهو لطف يمتنع من يختصّ به من فعل المعصية وترك الطاعة مع القدرة عليهما.

ويقول العلّامة الحلّي قدس سره: بأنّها لطف من الله تعالى يفيضه على المكلّف، لا يكون به مع ذلك داعٍ إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك.

وقال الشيخ الطوسي قدس سره: بأنّها ما يمتنع المكلّف من المعصية في حال تمكّنها منها.

فالعصمة يعني الكمال التامّ لنفس المعصوم، والامتناع من اقتراف أيّ ذنب ومعصية

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظونَ ﴾[1].

فالعصمة صمّام وضمان لسلامة الدين من الضياع والانحراف والمحو، ولا يعلمها إلّا الله سبحانه.

ـ عن عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: الإمام منّا لا يكون إلّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً، فقيل له:

واشتباه وخطأ وسهو، وهذا لا يكون إلّا لمن اختاره الله واصطفاه بحكمته البالغة لأداء رسالته السمحاء وحفظها من الضياع والانحراف.

واستدلّوا على العصمة بأدلّة عقليّة ونقليّة منها:

١ ـ إنّ الإمام لو لم يكن معصوماً للزم التسلسل أو الدور وكلاهما باطلان فثبت المطلوب عصمة الإمام.

٢ ـ إنّ الإمام عليه السلام حافظ للشرع المقدّس فيجب أن يكون معصوماً.

٣ ـ لو وقع منه الخطأ لوجب الإنكار عليه وذلك يتنافى مع الأمر الإلهي بطاعته بقوله تعالى: ﴿ أَطيعوا اللهَ وَأَطيعوا الرَّسولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

٤ ـ لو وقع منه المعصية لزم نقض الغرض من نصب الإمام.

٥ ـ أنّه لو وقع منه المعصية للزم أن يكون أقلّ درجة من العوامّ، لأنّ عقله أكمل ومعرفته بالله أتمّ، فلو وقع منه المعصية لكان أقلّ حالاً من رعيّته.

ومن الآيات القرآنية يكفينا شاهداً قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً ﴾، وإنّما أداة حصر، والرجس مطلق المعصية وما يشين الإنسان، وأهل البيت عليهم السلام كما في روايات الفريقين السنّة والشيعة متواتراً هم محمّد رسول الله وعليّ المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين سيّد الشهداء عليهم أفضل صلوات الله، كما ورد ذلك في حديث الكساء عن أُمّ سلمة.

(١) الحجر: ٩.

يا بن رسول الله، فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّ هٰذا القُرْآنَ يَهْدي لِلَّتي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1].

ـ عن الحسين الأشقر، قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: إنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً؟ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله، وقد قال الله تبارك وتعالى:

﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ ﴾. بيان: الممتنع بالله أي بتوفيق من الله[2].

في الخصال: قوله تعالى: ﴿ لا يَنالُ عَهْدي الظّالِمينَ ﴾، عن الإمام الصادق عليه السلام: عنى به أنّ الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين وإن أسلم بعد ذلك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم الشرك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ ﴾، وكذلك لا تصلح الإمامة لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً وإن تاب منه بعد ذلك، وكذلك لا يقيم الحدّ من في جنبه حدّ، فإذاً لا يكون الإمام إلّا معصوماً ولا تعلم عصمته إلّا بنصّ من الله عزّ وجلّ عليه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله، لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة

(١) البحار ٢٥: ١٩٤، باب ٥ عصمتهم عليهم السلام ولزوم عصمة الإمام عليه السلام، وفي الباب ٢٤ رواية، والآية في سورة الإسراء: ٩.

(٢) المصدر، عن معاني الأخبار: ٤٤، والآية من آل عمران: ١٠١، وللشيخ الصدوق كلام مفصّل في العصمة ولزومها، فراجع.

فتُرى كالسواد والبياض وما أشبه ذلك، وهي مغيّبة لا تعرف إلّا بتعريف علّام الغيوب عزّ وجلّ[1].

فالإمام المستحقّ للإمامة له شرائط وعلامات، فمنها: العصمة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: بأن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا... العصمة من جميع الذنوب وبذلك يتميّز عن المأمومين الذين هم غير المعصومين لأنّه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما يدخل الناس فيه من موبقات الذنوب المهلكات والشهوات واللذات[2].

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّ ممّا استحقّت به الإمامة التطهير والطهارة من الذنوب والمعاصي الموبقة التي توجب النار، ثمّ العلم المنوّر بجميع ما يحتاج إليه الأُمّة، من حلالها وحرامها والعلم بكتابها خاصّه وعامّه والمحكم والمتشابه ودقائق علمه وغرائب تأويله وناسخه ومنسوخه[3].

فالإمام لا بدّ أن يكون معصوماً، ولا يعرف عصمته الذاتيّة إلّا الله سبحانه، فهو الذي ينصبه إماماً على الناس بنصّ منه ومن رسوله ويخبر عن عصمتهم.

ـ عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون[4].

(١) المصدر، عن الخصال ١: ١٤٩.

(٢) البحار ٢٥: ١٦٤.

(٣) البحار ٢٥: ١٤٩.

(٤) المصدر، عن إكمال الدين: ١٦٣.

وبهذا فالله هو الذي يختار ويصطفي من عباده الأنبياء ثمّ خلفاءهم الأوصياء، فمن كان معهم فهو في سفينة النجاة، فمن ركب سفينة نوح فإنّه يسلم من الغرق ومن الهلاك، ومن يركب سفينة الحسين عليه السلام فإنّه يأمن على نفسه من الغرق والهلاك، فلا عصمة إلّا بركوب السفينتين، سفينة الآية لقوم نوح وسفينة الرواية لأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

٣ ـ الإيمان

لا بدّ لمن يركب سفينة نوح من الإيمان به؛ لقوله تعالى: ﴿ ٱرْكَبْ مَعَنا ﴾، فالمعيّة يستلزمها الإيمان، فالمؤمن هو الذي يبادر بركوب السفينة، فكذلك أهل البيت، فإنّ من يركب سفينتهم لا بدّ أن يؤمن بهم أوّلاً، ولا إيمان إلّا بالمعرفة، إلّا أنّ المعرفة ـ كما مرّ ـ لها مراتب ومراحل كذلك الإيمان له درجات ـ كما في الروايات من القول بعشر درجات إلى أربعمئة درجة، ولعلّ العشرة أُمّهات وأُصول الدرجات فلا تنافي بين الأخبار فتدبّر ـ.

فقوله تعالى: ﴿ ٱرْكَبْ مَعَنا ﴾ أمر والأمر بظاهره يدلّ على الوجوب، فكان من الفرض الواجب على ابن نوح أن يركب مع أبيه، إلّا أنّه عصى وخالف، فدخل في زمرة المخالفين العصاة الطغاة، فغرق وخسر الدنيا والآخرة، ولم ينفعه نسبه واتّصاله المادّي والجسدي ببيت النبوّة والوحي، بل من كان مع نوح فهو منه، ومن أولاده:

﴿ مَنْ تَبِعَني فَهُوَ مِنِّي ﴾[1].

وكذلك من كان مع الإمام الحسين عليه السلام ويركب سفينته، فإنّه من أهل النجاة، ومن الأُمّة الحسينيّة، ويكون والده الإمام عليه السلام، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة ـ متّفق عليه عند الفريقين ـ.

فمن كان مع الحسنين سبط رسول الله، يعني أنّه يؤمن به أوّلاً، ومن ثمّ يركب

---

(١) إبراهيم: ٣٦.

سفينته ويستضيء بمصباحه من سيرته وثورته وكلماته وحياته القدسيّة.

فالإيمان كلّ الإيمان في معرفة الله ورسوله وعترته وإطاعتهم.

قال الإمام الباقر عليه السلام: إنّما يعرف الله عزّ وجلّ ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت[١].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من عرفنا كان مؤمناً، ومن أنكرنا كان كافراً. إلّا ما علم بين الله عزّ وجلّ وبين خلقه، فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة الجاهليّة[٣].

وقال الصادق عليه السلام: من لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالّاً حتّى يرجع إلى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة، فإن يمت على ضلالته يفعل الله به ما يشاء[٤].

(١) الكافي ١١ : ١٨١.

(٢) البحار ٢٣ : ٨٨.

(٣) المصدر : ٧٧.

(٤) الكافي ١ : ١٨٧.

٤ ـ الطهارة

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾[١].

في حديث طويل في مجلس المأمون مع الإمام الرضا عليه السلام وعلماء ذلك الزمان، قالت العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة، أهم الآل أم غير الآل؟ فقال الرضا عليه السلام: هم الآل. فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه ـ أي ينقل عنه ـ أنّه قال: «أُمّتي آلي»، وهؤلاء أصحابه يقولون بالخبر المستفاض عن الذي لا يمكن دفعه: «آل محمّد أُمّته»، فقال أبو الحسن عليه السلام: أخبروني هل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم، قال: فتحرم على الأُمّة؟ قالوا: لا، قال: هذا فرق ما بين الآل والأُمّة، ويحكم أين يذهب بكم؟ أضربتم عن الذكر صفحاً أم أنتم قوم مسرفون؟ أما علمتم أنّه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟ قالوا: ومن أين يا أبا الحسن؟ قال: من قول الله عزّ وجلّ:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾.

فصارت وراثة النبوّة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين، أما علمتم أنّ نوحاً عليه السلام حين سأل ربّه:

(١) الحديد : ٢٦.

﴿ فَقالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْني مِنْ أَهْلي وَإِنَّ وَعْدَكَ الحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الحاكِمينَ ﴾.

وذلك أنّ الله عزّ وجلّ وعده أن ينجّيه وأهله فقال له ربّه عزّ وجلّ:

﴿ يا نوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكونَ مِنَ الجاهِلينَ ﴾.

فقال المأمون: هل فضّل الله العترة على سائر الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ أبان فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. فقال له المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟ قال له الرضا عليه السلام: في قوله عزّ وجلّ:

﴿ إِنَّ اللهَ ٱصْطَفىٰ آدَمَ وَنوحاً وَآلَ إِبْراهيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلى العالَمينَ ذِرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ ﴾.

وقال عزّ وجلّ في موضع آخر:

﴿ أَمْ يَحْسُدونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾.

ثمّ ردّ المخاطبة في أثر هذا إلى سائر المؤمنين فقال:

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا أَطيعوا اللهَ وَأَطيعوا الرَّسولَ وَأُولي الأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾.

يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عزّ وجلّ:

﴿ أَمْ يَحْسُدونَ النَّاسَ عَلىٰ ما آتاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهيمَ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظيماً ﴾.

يعني الطاعة للمصطفين الطاهرين، فالملك هاهنا هو الطاعة لهم، ـ الحديث[1] ـ.

(١) البحار ٢٥: ٢٢٢.

هذه الرواية الشريفة تفسّر وتبيّن لنا مفهوم الآية الكريمة، وأنّ ربّان السفينة لا بدّ أن يكون من المطهّرين بما لكلمة الطهارة من معاني، كطهارة المولد وطهارة النفس وطهارة المعتقد وغير ذلك من معاني الطهارة باعتبار متعلّقاتها وموارداها.

فالكتاب وعلمه والنبوّة ومعالمها إنّما هي في ذرّية نوح وإبراهيم، إلّا أنّه لا ينال هذا العهد العظيم عهد الإمامة والخلافة كلّ واحد من الذرّية بل:

﴿ لا يَنالُ عَهْدي الظّالِمينَ ﴾.

فمن كان ظالماً في حياته بارتكاب الذنوب والمعاصي وإنّ الشرك لظلمٌ قبيح، فمن كان مشركاً في قسط من حياته هيهات أن ينال عهد الله وهو عهد الإمامة ـ كما في صريح الآية الشريفة ـ ولا يخفى أنّ كثير من ذرّيتهما كانوا من الفاسقين، فلا ينالون حكم الكتاب الكريم، ولا حقّ النبوّة وديمومتها وحفظها، حتّى ولو كان ابن نوح، فكيف لو كان من صحابة النبيّ، فإنّه ليس من أهله ولا صحابته، فسحقاً لهم سحقاً، لا تدري ما أحدثوا وما بدّلوا من بعدك يا رسول الله ـ كما في صحيح البخاري، قسم الفتن، فراجع ـ.

فلا يركب سفينة نوح ولا سفينة الحسين عليهما السلام إلّا من كان طاهراً، ويموت على الطهارة والاهتداء من التوبة النصوحة المقارنة مع الولاية الكبرى ـ كما في الخبر الشريف[1] ـ.

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (هذه هي الولاية)، فراجع.

٥ ـ الاهتداء

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً وَإِبْراهيمَ وَجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِما النُّبُوَّةَ وَالكِتابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثيرٌ مِنْهُمْ فاسِقونَ ﴾[١].

من أراد أن يعرف الطريق في ظلمات الليل في الصحراء القاحلة، فإنّه يهتدي بالنجوم السماويّة، وهناك في الحياة الدنيويّة لمن أراد أن يعرف طريقها ويستنير في ظلماتها بنجوم وكواكب درّيّة، فإنّه يهتدي بأئمّة الحقّ، فلا تتمّ الهداية إلّا بمعرفة أئمّة الهدى ومصابيحها، ثمّ اتّباعهم وإطاعتهم والاقتداء بهداهم، والسير على منهاجهم وسلوكهم وقبول ولايتهم.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾[٢].

قال العلّامة المجلسي: وفسّر الاهتداء في الآية في كثير من الأخبار بالاهتداء إلى الولاية.

ـ عن أبي جعفر عليه السلام في قوله الله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾ قال: ألا ترى كيف اشترط ولم تنفعه التوبة أو الإيمان والعمل الصالح حتّى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل ما قبل منه حتّى يهتدي، قال: قلت: إلى من،

(١) الحديد: ٢٦.

(٢) طه: ٨٤.

جعلني الله فداك؟ قال: إلينا[١].

ـ عن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: ومن تاب من ظلم وآمن من كفر وعمل صالحاً، ثمّ اهتدى إلى ولايتنا، وأومأ بيده إلى صدره[٢].

ـ عن سعد بن طريف، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فجاءه عمرو ابن عبيد فقال: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿ وَلا تَطْغَوْ فيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبي وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبي فَقَدْ هَوىٰ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال له أبو جعفر عليه السلام: قد أخبرك أنّ التوبة والإيمان والعمل الصالح لا يقبلها إلّا بالاهتداء، أمّا التوبة فمن الشرك بالله، وأمّا الإيمان فهو التوحيد لله، وأمّا العمل الصالح فهو أداء الفرائض، وأمّا الاهتداء فبولاة الأمر، ونحن هم، فإنّما على الناس أن يقرأوا القرآن كما أُنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا وإلينا يا عمرو[٣].

ـ عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام قال: قال الله تعالى في كتابه:

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: والله لو أنّه تاب وآمن وعمل صالحاً ولم يهتدِ إلى ولايتنا ومودّتنا ويعرف فضلنا ما أغنى عنه ذلك شيئاً[٤].

(١) البحار ٢٧: ١٦٩، عن تفسير القمّي: ٤٢٠.

(٢) المصدر، عن بصائر الدرجات: ٢٣.

(٣) المصدر، عن تفسير الفرات: ٩١.

(٤) المصدر والمرجع.

ـ عن داود الرقّي قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، فما هذا الهدى بعد التوبة والإيمان والعمل الصالح؟ قال: فقال: معرفة الأئمّة والله إمام بعد إمام[1].

ـ عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صالِحاً ثُمَّ اهْتَدىٰ ﴾، قال: آمن بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله، وعمل صالحاً، قال: أداء الفرائض، ثمّ اهتدى إلى حبّ آل محمّد. وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: والذي بعثني بالحقّ نبيّاً لا ينفع أحدكم الثلاثة حتّى يأتي بالرابعة، فمن شاء حقّقها ومن شاء كفر بها، فإنّا منازل الهدى وأئمّة التقى، وبنا يستجاب الدعاء ويدفع البلاء، وبنا ينزل الغيث من السماء، ودون علمنا تكلّ ألسن العلماء، ونحن باب حطّة وسفينة نوح، ونحن جنب الله الذي ينادي من فرّط فينا يوم القيامة بالحسرة والندامة، ونحن حبل الله المتين الذي من اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم، ولا يزال محبّنا منفيّاً مؤذياً منفرداً مضروباً مطروداً مكذوباً محزوناً، باكي العين حزين القلب حتّى يموت، وذلك في الله قليل[2].

أقول: سبحان الله، لقد كان أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيّد المظلومين، وإنّ المظلوميّة هذه جرت على أهل بيته الأئمّة الأطهار عليهم السلام فما منهم إلّا مقتول أو مسموم، بل سرت المظلوميّة على طول التأريخ وإلى يومنا هذا، حتّى على شيعتهم وأنصارهم، فهذه زنزانات الظالمين يملؤها المؤمنون والمؤمنات من موالي وشيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباع مذهب عترة المصطفى عليهم السلام، فلا يزال الشيعي المخلص

(١) البحار ٢٧: ١٩٨.

(٢) المصدر.

مطارد من قبل أعداء الدين، ومن قبل حكّام الجور والفسوق والفساد، ولا يزال الموالي لأهل البيت والمحبّ لهم منفيّاً من بلده، منفرداً يؤذيه أعداء الله مضروباً، لا يصدّق قوله، حزين القلب باكي العين، يعيش الآلام والأسقام والسجون، سجون الطغاة والجبابرة حتّى يموت، وكلّ هذا يهون، فإنّه بعين الله، وإنّه في الله قليل. وإنّه يبقى دين الله بالدماء الزكيّة وسفك المهج الطاهرة، نسأل الله الشهادة ومقامها من أجل الولاية وأنوارها.

نسأله تعالى أن يحشرنا مع ربّان سفينة النجاة سيّد الشهداء والأحرار مولانا الإمام الحسين عليه السلام.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مثلي فيكم مثل الشمس، ومثل عليّ مثل القمر، فإذا غابت الشمس فاهتدوا بالقمر[1].

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾ فالنجم رسول الله صلى الله عليه وآله والعلامات الأوصياء بهم يهتدون.

عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: مثل أهل بيتي مثل النجوم، كلّما أفل نجم طلع نجم.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وعلاماتٍ وبالنجم هم يهتدون ﴾ قال: نحن النجم.

(١) البحار ٢٤: ٧٦، الباب ٣٠ باب أنّهم عليهم السلام النجوم والعلامات، الحديث ١٣، وفي الباب ٣٢ رواية، فراجع.

٦ ـ النجاة

يوم الطوفان كان النجاة بسفينة نوح لا غير، فلم يكن هناك أمرٌ آخر يوجب السلامة والنجاة من أمر الله، حتّى الجبل الشامخ، فإنّه مقهور لقدرة الله وإرادته.

كذلك سفينة أهل البيت عليهم السلام، فإنّ النجاة بعد رحلة رسول الله صلى الله عليه وآله والطوفان الشديد الذي أنتج ارتداد الناس بعد الرسول إلّا القلائل، لا تكون النجاة إلّا بأهل البيت عليهم السلام:

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ وَكونوا مَعَ الصَّادِقينَ ﴾[1].

وعن سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُناسٍ بِإمامِهِمْ ﴾ إمام دعى إلى هدىً فأجابوه إليه، وإمام دعى إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنّة وهؤلاء في النار، وهو قوله عزّ وجلّ ﴿ فَريقٌ في الجَنَّةِ وَفَريقٌ في السَّعير ﴾.

قال الإمام الصادق عليه السلام: إنّه ليس من قوم ائتمّوا بإمامهم في الدنيا إلّا جاء يوم القيامة يعلنهم ويلعنونه، إلّا أنتم ومن على مثل حالكم[2].

(١) التوبة: ١١٩.

(٢) ميزان الحكمة ١: ١٦٩، عن البحار ١٨: ١١.

٧ ـ الطوفان

حديث السفينة مع آية السفينة يدلّان على أنّ هناك طوفان، وحوادث طوفانيّة، وهذا الطوفان والانقلاب على الأعقاب بعد موت النبيّ مستمرّ إلى اليوم الموعود، والدنيا دار امتحان وابتلاء وفتنة: ﴿ أَفَحَسِبَ النَّاسُ... ﴾.

فالتأريخ البشري منذ البداية كان محفوفاً بالطوفان واحداً تلو الآخر، ابتداءً بطوفان آدم والشيطان، ثمّ هابيل وقابيل، وهكذا الأنبياء مع فراعنة زمانهم، ثمّ بعد الأنبياء العلماء ورثتهم، والناس كلّ يوم في طوفان في العقائد والثقافة والأفكار الفاسدة والمفاسد الاجتماعية، وغيرها الكثير من الطوفانات المتنوّعة والمستمرّة، وفي كلّ الأحوال الطوفانيّة، ليس النجاة إلّا بركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام، سفينة الإمام الحسين عليه السلام.

فإنّه إنّما تؤخذ عقائدنا الصحيحة وأحكامنا الشرعيّة ومنهاج حياتنا وسلوكنا وأخلاقنا وكلّ شيء من أهل البيت عليهم السلام، فهم سفن النجاة في أيام الطوفان وعقباته.

٨ ـ الانحصار

من الواضح أنّ الوسائل النقليّة كالسيّارة والدرّاجة والقطار والطائرة في يومنا هذا، ومن قبل الإبل والحمير والبغال وما شابه ذلك، من يتخلّف عنها في ترحاله وأسفاره، لا يلزمه الهلاك والإبادة والانعدام والخسران، بخلاف السفينة، فإنّ التخلّف عنها، لا سيّما في أيام الطوفان كما في قصّة نوح عليه السلام يوجب الهلاك والموت.

فتشبيه أهل البيت عليهم السلام بالسفينة ـ سفينة نوح بالخصوص ـ إنّما يدلّ على أنّه لا وسيلة هناك غيرهم للنجاة.

ولهذا حتّى عند أبناء العامّة ثبت كذب هذا الحديث المروي عن النبيّ: «أصحابي كالنجوم بأيّهم أخذتم اهتديتم».

فإذا كان الصحابة على طرفي نقيض كيف لو أخذنا بأحدهما اهتدينا، فإنّ الحقّ مع واحد منهما، فإنّ الحقّ إمّا مع يزيد شارب الخمور سفّاك الدماء، أو مع الإمام الحسين الشهيد بكربلاء سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وكذلك قبلهما، فمن المستحيل أن يكونا ـ وهما على طرفي نقيض ـ على حقٍّ معاً.

فإذا كان أهل البيت عليهم السلام سفينة النجاة، فلا نجاة مع غيرهم، بل يوجب الضلال والهلاك والغرق والهوى، لنصّ وصراحة حديث السفينة الثابت بالتواتر عند الفريقين.

الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذينَ جاهَدوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذوا مِنْ دونِ اللهِ وَلا رَسولِهِ وَلا المُؤْمِنينَ**

وَليجَةً ﴾ يعني بالمؤمنين الأئمة عليهم السلام لم يتّخذوا الولايج من دونهم[1].

وعنه عليه السلام: يعني بالمؤمنين آل محمّد، والوليجة البطانة.

عن أبان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يا معشر الأحداث، اتّقوا الله ولا تأتوا الرؤساء، دعوهم حتّى يصيروا أذناباً، لا تتّخذوا الرجال ولائج من دون الله، أنا والله أنا والله خيرٌ لكم منهم، ثمّ ضرب بيده إلى صدره.

---

(١) البحار ٢٤: ٢٤٤، الباب ٦١ ما نزل في النهي عن اتّخاذ كلّ بطانة ووليجة ووليّ من دون الله وحججه عليهم السلام، وفي الباب ١٢ رواية.

٩ ـ حقيقة المودّة

هناك من يدّعي مودّة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم، على أنّ المطلوب منّا ذلك أجراً للرسالة المحمّديّة كما في قوله تعالى:

﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ أَجْراً إِلّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ ﴾[1].

فيكتفون بالمحبّة الظاهريّة، والمودّة السطحيّة، من دون عمق في الوجود الذي يتجلّى في الجوارح، في اتّباعهم في الأحكام الصادرة من معدنهم، معدن الوحي والرسالة.

فيحبّون أهل البيت عليهم السلام، إلّا أنّهم لا يأخذون أحكامهم منهم، بل يطرقون أبواب غيرهم، ويأخذون العلم من غيرهم، وطلب الهداية من غيرهم مساوغ لإنكارهم، وكيف يكون الحبّ من دون الاتّباع:

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ اللهُ ﴾[2].

ومقايسة آية السفينة مع حديثها الشريف يدلّ على ذلك، فإنّه كان بين نوح وولده المحبّة والقرابة والمودّة، ومن حبّ نوح لولده دعاه ليركب سفينته، كما أنّ الولد يحبّ الوالد، ولكن هذا الحبّ لا يكفي في النجاة من الطوفان، بل لا بدّ من العمل ومن ركوب السفينة، فلا بدّ من الاتّباع العملي والقولي، كما لا بدّ من المحبّة القلبيّة.

فحبّ بلا اتّباع عملي وعقيدتي دين غير كامل، إنّما كمل الدين بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الغدير، وبأهل البيت الأئمة الهداة المهديّين عليهم السلام.

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) آل عمران: ٣١.

١٠ ـ استمرار الإمامة

لا بدّ من استمرار الإمامة، والأدلّة القاطعة والبراهين الساطعة تدلّ على ذلك، كما هو ثابت في محلّه، فإنّ الحديث النبويّ المتواتر عند الفريقين السنّة والشيعة «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية» يدلّ على ذلك بوضوح[1].

كما يدلّ عليه حديث الثقلين المتواتر لفظاً ومعنىً، إجمالاً وتفصيلاً عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ في قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل البيت ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي ابداً وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»[2].

فلمّا كان القرآن الكريم خالداً وأبداً إلى يوم القيامة، فكذلك أهل البيت عليهم السلام لعدم الافتراق بينهما في كلّ شيء في البداية والنهاية، ولمّا كان الطوفان مستمرّاً إلى يوم الظهور والحوادث والبدع والضلالات مستمرّة إلى اليوم الموعود، فلا بدّ من وجود سفينة النجاة، وإنّها مستمرّة ودائمة بدوام الحياة، لا تنحصر بعصر دون عصر، ولا تختصّ بجيل دون جيل، بل هي في كلّ العصور وعلى مدى الأحقاب والأجيال.

وسفينة أهل البيت عليهم السلام وسفينة الإمام الحسين عليه السلام إنّما يمثّلها ويسوقها

(١) ذكرت ذلك بالتفصيل في (الإمام المهدي عليه السلام وطول العمر في نظرة جديدة)، فراجع.

(٢) ذكرت الحديث وأسانيده وشرحه بالتفصيل في (السرّ في آية الاعتصام)، و (في رحاب حديث الثقلين)، فراجع.

ويقودها بوجوده المقدّس صاحب الزمان عليه السلام الذي لولاه لساخت الأرض بأهلها، فبوجوده ثبتت الأرض والسماء وبيمنه رزق الورى، فهو قطب عالم الإمكان، شريك القرآن، إمام الإنس والجانّ، صاحب العصر والزمان، الحجّة الثاني عشر، الإمام المنتظر عجّل فرجه الشريف وجلعنا من خلّص شيعته وأنصاره والمهتدين بمصباحه وراكبي سفينته.

١١ ـ خلائف في الأرض

قال الله تعالى:

﴿ وَٱتْلُ نَبَأَ نوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مقامي وَتَذْكيري بِآياتِ اللهِ فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْتُ فَاجْمَعوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرون * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَما سَأَلْتكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكونَ مِنَ الْمُسْلِمينَ * فَكَذَّبوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ في الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرينَ ﴾[1].

في تفسير مجمع البيان في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ ﴾ أي جعلنا الذين نجوا مع نوح خلفاء لمن هلك بالغرق، وقيل: إنّهم كانوا ثمانين نفساً. وقال البلخي: يجوز أن يكون أراد جعلناهم رؤساء في الأرض ﴿ وَأَغْرَقْنا الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا ﴾ أي أهلكنا باقي أهل الأرض أجمع لتذكيبهم لنوح عليه السلام ﴿ فَانْظُرْ ﴾ أيّها السامع ﴿ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرينَ ﴾ أي المخوّفين بالله وعذابه، أي كيف أهلكهم الله[2].

وفي تفسير الميزان: الخلائف جمع خليفة أي جعلنا هؤلاء الناجين خلائف في الأرض والباقين من بعدهم يخلفون سلفهم ويقومون مقامهم[3].

الخليفة هو الذي يخلف نفساً في أمر، وأُطلق أوّلاً على آدم عليه السلام فهو خليفة الله

---

(١) يونس: ٧١ ـ ٧٣.

(٢) مجمع البيان ١١: ٢١٢.

(٣) تفسير الميزان ١١: ٩٨.

جلّ جلاله، وإنّما خلافة كلّ شيء بحسبه، فخلافة الله في أسمائه وصفاته، في علمه وقدرته وحياته.

توضيح ذلك: قال سيّدنا العلّامة الطباطبائي قدس سره في تفسيره القيّم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لَلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلى المَلائِكَةِ فَقالَ أَنْبِئوني بِأَسْماءِ هؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ قالوا سُبْحانَكَ لا عِلْمَ لَنا إِلّا ما عَلَّمْتَنا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ قالَ يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمائِهِمْ فَلَمّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ وَأَعْلَمُ ما تُبْدونَ وَما كُنْتُمْ تَكْتُمونَ ﴾[1].

الآيات الكريمة تنبئ عن غرض إنزال الإنسان إلى الدنيا، وحقيقة جعل الخلافة في الأرض وما هو آثارها وخواصّها، وهي على خلاف سائر قصصه لم يقع في القرآن إلّا في محلّ واحد وهو هذا المحلّ.

قوله تعالى: ﴿ قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ إلى قوله: ﴿ ونقدّس لك ﴾ مشعر بأنّهم إنّما فهموا وقوع الإفساد وسفك الدماء من قوله سبحانه ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ حيث إنّ الموجود الأرضي بما أنّه مادّي مركّب من القوى الغضبيّة والشهويّة، والدار دار التزاحم، محدودة الجهات، وافرة المزاحمات، مركّباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنّة الفساد ومصبّ البطلان لا تتمّ الحياة فيها إلّا بالحياة النوعيّة، ولا يكمل البقاء فيها إلّا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافة

(١) البقرة: ٣٠ ـ ٣٣.

المرادة لا تقع في الأرض إلّا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم يفضي بالاخرة إلى الفساد والسفك، والخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتمّ إلّا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجوديّة وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمّى بالأسماء الحسنى متّصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزّه في نفسه عن النقص ومقدّس في فعله عن الشرّ والفساد جلّت عظمته، والخليفة الأرضي بما هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكلّ نقص وشين الوجود الإلهي المقدّس المنزّه عن جميع النقائص وكلّ الأعدام، فأين التراب وربّ الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه، واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من الاعتراض والخصومة في شيء، والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم ﴿ إنّك أنت العليم الحكيم ﴾ حيث صدّر الجملة بإنّ التعليليّة المشعرة بتسليم مدخولها، فافهم.

فلخّص قولهم يعود إلى أنّ جعل الخلافة إنّما هو لأجل أن يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده، والأرضيّة لا تدعه يفعل ذلك بل تجرّه إلى الفساد والشرّ، والغايه من هذا الجعل وهي التسبيح والتقديس بالمعنى الذي مرّ من الحكاية حاصلة بتسبيحنا بحمدك وتقديسنا لك، فنحن خلفاؤك أو فاجعلنا خلفاء لك، فما فائدة جعل هذه الخلافة الأرضيّة لك؟ فردّ الله سبحانه ذلك عليهم بقوله: ﴿ إنّي أعلم ما لا تعلمون وعلّم آدم الأسماء كلّها ﴾، وهذا السياق يشعر أوّلاً: بأنّ الخلافة المذكورة إنّما كانت خلافة الله تعالى، لا خلافة نوع من الموجود الأرضي كانوا في الأرض قبل الإنسان وانقرضوا، ثمّ أراد الله تعالى أن يخلفهم بالإنسان، كما احتمله بعض المفسّرين، وذلك لأنّ الجواب الذي أجاب

سبحانه به عنهم وهو تعليم آدم الأسماء لا يناسب ذلك، وعلى هذا فالخلافة غير مقصورة على شخص آدم عليه السلام، بل بنوه يشاركونه فيها من غير اختصاص ـ فالخلافة مستمرّة إلى يوم القيامة، ولا تخلو الأرض من خليفة الله وهو الإنسان الكامل جامع الجمع له ما لرسول الله محمّد خاتم النبيّين عليهم السلام من شؤون الولاية العظمى سوى النبوّة ـ ويكون معنى تعليم الأسماء إيداع هذا العلم في الإنسان بحيث يظهر منه آثاره تدريجاً دائماً ولو اهتدى إلى السبيل أمكنه أن يخرجه من القوّة إلى الفعل، ويؤيّد عموم الخلافة قوله تعالى ﴿ إذ جعلكم خلفاء في الأرض ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ ثمّ جعلناكم خلائف في الأرض ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾[3].

أقول: كما يدلّ عليه نفس الآية الشريفة ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ فإنّها جملة إسميّة تفيد الاستمرار، فلا يصحّ القول بأنّ الخلافة منحصرة بآدم عليه السلام لا غير.

ثمّ قال العلّامة قدس سره: وثانياً: إنّه سبحانه لم ينفِ عن خليفة الأرض الفساد وسفك الدماء، ولا كذّب الملائكة في دعواهم التسبيح والتقديس، وقرّرهم على ما ادّعوا، بل إنّما أبدى شيئاً آخر وهو أنّ هناك أمراً لا يقدر الملائكة على حمله ولا تحمّله، ويتحمّله هذا الخليفة الأرضي، فإنّه يحكي عن الله سبحانه أمراً، ويتحمّل منه سرّاً ليس في وسع الملائكة، ولا محالة يتدارك بذلك أمر الفساد وسفك

(١) الأعراف: ٦٩.

(٢) يونس: ١٤.

(٣) النمل: ٦٢.

الدماء، وقد بدّل سبحانه قوله ﴿ قال إنّي أعلم ما لا تعلمون ﴾ ثانياً بقوله: ﴿ ألم أقل لكم إنّي أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ والمراد بهذا الغيب هؤلاء الأسماء لا علم آدم بها، فإنّها الملائكة ما كانت تعلم أنّ هناك أسماء لا يعلمونها، لا أنّهم كانوا يعلمون وجود الأسماء كذلك ويجهلون من آدم أنّه يعلمها، وإلّا لما كان لسؤاله تعالى إيّاهم عن الأسماء وجه وهو ظاهر، بل كان حقّ المقام أن يقتصر بقوله: ﴿ قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ﴾ حتّى يبتيّن لهم أنّ آدم يعلمها لا أن يسأل الملائكة عن ذلك، فإنّ هذا السياق يعطي أنّهم ادّعوا الخلافة وأذعنوا بانتفائها عن آدم، وكان اللازم أن يعلم الخليفة بالأسماء، فسألهم عن الأسماء فجهلوها وعلمها آدم، فثبت بذلك لياقته لها وانتفائها عنهم، وقد ذيّل سبحانه السؤال بقوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ وهو مشعر بأنّه كانوا ادّعوا شيئاً كان لازمه العلم بالأسماء.

أقول: ولا يخفى كما جاء في روايات آل محمّد في عرش الله ـ كما مرّ ـ أنّ الأسماء التي كانت في الغيب ليست مجرّد حروف وألفاظ بل المراد المسمّيات، وأنّها موجودات أحياء عقلاء هم أشرف خلق الله، وإنّهم نور واحد، صدر من الواحد، وهو الصادر الأوّل، فالعلم به وبولايته العظمى لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل كآدم عليه السلام أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، فتلك الأسماء هي أسماء آل محمّد عليهم السلام وما صدر عنهم في العوالم الغيبيّة والشهوديّة بأمر الله وخلقه سبحانه وتعالى.

قال العلّامة قدس سره: وقوله تعالى ﴿ وعلّم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضهم ﴾ مشعر بأنّ هذه الأسماء أو مسمّياتها كانوا أحياء عقلاء محجوبين تحت حجاب الغيب، وأنّ العلم بأسمائهم كان غير نحو العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلّا كانت الملائكة بإنباء آدم إيّاهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام

لآدم ولا كرامة حيث علّمه الله سبحانه أسماء ولم يعلّمهم، ولو علّمهم إيّاها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجّتهم، وأيّ حجّة تتمّ في أن يعلم الله تعالى رجلاً علم اللغة ثمّ يباهي به ويتمّ الحجّة على ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون بأنّ هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم ؟ ويقول تعالى أنبئوني باللغات التي سوف يضعها الآدميون بينهم للإفهام والتفهيم إن كنتم صادقين في دعواكم أو مسألتكم خلافتي، على أنّ كمال اللغة هو المعرفة بمقاصد القلوب والملائكة لا تحتاج فيها إلى التكلّم، وإنّما تتلقّى المقاصد من غير واسطة، فلهم كمال فوق كمال التكلّم.

وبالجملة فما حصل للملائكة من العلم بواسطة إنباء آدم لهم بالأسماء هو غير ما حصل لآدم من حقيقة العلم بالأسماء بتعليم الله تعالى فأحد الأمرين كان ممكناً في حقّ الملائكة وفي مقدرتهم دون الآخر، وآدم إنّما استحقّ الخلافة الإلهيّة بالعلم بالأسماء دون إنبائها، إذ الملائكة إنّما قالوا في مقام الجواب ﴿ سبحانك لا علم لنا إلّا ما علّمتنا ﴾ فنفوا العلم.

فقد ظهر ممّا مرّ أنّ العلم بأسماء هؤلاء المسمّيات يجب أن يكون بحيث يكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، دون مجرّد ما يتكفّله الوضع اللغوي من إعطاء المفهوم فهؤلاء المسمّيات المعلومة حقائق خارجيّة، ووجودات عينيّة وهي مع ذلك مستورة تحت ستر الغيب، غيب السماوات والأرض، والعلم بها على ما هي عليها كان أوّلاً ميسوراً ممكناً لموجود أرضي لا ملك سماوي، وثانياً : دخيلاً في الخلافة الإلهيّة.

ثمّ يقول : وإذا تأمّلت هذه الجهات أعني عموم الأسماء وكون مسمّياتها أُولي حياة وعلم وكونها غيب السماوات والأرض قضيت بانطباقها بالضرورة على

ما أُشير إليه في قوله تعالى ﴿ وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدرٍ معلوم ﴾[1] حيث أخبر سبحانه بأنّه كلّ ما يقع عليه اسم شيء فله عنده تعالى خزائن مخزونة باقية عنده غير نافذة، ولا مقدّرة بقدر، ولا محدودة بحدّ، وإنّ القدر والحدّ في مرتبة الإنزال والخلق، وإنّ الكثرة التي هي في هذه الخزائن ليست من جنس الكثرة العدديّة الملازمة للتقدير والتحديد بل تعدّد المراتب والدرجات.

فتحصّل أنّ هؤلاء الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كلّ اسم في العالم بخيرها وبركتها، واشتقّ كلّ ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها، وأنّهم على كثرتهم وتعدّدهم لا يتعدّدون تعدّد الأفراد ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، وإنّما يدور الأمر هناك مدار المراتب والدرجات ونزول الاسم من عند هؤلاء إنّما هو بهذا القسم من النزول.

وقوله تعالى ﴿ وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ وكأنّ هذان القسمان من الغيب النسبي الذي هو بعض السماوات والأرض، ولذلك قوبل به قوله : ﴿ أعلم غيب السماوات والأرض ﴾ ليشمل قسمي الغيب أعني الخارج عن العالم الأرضي والسماوي وغير الخارج عنه ـ وللبحث صلة فراجع، انتهى كلامه رفع الله مقامه ـ.

جاء في زيارة الجامعة الكبرى وفي كثير من الروايات الصحيحة أنّ خزائن علم الله هم محمّد وآل محمّد، وإذا كانت الأسماء كلّها ترجع إلى أسماء الله الحسنى ومن اسمه المهيمن، فهو المهيمن على كلّ شيء، وأسمائه الحسنى المهيمنة على كلّ الأسماء، وورد في الصحيح عن الأئمة عليهم السلام : (نحن أسماء الله الحسنى التي يدعى بها) فهم

---

(١) الحجر : ٢١.

مسمّيات تلك الأسماء في تبلورها الجوهري والعرضي التجرّدي والحسّي، فهم مظاهر أسماء الله وهياكل وأركان التوحيد، وكان محمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً وآدم بين الماء والتراب، وخلقه الله قبل أن يخلق الخلق فهو الصادر الأوّل، وقد رأى آدم نور أصحاب الكساء على عرش الله سبحانه ـ كما مرّ تفصيل ذلك ـ وقد أمر الله الملائكة بالسجود والتعظيم لآدم لما حمل العلم، والعلم هم آل محمّد عليهم السلام فهم العالون ﴿ استكبرت أم كنت من العالين ﴾ وهذا من السرّ المكنون، ومن الغيب المصون، يرجع علمه إلى أهله.

ثمّ القرآن الكريم نزل لتربية الخليفة لله في الأرض، وآدم إنّما هو خليفة الله في شخصيّته لا في شخصه وحسب، ويدلّ على ذلك قوله تعالى ﴿ إنّي جاعل في الأرض خليفة ﴾ بصيغة الجملة الاسمية المفيدة للعموم والاستمرار، وأفضل الأنبياء أُولي العزم وأفضلهم خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ الأئمّة الأطهار نفس النبيّ لا فرق بينهم وبينه إلّا النبوّة، فهم خلائف الله ورسوله في الأرض، والله سبحانه يربّي بلطفه دائماً خليفة في الأرض وهو الحجّة إمّا ظاهراً أو مستوراً، لولاه لساخت الأرض بأهلها، ثمّ الخلافة الإلهيّة تكون للأمثل فالأمثل ممّن يحذو حذو الأنبياء ويرثهم في علومهم وسلوكهم من العلماء الصالحين، والخلق كلّهم جند الله، والمؤمن يحاول أن يكون من جنده المخلصين، تجري على يديه أفعال الله، فيحمل بين جوانحه همم عالية، فلا يكون عيال على غير الله، بل يمدّ مائدته ومؤدبيه باسم الله، فإنّه استخلف ربّه في أسمائه وصفاته لينتفع الناس منه، فالله سبحانه دائم الفيض على البريّة، وخليفته يعلّم الناس الكتاب والحكمة ويزكّيهم ويقيم القسط بينهم، ويرى كلّ هذا من فضل ربّه، فلا وجود له في نفسه، فهو شاهد لله وشهيد.

ثمّ النبيّ بأمر من الله نصّ على خلفائه من بعده فقال صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الأمر

لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة[١].

وقال صلى الله عليه وآله: ما يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً كلّهم من قريش.

وقال: إنّ عدّة الخلفاء بعدي عدّة نقباء موسى.

وقال صلى الله عليه وآله: لا يزال هذا الدين قائماً حتّى يكون عليكم اثنا عشر خليفة.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة، راجع صحيح مسلم كتاب الإمارة، وكنز العمّال ١٢: ٣٣٠٣٢، وغيرهما من كتب العامّة وكذلك الخاصّة.

عن عبد العظيم الحسني قال: دخلت على سيّدي عليّ بن محمّد عليهما السلام فلمّا بصر بي قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليّنا حقّاً. فقلت له: يا بن رسول الله إنّي أُريد أن أعرض عليك ديني، إنّي أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد وإنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين فلا نبيّ بعده إلى يوم القيامة. وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ الحسن ثمّ الحسين ثمّ عليّ ابن الحسين ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ جعفر بن محمّد ثمّ موسى بن جعفر ثمّ عليّ بن موسى ثمّ محمّد بن عليّ ثمّ أنت يا مولاي. فقال الإمام عليه السلام: ومن بعد الحسن ابني فكيف للناس بالخلف من بعده! قال: فقلت: وكيف يا مولاي؟ قال: لأنّه لا يرى شخصه ولا يحلّ ذكره باسمه حتّى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً. فقال: يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبّتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[٢].

---

(١) صحيح مسلم: ١٨٢.

(٢) البحار ٦٩: ٢٠١.

هذا ولا بأس من أن نذكر بعض الروايات التي وردت في الخلافة الخاصّة وذلك من خلال المعجم المفهرس لألفاظ أحاديث بحار الأنوار ٩ : ٦٣٢٦ ـ ٦٣٩٦.

١ ـ اعلم أنّ رسولك وخلفاءك أحياء عندك	١٠٠	٣٧١	١٣
٢ ـ يا رسول الله من خلفاؤك	٢	٢٥	٦
٣ ـ أتقياءك وشهداؤك وخلفاؤك	٩٥	٣٥٨	٢١
٤ ـ شهداؤهم خلفاؤك في أرضك	١٠٢	٢٠٣	٩
٥ ـ خلفاؤك في عبادك وأعلامك في بلادك	١٠٠	١٨٧	٢٣
٦ ـ إنّ أولياءه خلفاؤك وأوصياؤه أوصياؤك	٨٠	٣١٦	١٧
٧ ـ أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلق بعدك	٥٢	٣١٢	١٣
٨ ـ إنّي زرت ـ خليفتك وابن خلفائك	١٠٢	١٦٩	١٥
٩ ـ الأئمة الهادين ـ خلفاؤك في أرضك	٥٢	٢١	١٥
١٠ ـ خلفاؤك في أرضك الذين اخترتهم لنفسك	٩٠	٣٦٩	١٧
١١ ـ خالفوا الله وخالفوا رسوله وخلفاءه	٦٧	١٠٤	١٠
١٢ ـ أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنّة	٤٤	١٣٢	١٠
١٣ ـ خلفاؤك من بعده هم النجوم الزاهرة	١٧	٣٤١	٦
١٤ ـ خلفاؤه في أرضه بعد انقضاء وحيه	٤٣	٢	١٩
١٥ ـ إنّ هؤلاء عترة نبيّكم وخلفاؤه	٢٦	٢٥٨	١٤
١٦ ـ فنحن ـ خلفاؤه	٤٦	٣٠٦	١٠
١٧ ـ عليّ عليه السلام ـ خليفته حقّاً وخلفاؤه خلفاء الله	٢٤	٣٥٨	١٠
١٨ ـ خلفاؤه خلفاء الله	٧٠	٢١١	٧
١٩ ـ الأنبياء ـ خلفاؤه على عباده	٦	٣٥٣	١٥

٢٠ ـ أنتم والله ـ الأئمة الأطهار ـ خلفاؤه ـ النبيّ المختار ـ في التوراة	١٠	١٦٢	٨
٢١ ـ نحن حجج الله في أرضه وخلفاؤه في عباده	٢٣	٣٥	٤
٢٢ ـ الأئمة ـ خلفاؤه ـ النبي ـ من بعده بلا فاصلة	٥٢	١٦٤	٨
٢٣ ـ حجج الله وخلفاؤه وأُمناؤه وأئمته	٢٦	٦	١١
٢٤ ـ الكفر بولاية عليّ عليه السلام وخلفائه	٨	٣٠١	١
٢٥ ـ المشتمل على إمامة عليّ ـ وخلفائه	٩	٣٢٠	١١
٢٦ ـ يدعوهم إلى ولاية محمّد وعليّ وخلفائه	٢٦	٢٩٠	١٤
٢٧ ـ عرف الله ـ فضل ـ شيعة علي وخلفائه	١١	١٣٨	٥
٢٨ ـ السلام على أنصار الله وخلفائه	١٠٠	٢٢٣	٣
٢٩ ـ بإذن الله وإذن رسوله وإذن خلفائه	١٠٢	٨٤	٥
٣٠ ـ وارث أنبياء الله وخلفائه	١٠٢	٩٣	٨
٣١ ـ أبان ـ خلافة علي ـ وأمر خلفائه بعده	٢٨	٦٦	٥
٣٢ ـ عليّ وخلفائه ـ جنب ـ ربّهم	٢١	٢٢٨	١٥
٣٣ ـ في علي ـ وسائر خلفائه وأوليائه	٨	٣٠٠	١٢
٣٤ ـ دانت به خلفاؤهم وأتباعهم من المؤمنين	١٠	٤٤٠	٧
٣٥ ـ على المسلمين طاعة خلفائهم	٤٩	١٤٩	١٥
٣٦ ـ وفى بالعهد ـ لمحمّد وعليّ وخلفائهما	٧٠	٣٩٢	٢
٣٧ ـ رحم الله خلفائي	٢	٢٥	٥
٣٨ ـ علي وعترته من بعده فإنّهم خلفائي	٢٧	١٦٢	٧
٣٩ ـ اجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي	٦٣	٨٣	٥

٤٠ ـ تسعة من ولد الحسين ـ خلفائي عليكم	٣٦	٢٤٤	٩
٤١ ـ هؤلاء أوصيائي وخلفائي وأئمّة المسلمين	٣٦	٢٥٤	٣
٤٢ ـ اللهمّ والِ من والى خلفائي وأئمة أُمّتي	٣٦	٢٤٦	١٧
٤٣ ـ هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي	٣٦	٢٥٢	١٥
٤٤ ـ إنّ خلفائي وأوصيائي اثنا عشر	٥١	٧١	١٨
٤٥ ـ أُولي الأمر ـ هم خلفائي يا جابر	٣٦	٢٥٠	٤
٤٦ ـ نعم الخليفة ـ عليّ عليه السلام ـ خلفت	٥	٢٩٤	١٢
٤٧ ـ فقلت علياً فقال نعم الخليفة خلفت	٢٧	١٢١	٩
٤٨ ـ قد خلّفت فيكم عترتي أهل بيتي	٢٢	٤٨٦	٩
٤٩ ـ ليأتمّ بالأئمة فإنّهم خلفائي وأوصيائي	٣٨	٩٢	٧
٥٠ ـ الأئمة من خلفائي وأوصيائي وأوليائي	٣٦	٣٣٣	١٧
٥١ ـ خلّفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي	٢٣	١٥١	١٤
	٨	١٥	٨
	٢٣	١٠٩	١٨

١٢ ـ متابعة الإمام وإتيانه

كان النبيّ طبيباً دوّراً، وقد أمره الله سبحانه أن يقوم بإنذار الناس:

﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾[1].

فكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي الناس بنفسه ليهديهم ويدعوهم إلى الإسلام، وإلى توحيد الله، ففي علّة حدوث الإسلام أمر الله نبيّه أن يأتي الأُمّة، ولكن في العلّة المبقية للإسلام، فعلى الأُمّة أن تأتي إمامها وخليفة رسولها، فإنّه كما ورد في الروايات: إنّ الإمام كالكعبة يُؤتى ولا يأتي، ويُزار ولا يزور، فالناس من وظيفتهم الدينيّة والشرعيّة بعد أن آمنوا بدين الله ورسوله، أن يأتوا أئمتهم الأطهار خلفاء الرسول المختار عليهم السلام ويطلبوا منهم الهداية والمعرفة ونجاة الدارين وسعادتها، ويدلّ على ذلك أيضاً حديث السفينة، فإنّها لا تأتي للإنسان لتخلّصه من الغرق والموت، بل على الإنسان والغريق أن يأتيها، لينجو بها ويسعد بركوبها.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نهجه البليغ: انظروا أهل بيت نبيّكم فالزموا سمتهم، واتّبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدىً، ولن يعيدوكم في ردىً، فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا[2].

وقال عليه السلام فيمن تركوا أهل البيت عليهم السلام: آثروا عاجلاً وأخّروا آجلاً، وتركوا صافياً وشربوا آجناً، كأنّي أنظر إلى فاسقهم وقد صحب المنكر فألفه.

---

(١) المدثّر: ٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧: ٧٦.

وقال عليه السلام في ذكر حال الأئمة وصفاتهم: جعلهم الله حياة للأنام ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام ودعائم للإسلام... فإنّهم عيش العلم وموت الجهل، هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم وصمتهم عن منطقهم، وظاهرهم عن باطنهم لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه، فهو بينهم شاهد صادق وصامت ناطق. وإنّهم الأئمة قوّام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنّة إلّا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه.

(نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً).

(نحن النمرقة الوسطى التي يلحق بها التالي وإليها يرجع الغالي).

(نحن شجرة النبوّة ومحطّ الرسالة ومختلف الملائكة ومعادن العلم وينابيع الحكم).

قال الإمام الصادق عليه السلام: معنا راية الحقّ من تبعها لحق ومن تأخّر عنها غرق، ألا وبنا يدرك ترة كلّ مؤمن وبنا تخلع ربقة الذلّ عن أعناقكم وبنا فتح الله لا بكم وبنا يختم لا بكم)[1].

قال الإمام الباقر عليه السلام: أما إنّه ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب إلّا شيء أخذوه منّا أهل البيت ولا أحد من الناس يقضي بحقّ ولا عدل إلّا ومفتاح ذلك القضاء وبابه وأوّله وسننه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام[2].

وعنه عليه السلام: فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر ببالي أنّ العرب تزعج هذا

(١) البحار ٢٣: ١٠٥.

(٢) أمالي المفيد: ٩٦.

الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنّهم منحوه عنّي من بعده... حتّى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام يدعون إلى محقّ دين محمّد صلى الله عليه وآله فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به عليّ أعظم.

فهذا في بداية الأمر وبعد رحلة الرسول الأعظم مباشرة كان يخاف على ارتداد الناس فسكت الأمير عليه السلام عن حقّه، وإلّا اليوم على كلّ مسلم أن يعرف الحقّ ويعرف أهله، فيلزمهم في كلّ شيء، حتّى يكون معهم، فكونوا مع الصادقين والحقّ يا أُمّة الإسلام.

١٣ ـ الفرقة الناجية

حديث السفينة يفسّر ويبيّن حديث الافتراق، فإنّه ورد عن النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله ـ كما عند الفريقين ـ أنّه قال:

«ستفترق أُمّتي ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية، والباقي من الهالكين».

ومن لطف النبيّ أن يبيّن الفرقة الناجية، ولا يترك أُمّته سدى من دون دليل وبرهان، فهذا يتنافى مع روح النبوّة التي هي عبارة عن الهداية والسعادة واللطف الإلهي.

وقد أوضح المصطفى صلى الله عليه وآله ذلك في مواضع كثيرة، وبأساليب مختلفة، وعبائر وكلمات متفاوتة تعدّ بالألوف، ومنها حديث السفينة، على أنّ الفرقة الناجية تلك التي تركب سفينة النجاة وهي: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تركها غرق وهوى».

وهذه الفرقة الناجية دائماً تكون في الأقلّية، تعاديها الأكثريّة التي هي من الهالكين في الدنيا والآخرة، فيموتوا كفّاراً بما كذّبوا، وكانوا من الظالمين.

فاثنتا وسبعون فرقة كلّها من الهالكين يوم القيامة، وإن كان يحكم عليهم في دار الدنيا بأحكام الإسلام من الطهارة والوراثة وحلّية النكاح وما شابه ذلك، إلّا أنّه يوم تبلى السرائر، ويؤخذ بالنواصي، ويكون بصرك اليوم حديد ونافذ، وتظهر حقائق الأشياء وواقع الأُمور، في ذلك اليوم العصيب الذي تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، ويشيب فيه الطفل الرضيع من هول المطّلع، في ذلك اليوم تهلك الفرق الباطلة، وتنجو الفرقة الناجية المحقّة، وقليل من عبادي الشكور، وأكثرهم

لا يعلمون ولا يعلّمون، وللحقّ كارهون.

أمالي الشيخ المفيد بسنده عن أبي عقيل قال:

كنّا عند أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: لتفرقنّ هذه الأُمّة على ثلاث وسبعين فرقة، والذي نفسي بيده إنّ الفرق كلّها ضالّة إلّا من اتّبعني وكان من شيعتي[1].

(١) أمالي المفيد: ٢٣٥، المجلس ٢٤.

١٤ ـ الصحابة
من لم يركب السفينة فليس من الصحابة

قال الله تعالى :

﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[١].

إذا كان الولد الذي هو فلذّة من الكبد لا يعدّ من الأهل، عند المخالفة والعصيان، فبطريق أولى لا يكون من أصحابه، حتّى ولو صاحبه وعاشره ليل ونهار، ومجرّد المصاحبة ولو لدقائق أو ساعات لا يدلّ على الفضل والطهارة وصحّة العمل والعدالة، فهذا ابن نوح خير شاهد ودليل، إنّه لم يركب سفينة والده، سفينة النبوّة والنجاة، فإنّه يهلك لا محالة، كما إنّه ليس من أهل نوح عليه السلام حتّى ولو كان في بيته وصاحبه في ليله ونهاره، فلا تنفعه المصاحبة، بل ولا النسب ولا السبب، وكذا الكلام في زوجة لوط، فإنّها من الهالكات ولم تنفعها صحبة النبيّ ومعاشرته، بل والعلقة الزوجيّة والحياة المشتركة، فالملاك هو الحقّ ومتابعته، واعرف الحقّ تعرف أهله، والحقّ مع عليّ عليه السلام وعليّ مع الحقّ، أينما دار عليّ يدور الحقّ معه :

﴿ وَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾[٢].

فالملاك معرفة الحقّ ومتابعته، لا مجرّد النسب أو السبب من الزوجيّة أو الصحبة أو ما شابه ذلك، وهذا ما يقرّبه الوجدان ويدلّ عليه البرهان من الأدلّة

(١) هود : ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) إبراهيم : ٣٦.

العقليّة والنقليّة، ومن هذا المنطلق نقول : ليس كلّ من صاحب الرسول فهو عادل لا يقدح فيه ويؤخذ منه الدين ويهتدى به، فهذا غير معقول، بل من أطاع النبيّ في حياته وبعد رحلته في وصيّه وخليفته بالحقّ، ولم يرتدّ عمّا أمر به النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه من الصحابة العدول الذين يُترضّى عليهم ويترحّم، وإلّا فلعنة الله على القوم الظالمين حتّى ولو كان ابن نوح، فإنّه ليس من أهله ولا أصحابه.

والإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام بتضحياته المقدّسة ودفاعه عن الإسلام وبدمه الطاهر، وإنّه من بيت الوحي والنبوّة، حامل الرسالة السماويّة السمحاء، وعبء الإمامة العظمى، والعصمة الكبرى، جسّد لنا الحقّ، وتجلّى الربّ بأسمائه وصفاته فيه، فكتب على عرشه المقدّس : «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، فمن دخل هذه السفينة الحسينيّة فإنّه من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله، فإنّه قال : «حسين منّي وأنا من حسين»، فسفينة الحسين سفينة الرسول، فمن لم يركبها وترك ولايتها، واختار وليجة دونها، وتبع ولاية فلان وفلان، فإنّه ليس من أهل النبيّ ولا من أصحابه الكرام، بل هو من الهالكين في الدرك الأسفل من الجحيم، كما هلك ابن نوح. ولا عداء شخصيّ لنا مع أحد، إنّما الملاك هو الحقّ، فقل الحقّ ولو على نفسك، أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ أن يتّبع أمّن لا يهدي إلّا أن يهدى ؟! ما لكم كيف تحكمون ؟!

١٥ ـ الكافرون
المتخلّف من ركوب السفينة كافر

التخلّف من ركوب سفينة نوح كفر، حتّى لأقرب الناس من نوح وهو ولده وفلذّة كبده، فإنّه إذا لم يركب السفينة يكون من الكافرين، لقوله تعالى:

﴿ يا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنا وَلا تَكُنْ مِنَ الكافِرينَ ﴾.

فمن لم يركب السفينة كان كافراً، وكانت عاقبته الغرق والهلاك والخسران في الدنيا والآخرة.

كذلك من لم يكن مع أهل البيت عليهم السلام ولم يركب سفينتهم من لم يركب سفينة الإمام الحسين عليه السلام، فأُولئك من الكافرين، فإنّ حبّهم إيمان وبغضهم كفر، وما أكثر الروايات الدالّة على ذلك[1].

﴿ وَاللهُ لا يَهْدي القَوْمَ الكافِرينَ ﴾[2].

الكليني بسنده عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتوالونكم ويتوالون فلاناً وفلاناً، ولهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتوالونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق! قال: فاستوى أبو عبد الله عليه السلام جالساً، وأقبل عليّ كالمغضب ثمّ قال: لا دين لمن

(١) راجع ما كتبناه حول هذا الموضوع في (هذه هي الولاية)، وكتاب (الأصل حبّنا أهل البيت).

(٢) البقرة: ٢٦٤.

دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله، قلت: لا دين لأُولئك ولا عتب على هؤلاء، ثمّ قال: ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿ الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة أو المغفرة، لولايتهم كلّ إمام عادل من الله، قال: ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ فأيّ نور يكون للكافر فيخرج منه؟ إنّما عنى بهذا أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا توالوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم إيّاهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر، فأوجب الله لهم النار مع الكفّار فقال: ﴿ أُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1].

(١) البحار ٢٣: ٣٢٣، عن غيبة النعماني: ٦٥.

١٦ ـ الظالمون
من لم يركب السفينة إنّه من الظالمين

لمّا كان الأكثر من الغارقين الهالكين، فهذا يعني أنّهم من الظالمين، فإنّهم ظلموا أنفسهم أوّلاً، كما ظلموا أهل الحقّ بمعاداتهم وبغضهم وعدم اتّباعهم وطاعتهم وترك ولايتهم، كأصحاب نوح، كما أخبرنا بذلك ربّ العزّة والجلال في قوله تعالى:

﴿ وَقيلَ يا أَرْضُ ٱبْلَعي ماءَكِ وَيا سَماءُ ٱقْلعي وَغيضَ الماءُ وَقُضيَ الأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلى الجوديِّ وَقيلَ بُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ ﴾[1].

﴿ وَقَوْمَ نوحٍ لَمّا كَذَّبوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ وَجَعَلْناهُمْ لِلنّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنا لِلظّالِمينَ عَذاباً أَليماً ﴾[2].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلّا خَمْسينَ عاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفانُ وَهُمْ ظالِمونَ * فَأَنْجَيْناهُ وَأَصْحابَ السَّفينَةِ وَجَعَلْناها آيَةً لِلْعالَمينَ ﴾[3].

﴿ فَأَوْحَيْنا إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا فَإِذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلا تُخاطِبْني

(١) هود: ٤٤.

(٢) الفرقان: ٣٧.

(٣) العنكبوت: ١٤ ـ ١٥.

فِي الَّذينَ ظَلَموا إِنَّهُمْ مُغْرَقونَ ﴾[1].

﴿ وَٱصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا وَلا تُخاطِبْني فِي الَّذينَ ظَلَموا إِنَّهُمْ مُغْرَقونَ ﴾[2].

فكلّ من لم يركب سفينة نوح في زمنه، فإنّه من الغارقين والهالكين، وما أكثر أُولئك الذين غرقوا، فإنّ أصحابه عليه السلام كانوا جماعة قليلة ربما عشر المعشار، نجوا بركوبهم السفينة، وكذلك في زمن خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله إلى قيام يوم الدين، فإنّه من ركب سفينته التي أخبر عنها بقوله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى» و «إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة»، وسفينة الحسين وسفينة أهل البيت عليهم السلام هي سفينة النبيّ صلى الله عليه وآله بلا شكّ ولا ريب، فمن ركب هذه السفينة فإنّه ينجو من الشقاء والتعاسة والعذاب والغرق، ومن تخلّف عنها وتركها فإنّه من الهالكين المغرقين المعذّبين التعساء الأشقياء، خسر الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

(١) المؤمنون: ٢٧.

(٢) هود: ٣٧.

١٧ ـ الجاهلون
من لم يركب السفينة فهو من الجاهلين

قال الله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذيرٌ مُبينٌ * أَلّا تَعْبُدوا إِلّا اللهَ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ أَليمٍ * فَقالَ المَلَأُ الَّذينَ كَفَروا مِنْ قَوْمِهِ ما نَراكَ إِلّا بَشَراً مِثْلَنا وَما نَراكَ اتَّبَعَكَ إِلّا الَّذينَ هُمْ أَراذِلُنا بادِيَ الرَّأيِ وَما نَرىٰ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كاذِبينَ * قالَ يا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتاني رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُموها وَأَنْتُمْ لَها كارِهونَ * وَيا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلّا عَلَى اللهِ وَما أَنا بِطارِدِ الَّذينَ آمَنوا إِنَّهُمْ مُلاقو رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّي أَراكُمْ قَوْماً تَجْهَلونَ ﴾[1].

خلق الله الجهل من الظلمة، كما خلق العقل والعلم من نوره، فالعاقل العالم من يتّبع الحقّ ويكون معه في كلّ شيء، لا يحيف عنه ولا ينحرف منه، بل يركب سفينته، ويطيع ربّان السفينة، فإنّه يدعوه إلى الحقّ، إلى عبادة الله سبحانه، وإنّه يخاف عليه من عذاب يوم أليم، فإنّه على بيّنة من ربّه، وآتاه الله رحمته من عنده، ولكن أكثر الناس للحقّ كارهون، يفترون على نبيّهم، وكفروا بربّهم، فكانوا من الهالكين.

وكذلك من لم يطع النبيّ في أهل بيته عليهم السلام، ولم يركب سفينة النجاة، فإنّه

(١) هود: ٢٥ ـ ٢٩.

بلا شكّ يغرق ويهلك، وإن كان يحسب في دنياه أنّه على الحقّ، وأنّه يحسن صُنعاً، ولكنّ الملاك هو متابعة الحقّ وركوب السفينة، وإلّا فكلّ حزب بما لديهم فرحون، فمن كان إلهيّاً نبويّاً علويّاً حسينيّاً إماميّاً، يعني اهتدى بمصباح الهداية وركب سفينة النجاة، فإنّه بلا ريب ينجو في المعاد، ويسعد بدخوله الجنّات، لمثل هذا فليعمل العاملون.

١٨ ـ الغاوون
من لم يركب السفينة فهو من الغاوين

قال الله تعالى:

﴿ وَلا أقولُ لَكُمْ عِنْدي خَزائِنُ اللهِ وَلا أعْلَمُ الغَيْبَ وَلا أقولُ إنِّي مَلَكٌ وَلا أقولُ لِلَّذينَ تَزْدَري أعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أعْلَمُ بِما في أنْفُسِهِمْ إنِّي إذاً لَمِنَ الظَّالِمينَ * قالوا يا نوحُ قَدْ جادَلْتَنا فَأكْثَرْتَ جِدالَنا فَأتِنا بِما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقينَ * قالَ إنَّما يَأتيكُمْ بِهِ اللهُ إنْ شاءَ وَما أنْتُمْ بِمُعْجِزينَ * وَلا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إنْ أرَدْتُ أنْ أنْصَحَ لَكُمْ إنْ كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يغْويكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإلَيْهِ تُرْجَعونَ ﴾[1].

الإغواء بمعنى الضلال والانحراف، فمن غرّته الدنيا ومظاهرها الخلّابة من الأموال والجاه والمقام والنساء والملاذّ، فإنّه يحتقر الضعفاء من المؤمنين فيزدريهم في نظراته، ويجادل بالباطل، ويأمن مكر الله، ولا ينفعه نصح الناصحين، فيرتكب الذنوب والمعاصي حتّى يسودّ قلبه ويستولي عليه ظلمة الجهل، فيضلّه الله عن علم ويغويه عن الصراط المستقيم، فإنّه هداه النجدين، طريق الخير والجنّة، وطريق الشرّ والنار، إلّا أنّه اختار نجد النار وطريق الشرّ بارتكاب الآثام والفواحش، فأضلّه الله وأغواه، فإنّه بنفسه اتّبع خطوات الشيطان وغوايته:

﴿ قالَ بِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ إلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصينَ ﴾[2].

(١) هود: ٣١ ـ ٣٤.

(٢) ص: ٨٢.

وقليل أُولئك المخلصون الشاكرون، وأكثرهم من الغاوين، فتركوا سفينة نوح، كما تركوا سفينة محمّد صلى الله عليه وآله، وانقلبوا على أعقابهم وارتدوّا عن الولاية والخلافة الحقّة، وهذا الأمر سارٍ إلى اليوم الموعود، الذي وعد الله الشيطان بإمهاله إلى ذلك اليوم.

ففي كلّ زمان يكون الصراع بين الحقّ والباطل، بين يزيد السفّاك شارب الخمور وبين سبط الرسول سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وفي كلّ زمان ومكان يكون الصراع بين المعسكر اليزيدي والمعسكر الحسيني، فكلّ يوم عاشوراء، وكلّ أرض كربلاء.

وإنّما ينجو في الحياة الدنيا والآخرة من ركب سفينة الحسين عليه السلام، فإنّه كتب على عرش الله: «الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة».

١٩ ـ المجرمون
من لم يركب السفينة فهو من المجرمين

قال الله تعالى:

﴿ أَمْ يَقولونَ ٱفْتَراهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرامي وَأَنا بَريءٌ مِمَّا تُجْرِمونَ ﴾[1].

من وحي قصّة نوح الكبرى، أنّ قومه كانوا يؤذونه في صنع سفينته، ويكذّبون عليه، ويرتكبون الجنايات والإجرام بحقّ نبيّهم، والنبيّ نوح عليه السلام تبرّأ منهم ومن إجرامهم، فإنّهم من القوم المجرمين.

وكذلك الأمر في خاتم النبيّين، فما أُوذي نبيّ بمثل ما أُوذي عليه الصلاة والسلام، كما أخبر بذلك، حتّى في آخر أنفاسه القدسيّة بين الموت والحياة افتروا عليه واتّهموه بالجنون كما فعل كفّار قريش من قبل، حتّى قالوا: «إنّ الرجل ليهجر»، والله سبحانه قد نزّهه بقوله تعالى:

﴿ وَما يَنْطِقُ عِنَ الهَوىٰ إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يوحىٰ ﴾[2].

فأكثر قوم نوح كذّبوه في سفينته ونبوّته ودعوته، وكذلك قوم محمّد صلى الله عليه وآله طابق النعل بالنعل، وكلّ ما كان في الأُمم السالفة تكون في هذه الأُمّة ـ كما ورد في أخبار الفريقين السنّة والشيعة ـ فأكثرهم كرهوا الحقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام وخالفوه

(١) هود: ٣٥.

(٢) النجم: ٣.

وحاربوه وغصبوا حقوقه وضربوا زوجه فاطمة الزهراء عليها السلام وقتلوا أولاده أسباط النبيّ صلى الله عليه وآله، فأكثرهم من القوم المجرمين، ولا ينجو إلّا من ركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، والتي تتلخّص بسفينة الحسين عليه السلام، فتتّسع وتكون أسرع في الوصول إلى الله سبحانه، فإنّها جمعت بين النبوّة والإمامة، فـ«حسين منّي وأنا من حسين»، و«الأئمة التسع من ولد الحسين»، فهو الجامع بين نور النبوّة ونور الإمامة، كأُمّه فاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام ـ فهي مجمع النورين بنت رسول الله وزوجة وليّ الله الأعظم عليهم السلام ـ، فسفينته أوسع وأسرع، ومصباحه أجلى وألمع.

٢٠ ـ العاصون
الأكثريّة في منطق القرآن من العُصاة الفاسقين

لو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا حقيقة ناصعة لا يمكن إنكارها، كما يدلّ عليها الشاهد العيان، وهي أنّ الناس بالنسبة إلى القضايا الدينيّة والمعتقدات السماويّة على صنفين: فمنهم من يؤمن ومنهم من ينكر ويكفر، ولا عجب أنّ أكثرهم من الصنف الثاني، كما في قوله تعالى:

﴿ إنَّ اللهَ لَذو فَضْلٍ على النَّاسِ وَلـٰكِنَّ النَّاسَ لا يَشْكُرونَ ﴾[١].

﴿ وَإنْ تُطِعْ أكْثَرَ مَنْ في الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ ﴾[٢].

﴿ قُلْ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ اللهِ وَلـٰكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمونَ ﴾[٣].

﴿ إنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلـٰكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنونَ ﴾[٤].

﴿ وَما أكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنينَ ﴾[٥].

﴿ فَأبىٰ أكْثَرُ النَّاسِ إلّا كُفوراً ﴾[٦].

---

(١) البقرة: ٢٤٣، يوسف: ٣٨، غافر: ٦١.

(٢) الأنعام: ١١٦.

(٣) الأعراف: ١٨٧، يوسف: ٢١ و ٤٠ و ٦٨، النحل: ٣٨، الروم: ٣٦، سبأ: ٢٨ و ٣٦، غافر: ٥٧.

(٤) هود: ١٧، الرعد: ١.

(٥) يوسف: ١٠٣.

(٦) الإسراء: ٨٩.

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أكْثَرُ الأوَّلينَ ﴾[١].

﴿ وَإنَّ أكْثَرَكُمْ فاسِقونَ ﴾[٢].

﴿ لَقَدْ جِئْناكُمْ بِالحَقِّ وَلـٰكِنَّ أكْثَرَكُمْ لِلحَقِّ كارِهونَ ﴾[٣].

﴿ مِنْهُمُ المُؤْمِنونَ وَأكْثَرَهُمُ الفاسِقونَ ﴾[٤].

﴿ يَفْتَرونَ عَلى اللهِ الكَذِبَ وَأكْثَرَهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[٥].

﴿ ما كانوا لِيُؤْمِنوا إلّا أنْ يَشاءَ اللهُ وَلـٰكِنَّ أكْثَرَهُمْ يَجْهَلونَ ﴾[٦].

﴿ وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرينَ ﴾[٧].

﴿ وَما وَجَدْنا لأكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ ﴾[٨].

﴿ وَما يَتَّبِعُ أكْثَرُهُمْ إلّا ظَنّاً ﴾[٩].

﴿ يَعْرِفونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرونَها وَأكْثَرُهُمُ الكافِرونَ ﴾[١٠].

﴿ بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضونَ ﴾[١١].

---

(١) الصافّات: ٧١.

(٢) المائدة: ٥٩، الأعراف: ١٠٢، التوبة: ٨.

(٣) الزخرف: ٧٨.

(٤) آل عمران: ١١٠.

(٥) المائدة: ١٠٢.

(٦) الأنعام: ١١١.

(٧) الأعراف: ١٧.

(٨) الأعراف: ١٠٢.

(٩) يونس: ٣٦.

(١٠) النحل: ٨٣.

(١١) الأنبياء: ٢٤.

﴿ أَمْ يَقولونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جاءَهُمْ بِالحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلحَقِّ كارِهونَ ﴾[١].

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعونَ أَوْ يَعْقِلونَ ﴾[٢].

﴿ إِنَّ فِي ذٰلِكَ آيَةً وَما كانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنينَ ﴾[٣].

﴿ يُلْقونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرَهُمْ كاذِبونَ ﴾[٤].

﴿ قُلِ الحَمْدُ للهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[٥].

﴿ إِنَّ الَّذينَ يُنادونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلونَ ﴾[٦].

لو رجعنا إلى الآيات الكريمة مرّة أُخرى لخلص لنا :

أوّلاً : أكثر الناس لا يشكرون، لا يعلمون، لا يؤمنون، لا يعقلون، أعرضوا عن الحقّ وهم له كارهون، ويجرمون، فهم من الكافرين الضالّين الفاسقين الكاذبين.

ثانياً : يتّصف هؤلاء الأكثريّة بمثل هذه الصفات : إنّهم لو أطعناهم لأضلّونا عن سبيل الله، لأنّهم يدعون إلى سبيلهم وأنفسهم، ويفترون على الله الكذب، ولا ذمّة لهم ولا يلتزمون بعهد وميثاق، ويتبعون الظنّ الذي لا يغني من الحقّ شيئاً، ويعرفون نعمة الله ثمّ ينكرونها، ويعترضون على رسول الله ـ كما قال الرجل : إنّ

(١) المؤمنون : ٧٠.

(٢) الفرقان : ٤٤.

(٣) الشعراء : ٨ و ٦٧ و ١٠٣ و ١٠٢ و ١٣٩ و ١٥٨.

(٤) الشعراء : ٢٢٣.

(٥) العنكبوت : ١٢، لقمان : ٢٥، الزمر : ٢٩، الدخان : ٣٩.

(٦) الحجرات : ٤٠.

الرجل ليهجر ـ فهم غير مؤدّبين في معاشرتهم مع النبيّ، وإذا حدّثهم بما هو الحقّ كرهوا ذلك.

ثالثاً : نتيجة حديثي الافتراق والسفينة ـ كما مرّ ـ أنّ الذين يكونون في خطّ النبيّ حقّاً وفي منهاجه ونهجه حقيقةً هم من المؤمنين القلّة، وأنّه بعد رسول الله ستنقلب الأُمّة وترتدّ عن الحقّ وتكره ذلك، وما أكثر الناس إلّا للحقّ كارهون فهم لا يعقلون بالعقل الذي عبد به الرحمن واكتسب به الجنان، فلا يسمعون وإن كان لهم السمع، فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، لأنّ الله منحهم ووهبهم العقل، فلم ينتفعوا به، ولم يستعملوه كما هو المطلوب، فانقلبوا على أعقابهم :

﴿ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلىٰ أَعْقابِكُمْ ﴾[١].

فالله سبحانه إنّما يجزي الشاكرين ـ بعد رحلة النبيّ ـ وهم قلّة من المؤمنين كما في قوله تعالى :

﴿ وَقَليلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكورُ ﴾[٢].

وإلّا فإنّ أكثر الناس لا يشكرون، فالأكثريّة لا يدلّ على الحقّانيّة، بل الفرقة الناجية إنّما هي فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة، وهذا هو الحقّ من ربّك، ولكنّ أكثر الناس لا يؤمنون، فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً، ولا تعجب فقد ضلّ من قبلهم في افتراق الأُمم كأُمّة موسى وعيسى عليهما السلام أكثر الأوّلين، فإنّ أكثرهم الفاسقون.

ولقد جئناهم بالحقّ وأقمنا البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة من الكتاب الكريم والسنّة الشريفة على حقّانيّة معتقدات الفرقة الناجية أتباع مذهب أهل بيت

(١) آل عمران : ١٤٤.

(٢) سبأ : ١٣.

رسول الله صلى الله عليه وآله ولكنّ أكثرهم للحقّ كارهون، يفترون على الله الكذب ويحرّفون الكلم عن مواضعها جهلاً وعناداً، فإنّهم لا يعقلون، وبسوء اختيارهم نكبوا عن الصراط المستقيم، والنهج القويم والنبأ العظيم، فإنّهم تقليداً لآبائهم واتّباعهم الظنّ ماكانوا ليؤمنوا إلّا أن يشاء الله ولكنّ أكثرهم يجهلون، وإن كانوا قد عرفوا نعمة الله من قبل في آية الإكمال وسبب نزولها:

﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ ديناً ﴾[1].

ولكن أنكروها وجحدوها واستقنتها قلوبهم، فما نجد أكثرهم إلّا كفوراً، فأعرضوا عن الحقّ وكفروا به وارتدّوا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولاية أهل البيت عليهم السلام وأحرقوا بيوتهم التي نزل فيها الكتاب، فشرّدوهم وقتلوهم وسبوا ذراري النبيّ المختار صلى الله عليه وآله، فكان أكثر الناس من العصاة الفاسقين الظالمين، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون والعاقبة للمتّقين، وما الله بغافلٍ عمّا يعملون، إنّما يهلهم رويداً إلى حين، ويمتّعهم قليلاً ويملي لهم ليزدادوا إثماً وعذاباً، وبئس المصير والقرار.

أجل إنّهم بدّلوا نعمة الله كفراً، وليست النعمة إلّا أمير المؤمنين علي عليه السلام، فيقول في قوله تعالى:

﴿ الَّذينَ بَدَّلوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دارَ البَوارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَبِئْسَ القَرار ﴾[2].

نحن والله نعمة الله التي أنعم الله بها على عباده، بنا فاز من فاز[3].

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) إبراهيم: ٢٩.

(٣) البحار ٥٥: ٢٢، عن تفسير القمّي: ٧٥.

وسفينة النعم بعد رسول الله إنّما هي سفن أهل بيته الأطهار عليهم السلام، إلّا أنّ سفينة الحسين عليه السلام تمتاز بخصلتين: (سعتها) فينجو كلّ من ركبها ولو أتى بذنوب الثقلين، فإنّه بركوبها المبارك يتوب إلى ربّه، ويكون كيوم ولدته أُمّه، و (سرعتها) فما أسرع الوصول بها إلى رضا الله سبحانه ونيل رحمته الواسعة ودرك فيوضاته القدسيّة والسعادة الأبديّة.

كما أنّ سفينة الحسين عليه السلام سفينة النبوّة (حسينٌ منّي وأنا من حسين)، وإنّها سفينة الإمامة (والأئمة التسع من ولد الحسين عليه السلام)، وإنّها سفينة الهداية (والإمام المهدي من ولد الحسين عليه السلام).

٢١ ـ المستكبرون
الأكثريّة من المستكبرين

قال الله تعالى:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائِي إِلّا فِراراً * وَإِنِّي كُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلوا أَصابِعَهُمْ في آذانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَروا اسْتِكْباراً ﴾[1].

الكبرياء رداء الله سبحانه فهو الكبير الأكبر المتكبّر، فمن نازع الله في ردائه أكبّه الله على منخريه في النار، فأراد الله لعباده التواضع والخشوع والخضوع والعبوديّة، فمن فعل ذلك أفاض الله عليه من سعة رحمته، حتّى يفعل ما يفعله، فإنّ العبوديّة جوهرة كنهها الربوبيّة، فلم يرضَ الله للعباد التكبّر وطلب التكبّر الذي يعني الاستكبار على الغير، فإنّه قد ذمّ ذلك وأوعد عليه النار، أمّا التواضع فإنّ الله يحبّ المتواضعين ويرفع في شأنهم ويعزّهم، فمن تواضع لله رفعه، ولا واضع لمن رفعه الله، كما لا رافع لمن وضعه، يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء، وإنّما شاء العزّة له ولرسوله وللمؤمنين الذين يستحقّون العزّة والكرامة والشرف.

فسبحانه قد ذمّ المستكبرين في كتابه الكريم، وأعدّ لهم نار جهنّم، أُولئك الذين يدعونهم الأنبياء للهداية والسعادة وغفران الله ورضوانه، إلّا أنّهم يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم، ويصرّون على مواقفهم الاستكباريّة، وهذا

(١) نوح: ٥ ـ ٧.

حال أكثر الناس، كما نشاهد اليوم أكثر الناس في العالم استكبروا عن عبادة الله، وغرّتهم الحياة المادّية، فتركوا الدين واتّبعوا الملاذّ والشهوات، فضلّوا وأضلّوا، وقليل من عباد الله الشكور الصبور، المطيع لله وللرسول ولأُولي الأمر، سفن النجاة ومصابيح الدجى وأعلام الورى وحجج الله وأركان الهدى وساسة العباد وأُمناء الوحي.

٢٢ ـ المذنبون
الأكثريّة أهل المعصية

قال الله تعالى :

﴿ قالَ نوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَاتَّبَعوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مالَهُ وَوَلَدَهُ إِلّا خساراً ﴾[1].

كثير من الناس من يفرح ويفتخر بكثرة ماله وأولاده ﴿ أَلهاكُمُ التكاثر ﴾، ولا يدري أنّه لولا أداء حقوقهما فإنّهما يكونان عليه وبالاً، ولم يزده إلّا خساراً، فإنّ حبّهما يخرج الإنسان من الدين، ومن طاعة ربّ العالمين، فيعصي الله ورسوله، ويتّبع المال والدنيا الدنيّة والطغاة الجبابرة، وأكثر الناس هكذا، كما يحدّثنا ربّ العباد في قصّة نوح عليه السلام عن لسانه المبارك، فإنّه خلال ألف سنة إلّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله ليسعدوا في الدارين، إلّا أنّهم يعصونه ويتّبعوا أصحاب الدنيا والثروة وكثرة الأولاد الذي لا يزيدهم إلّا خساراً.

وكذلك أُمّة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين وحبيب إله العالمين محمّد صلى الله عليه وآله، فقد عصوه في أهل بيته الأطهار عليهم السلام، فما منهم إلّا مقتول أو مسموم، عصوه في قصّة الغدير وواقعة الطفّ وكربلاء الحزينة، وأمثالها، إلّا قليل من الناس بذلوا النفس والنفيس في إحياء أمرهم، وتخليد ذكرهم، ونشر مذهبهم، وذكر فضائلهم ومناقبهم، ومثالب أعداءهم ومنكري حقوقهم، وهكذا شاء الله سبحانه ديموميّة

(١) نوح : ٢١.

الصراع بين الحقّ والباطل، ولا تستوحشوا في طريق الحقّ من قلّة أهله، فإنّ الشيطان منذ اليوم الأوّل أقسم بعزّة الله سبحانه ﴿ لاغوينّهم أجمعينَ إلّا عبادك منهم المخلصين ﴾، والتأريخ يحدّثنا بالصراع تارةً بين آدم والشيطان وأُخرى هابيل وقابيل، وبين إبراهيم ونمرود وموسى وفرعون وعيسى ويهوذا وخاتم الأنبياء محمّد وأبي جهل وكفّار قريش، وهكذا حتّى عصر الحسين ويزيد، ومن بعدهما كلّ واحد إمّا أن يكون في معسكر الحسين عليه السلام راكباً سفينته ويستضيء بمصباحه، وإمّا أن يكون في معسكر يزيد السفّاك، وقفوهم إنّهم مسؤولون، فيوم القيامة لا محالة تسأل : في أيّ المعسكرين أنت ؟

٢٣ ـ الضالّون
الأكثريّة أهل الضلال

قال الله تعالى:

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً ولا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاّ ضَلالاً ﴾[1].

على المؤمن الرسالي كما علّمنا أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهجه القيّم: «لا تستوحشوا في طريق الهدى من قلّة أهله»، أن لا يستوحش من قلّة عددهم، فإنّ الدين مجموعة قوانين إلهيّة تكليفيّة تقيّد الإنسان في ملاذّه وما تشتهيه نفسه الأمّارة بالسوء، وهذا ما يصعب على الإنسان فإنّه يريد أن يتحرّر من القيود، حتّى قيود الشرع المقدّس، وإن كانت هذه القيود في الحقيقة إنّما تحرّره من عبادة غير الله ليعبد الله وحده، وتجعله إنساناً متحرّراً بتمام معنى الحرّية الصادقة المطابقة لفطرته السليمة، ولكن مع هذا يفرّ من التكاليف والقيود ظنّاً منه بوهم شيطاني ووساوس شيطانيّة من الجنّ والإنس أنّه يصل إلى الحرّية، فيريد أن يتحرّر حتّى من الدين ويقول كفراً وظلماً «الدين أفيون الشعوب»، فأكثر الناس في ضلال عن الحقّ والحقيقة، فيتّبعون أهواءهم وأصحاب الدنيا، ليشبعوا غرائزهم الحيوانيّة، فهم كالأنعام بل أضلّ سبيلاً. فيفقد مقام الإنسانية، ويكون حيواناً أو كآلة صمّاء في عجلة دوّارة، لا يفهم من الحياة شيئاً ويعيش على هامش الحياة، وقد كان المفروض منه أن يعيش في متنها وواقعها، لأنّ الله خلق الأشياء كلّها من أجله،

(١) نوح: ٢٤.

وخلقه من أجله، كما في الحديث القدسي، قال الله سبحانه في شأن الإنسان: «خلقت الأشياء من أجلك، وخلقتك من أجلي»، فجاء الإنسان ليكون خليفة الله في أرضه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، في أحسن تقويم، إلّا أنّه باختياره طريق الشرّ وسبيل النار صار في أسفل السافلين، فأكثر الناس في ضلال مبين، فلا تستوحش في طريق الحقّ من قلّة أهله.

عليك أن تكون في الفرقة الناجية، وإنّما تسئل يوم القيامة: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولونَ ﴾ عن ذلك، ولا يعذر المرء بتقليد الآباء ووعّاظ السلاطين.

عليك أن تركب سفينة النجاة المتمثّلة بمذهب الإمام الحسين عليه السلام، بمذهب أهل البيت عليهم السلام:

﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاّ ضَلالاً ﴾.

٢٤ ـ أهل السوء
الأكثريّة قوم سوء

قال الله تعالى:

﴿ وَنَصَرْناهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعينَ ﴾[1].

عندما نرجع إلى قصّة نوح عليه السلام نرى مجموعة قليلة جدّاً ركبت سفينته المباركة، وأمّا أكثر الناس فقد أغرقهم الله سبحانه، لأنّهم كانوا يكذّبون بآيات الله وينكرونها ويعادونها، إنّهم عملوا السوء والفحشاء حتّى اسودّت قلوبهم وقُفلت أبوابها، فلا تدخل الرحمة الإلهيّة فيها، ولم ينفعهم نصح الناصحين ووعظ الواعظين، فكلّما يدعوهم صلحاؤهم كالأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء الذين هم ورثة الأنبياء، إلى الهداية والتقوى فإنّهم يكذّبونه ويحاربونه ويفترون عليه بافتراءات يهتزّ منها عرش الله جلّ جلاله، إلّا أنّ الله وعد رسله بالغلبة ﴿ كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلي ﴾[2] وينصر المؤمنين ويؤازرهم بتأييداته وألطافه الخفيّة والجليّة، ويجعل اللعنة على القوم الظالمين قوم سوء، فيغرقهم أجمعين.

فإذا أردت أن تكون من أهل الحقّ والهداية والعمل الصالح، وتنجو من السوء ومن تبعاته، ومن الغرق والعذاب الإلهي، فعليك أن تركب سفينة النجاة التي

(١) الأنبياء: ٧٧.

(٢) المجادلة: ٢١.

أيّدها الله على طول التأريخ وعلى مدى العصور، ألا وهي سفينة الحسين عليه السلام، فما أكثر الطغاة والجبابرة من بعد ثورته الخالدة أرادوا أن يطفؤوا نور الله، فحاربوا قضيّة سيّد الشهداء وقصّة كربلاء وواقعة الطفّ الأليمة، إلّا أنّ الله متمّ نوره ولو كره الكافرون، ففي كلّ عام تزدهر سفينة الحسين عليه السلام المتمثّلة بالشعائر الحسينيّة بأروع وأجمل وأعمق ازدهار، وينتشر مذهب أهل البيت عليهم السلام من خلال إحياء الشعائر والمآتم الحسينيّة بكلّ مظاهرها القديمة والجديدة، فمن أراد النجاة والاستضواء بالمصباح والسراج، فإنّ الحسين عليه السلام مصباح الهداية وسفينة النجاة.

٢٥ ـ الفارّون من الحقّ

قال الله تعالى:

﴿ قالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمي لَيْلاً وَنَهاراً * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعائي إِلاّ فِراراً ﴾[1].

مسؤوليّة المبلّغ الرسالي الذي يرث الأنبياء عليهم السلام «العلماء ورثة الأنبياء» في مقاماتهم ومسؤولياتهم التوجيهيّة والدينيّة أن يبلّغ رسالات الله ليل نهار ولألف عام كما فعل نوح عليه السلام، فيدعو إلى الله ولا يتنفّر ولا يتهاون ولا يتكاسل، وإن كان أكثر الناس لا يستجيبون له، ويفرّون من دعوته، فإنّ ذلك بعين الله عزّ وجلّ، وإنّما يعمل بوظيفته الشرعيّة، من الهداية والتبليغ، ويجعل في حسبانه أنّ أكثر الناس لم يزدهم دعوته إلّا فراراً، وهذا يعني عظم مسؤوليّة الدعاة إلى الله، وإنّهم يدعون أقوامهم وشعوبهم ليلاً ونهاراً، ولا يكتفون بالمحاضرات والمنابر وساعات خاصّة، فهذا لا يكفي في إصلاح الأُمّة وسوق المجتمع الإسلامي إلى شاطئ السلام والسعادة وخلاصهم من طوفان العقائد المنحرفة والثقافات المزيّفة، والعلوم المهلكة، يركبونهم سفينة النجاة المتجسّدة بسيّد الشهداء عليه السلام وثورته الجبّارة الخالدة بخلود الزمان والمكان، ومعطياتها الإسلاميّة، وتؤتي أُكلها كلّ حين، بثورات إصلاحيّة ضدّ الظلم والجور والجبابرة والطغاة، وضدّ مظاهر الفسق والفجور ومعالم الفواحش والمنكرات.

(١) نوح: ٥ ـ ٦.

٢٦ ـ المجادلون بالباطل

قال الله تعالى:

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسولِهِمْ لِيَأْخُذوهُ وَجادَلوا بِالباطِلِ لِيَدْحَضوا بِهِ الحَقَّ ﴾[1].

من مواصفات الأكثريّة من أهل الضلال أنّهم يجادلون بالباطل من غير علم ليدحضوا به الحقّ، فيحاربون أئمة الهدى والإصلاح من الأنبياء والأوصياء والعلماء الصلحاء من ورثتهم، فهؤلاء الأكثريّة بعد الرسول المختار انقلبوا على أعقابهم، وتركوا الحقّ المتمثّل بأمير المؤمنين عليّ عليه السلام بما ثبت عند الفريقين بسند صحيح في الحديث النبويّ الشريف «عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ»، ولا محالة كما يتمثّل الحقّ بأهله كأمير المؤمنين والأئمة من بعده، كذلك يتمثّل الباطل ويتجسّد بأشخاص، ويكونوا مصاديق بارزة للباطل، فالأكثريّة يلوذون بهم ويتبعونهم للسنخيّة بينهم ـ والجنس مع الجنس يميل، والسنخيّة علّة الانضمام ـ ويحاولوا أن يجعلوا هؤلاء أهل الباطل أمام الحقّ وأهله ليدحضونهم ويغلبونهم، ولو إلى حين، فيهمّوا برسولهم ليأخذوه، ويقولوا: «إنّ الرجل ليهجر»، ويجادلوا بالباطل وأهله ليدحضوا به الحقّ.

وعلينا أن نعرف ذلك بوضوح، ونركب سفينة النجاة في مثل هذا الطوفان الغاشي، ولا نكون مع الأكثريّة، بأنّه كيف يكونوا على الباطل، فإنّ الله أخبر عن حالهم في الأُمم السالفة ويجري علينا ما جرى عليهم، ويضرب الله في كتابه الكريم الأمثالَ للناس لعلّهم يعقلون، ويحذّرهم من نفسه ومن عقابه: ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ ﴾ عقاب الله في غرقهم وفنائهم وتعذيبهم في الدنيا والآخرة.

(١) غافر: ٥.

٢٧ ـ الهالكون المعتدون
هلاك الأكثريّة واعتدائهم على الأقلّية

قال الله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نوحٍ المُرْسَلينَ * إذْ قالَ لَهُمْ أخوهُمْ نوحٌ ألا تَتَّقونَ * إنِّي لَكُمْ رَسولٌ أمينٌ * فَاتَّقوا اللهَ وَأطيعونِ * وَما أسْألُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أجْرٍ إنْ أجْريَ إلّا عَلىٰ رَبِّ العالَمينَ * فَاتَّقوا اللهَ وَأطيعونِ * قالوا أنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأرْذَلونَ * قالَ وَما عِلْمي بِما كانوا يَعْمَلونَ * إنْ حِسابُهُمْ إلّا عَلىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرونَ * وَما أنا بِطارِدِ المُؤْمِنينَ * إنْ أنا إلّا نَذيرٌ مُبينٌ * قالوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يا نوحُ لَتَكونَنَّ مِنَ المَرْجومينَ * قالَ رَبِّ إنَّ قَوْمي كَذَّبونِ * فَافْتَحْ بَيْني وَبَيْنَهُمْ فَتْحاً وَنَجِّني وَمَنْ مَعيَ مِنَ المُؤْمِنينَ * فَأنْجَيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ في الفُلْكِ المَشْحونِ * ثُمَّ أغْرَقْنا بَعْدُ الباقينَ * إنَّ في ذٰلِكَ لآيَةً وَما كانَ أكْثَرَهُمْ مُؤْمِنينَ ﴾[1].

لا تعجب إذا قيل : إنّ أكثر الناس يوم القيامة من الهالكين، فربما يتبادر إلى الذهن إذاً لماذا خلقهم الله ؟ هل للهلاك والعذاب وهو الرحمن الرحيم الذي سبقت رحمته غضبه، ولا يؤاخذ العباد بما كسبوا رأساً، بل يمهلهم عسى أن يتوبوا، وإنّه يغفر الذنوب جميعاً إلّا ما أُشرك به، فهل مثل هذا الربّ الودود الرحيم الشفيق يهلك أكثر خلقه ؟ !

أقول : اقتضت حكمة الباري جلّ جلاله أن يخلق الإنسان، ويعلّمه البيان،

(١) الشعراء : ١٠٥ ـ ١٢١.

ويهديه النجدين، نجد الخير ونجد الشرّ، وجعل فيه الاختيار تكويناً وتشريعاً، ثمّ أرسل الرسل، وأنزل الكتب، لطفاً بالعباد، كما خلق فيهم النفس الأمّارة بالسوء التي تحبّ الملاذّ والشهوات، وألهمها فجورها وتقواها، ويعدّ هذا الإلهام هو المعجون الأوّل للأخلاق، وهو من اللطف الإلهي، بمعنى ما يقرب العبد إلى الطاعة ويبعّده عن المعصية، والإنسان هو الذي يختار، فقد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها، وكأنّي بهذه الدنيا كالبستان وبربّ العالمين صاحبه وفلّاحه :

﴿ أأنْتُمْ تَزْرَعونَهُ أمْ نَحْنُ الزّارِعونَ ﴾[1].

والفلّاح يسقي كلّ البستان، إلّا أنّه هناك حشائش في الأرض، تشرب الماء وتنبت في الأرض، إلّا أنّها لا فائدة فيها، وربما تؤذي الأشجار والأوراد والزهور، فيقطعها الفلّاح، كما أنّ هناك أشجار لا تثمر، إنّما ينتفع من خشبها حطباً، وهناك أشجار مثمرة، إلّا أنّها مختلفة الثمار والعطاء، فالكلّ تسقى من الماء، إلّا أنّ مقصود الفلّاح هو الأشجار المثمرة والنخيل الباسقة والورود الزاهية، وكذلك ربّ العالمين برحمته الرحمانيّة يرزق العباد، ويسقيهم من فضله وكرمه، فيهديهم بإرسال رسله وكتبه، إلّا أنّ أكثر الناس باختيارهم يكونوا حشيش الحياة، والخضار الذي يُقطع ويُداس، ويكون حشائش للدوابّ والأنعام.

وأمّا قوم نوح عليه السلام، فأكثرهم استحوذ عليهم الشيطان، واتّبعوا خطواته، طلباً للراحة ولإشباع الغرائز، واستجابةً لأنفسهم الأمّارة بالسوء، فكذّبوا نوح والمرسلين، وكان يدعوهم إلى التقوى والصراط المستقيم، وإنّه من الناصحين، لا يخونهم في دعوتهم، فهو الرسول الأمين، إلّا أنّ قومه كذّبوه، وحجّتهم أنّه اتّبعك

(١) الواقعة : ٦٤.

الضعفاء والأرذلون منّا، يعني الفقراء والذي لا يحسب لهم حساب في نظر الأغنياء ومنطق أصحاب الثروة ومتملّقيهم، وعاقبة الأمر ـ وهذا من سنن الله في الماضين والباقين ـ ابتلاهم بالطوفان الجبّار، فنجّى الله نوحاً عليه السلام ومن ركب سفينته من المؤمنين القلائل، الذين كان يعتدى عليهم من قبل الأكثريّة، ثمّ أغرق الباقين، وهذه آية من آيات الله، فما كان أكثرهم بمؤمنين.

فلا بدّ أن نأخذ الدروس والعبر من هذه القصص الإلهيّة، إنّ في ذلك لعبرةً للموقنين، فنحذر الأكثريّة، ولا ننجرف مع التيّار، ويستولي علينا الطوفان، بل نركب سفينة النجاة، فنتّبع مذهب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأئمة الأطهار عليهم السلام، ولمثل هذا يضرب الله في كتابه الأمثال، ويحكي لنا القصص والآثار.

٢٨ ـ المعذّبون
من لم يركب السفينة فإنّه يُعذّب يوم القيامة

قال الله تعالى:

﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِروا مِنْهُ قالَ إِنْ تَسْخَروا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُم كَما تَسْخَرونَ * فَسَوْفَ تَعْلَمونَ مَنْ يَأتيهِ عَذابٌ يُخْزيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقيمٌ ﴾[1].

من علامة شقاء الإنسان دخوله النار ـ والعياذ بالله ـ لقوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا الَّذينَ شُقوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فيها زَفيرٌ وَشَهيقٌ ﴾[2].

فأكثر قوم نوح عليه السلام غلبت عليهم شقوتهم فكذّبوا نبيّهم، وكان عند صنع سفينته، يمرّ عليه زرافات وملأ من قومه، فيسخرون من فعله، ويستهزؤون به، وكان نبيّ الله عليه السلام يجيبهم بالمثل، وأنّه سيأتي يوم يسخر منهم، وذلك عند الطوفان، وفي يوم القيامة، وكان يحذّرهم بعذاب الله الدائم المقيم.

وهذا الأمر يجري أيضاً في أُمّة النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، فكم حذّر أُمّته وأنذرهم من عذاب الله الأليم، لمن ترك ركوب سفينة النجاة من آله الأطهار عليهم السلام.

فمن لم يركب سفينة آل محمّد عليهم السلام، فله خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب مقيم، وبئس المصير، فإنّه أتته نذر الله ومواعظه وآياته وبراهينه، إلّا أنّه تعصّباً

---

(١) هود: ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) هود: ١٠٦.

وتقليداً للآباء وجهلاً وعدواناً تعّدوا حدود الله، وتركوا سفن النجاة وتشبّثوا بفلان وفلان، ومن يترك ولاية الرحمن، فإنّه لا محالة يدخل في ولاية الشيطان، وأذنابه وإخوانه من الإنس والجان، وهذا ما يدلّ عليه الوجدان والبرهان.

٢٩ ـ المؤمنون
قلّة المؤمنين

قال الله تعالى:

﴿ حَتَّىٰ إذا جاءَ أَمْرُنا وَفارَ التَّنُّورُ قُلْنا اَحْمِلْ فيها مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اَثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَما آمَنَ مَعَهُ إِلّا قَليلٌ ﴾[1].

لا تعجب لو قلنا: إنّ من زوجات الأنبياء من كانت من الغابرين المغضوب عليهم، فمن الأنبياء الماضين قبل خاتم النبيّين عليه وعليهم السلام، كان من الزوجات ممّن استحقّت العذاب الإلهي، فهذه امرأة نوح وتلك امرأة لوط سبق عليهما القول بالعذاب والهلاك وكانتا مع الأكثريّة في الغرق واللعن، وأمّا نوح وكذلك الأنبياء وحتّى خاتم النبيّين محمّد صلى الله عليه وآله فما آمن معه حقّاً وصدقاً وكاملاً، إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحقّ فيهم، فقد افترقت أُمّته ـ كما أخبر بذلك ـ إلى ثلاث وسبعين فرقة، واحدة ناجية يوم القيامة، والباقي من الهالكين، وهذا لا يتنافى مع الوحدة الإسلاميّة، فإنّا كلّنا في هذه الدنيا وبساتينها بحكم الأشجار وما فيها، والماء إنّما يسقي الجميع، إلّا أنّ النجاة لمن ركب سفينتها، وعلى كلّ واحد أن يعرف ذلك ويبحث عن نجاته، وعمّا يُسئل عنه يوم القيامة: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤولونَ ﴾، فإنّ الله يسألنا عن شيء، فلا بدّ أن نبحث عن ذلك، ونعدّ له الجواب، حتّى لا يخسر الإنسان دنياه وآخرته.

---

(١) هود: ٤٠.

٣٠ ـ القلب السليم

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنَّ مِنْ شيعَتِهِ لإبْراهيمَ * إذْ جاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَليمٍ ﴾[1].

في ظاهر تفسير الآية الشريفة، إنّ من شيعة نوح عليه السلام إبراهيم الخليل عليه السلام الذي امتاز بالقلب السليم، ذلك القلب الذي ليس فيه سوى الله سبحانه، فمن كان من شيعة نوح عليه السلام، ومن ركب سفينته، فإنّه يحمل مثل هذا القلب السليم، وهذا يعني أنّ من يركب سفينة النجاة، فإنّه يمتاز بالقلب السليم، إلّا أنّه من الشيعة من كان يحمل هذا القلب في الدنيا، ومنهم من يحمله في الآخرة بعد تطهيره في الاحتضار أو القبر وعالم البرزخ، ومنهم من يكتب على أكفانه:

وفدت على الكريم بغير زادٍ ... من الحسنات والقلب السليمِ
فحمل الزاد أقبح كلّ شيءٍ ... إذا كان الوفود على الكريمِ

فالعمدة سلامة القلب من الشكوك والجهل، والذنوب والمعاصي، وحبّ الدنيا، وكلّ ما لا يرضاه الله سبحانه، وهذا يعني تخلية القلب من الأغيار، ثمّ تحليته بالحبّ الإلهي والعبادات والذكر الجلي والخفي، وبالفضائل ومحاسن الأخلاق ومكارمها، ثمّ تجليتها بالانقطاع إلى الله سبحانه والفناء في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وهذا إنّما يتمّ لو استضاء بمصابيح الهداية بمحمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وبآله المعصومين، ومن أكثر هذه المصابيح النبويّة والعلويّة نوراً وتجلّياً وسعةً الإمام

(١) الصافّات: ٨٣ ـ ٨٤.

الحسين عليه السلام، فإنّه من النبيّ والنبيّ منه، فهو مصباح الهدى للمؤمنين المتّقين، وأمّا العصاة المذنبين فعليهم بركوب سفن النجاة آل محمّد عليهم السلام، إلّا أنّ سفينة الحسين عليه السلام أوسع شمولاً وحيطة، وأسرع سيراً ووصلاً، فينجو بها حتّى شارب الخمور وتارك الصلاة، فإنّه في العاقبة يتوب إلى الله، ويحسن حاله وتصلح سريرته، ويتصبّغ بصبغة الله جلّ جلاله، ويمرّ عليه نسيم القلب السليم، فيتعافى ويفوز بالسعادة، بدخول الجنّة بسلام آمنين وبقلبٍ سليم.

٣١ ـ الصبر والتقوى

قال الله تعالى:

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الغَيْبِ نوحيها إِلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمُها أَنْتَ وَلا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هٰذا فَاصْبِرْ إِنَّ العاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

بعد أن حكى الله سبحانه قصّة نبيّه نوح عليه السلام لخاتم الأنبياء وأشرف خلق الله محمّد صلى الله عليه وآله، يشير عليه أنّ هذا الوحي إنّما هو من عنده، وأنّ النبيّ كان أُمّيّاً لا يعلمها هو ولا قومه من قبل هذا، ثمّ نتيجة القصّة والعبرة فيها: أنّ نوح صبر في مقام تبليغ الرسالة وإن كان يدعوهم ليلاً ونهاراً ولم يستجيبوا له إلّا القليل، فإنّ أكثرهم كانوا من الكاذبين الفاسقين، لأنّهم لا تقوى لهم، إلّا أنّ عاقبة الأمر أنّ الغلبة تكون مع المرسلين ﴿ لأَغْلِبَنَّ أنا وَرُسُلي ﴾ وتكون حسن العاقبة للمتّقين كما كان لأصحاب نوح المؤمنين، فاصبر يا رسول الله فإنّ العاقبة لأهل بيتك وأصحابك المتّقين، وهم قلّة من المسلمين، وشعارهم في الحياة الدنيا الصبر والتقوى وانتظار الفرج وحسن العاقبة، فيتواصون بالحقّ بأمير المؤمنين علي عليه السلام ويتواصون بالصبر على الولاية وتحمّل الأذى من أجلها.

(١) هود: ٤٩.

٣٢ ـ السلامة والبركة

قال الله تعالى:

﴿ قيلَ يا نوحُ اهْبِطْ بِسلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾[1].

﴿ سلامٌ عَلىٰ نوحٍ في العالَمِينَ * إِنَّا كَذٰلِكَ نَجْزي المُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبادِنا المُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنا الآخَرِينَ ﴾[2].

من أسماء الله الحسنى السلام، فهو السلام ومنه السلام وإليه السلام، ومن سلامه التسليم بسلامه على رسله وأنبيائه، فسلام الله على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد وكلّ الأنبياء والمرسلين أبداً بعدد علم الله سبحانه.

كما إنّ من أسماء الله المبارك، والبركة تعني الخير المستقرّ والمستمرّ، فينادي الله عبده نوح بعد أن نجّاه وقومه القليل وأهلك الكثير أن ﴿ يا نوحُ اهْبِطْ بِسلامٍ مِنَّا وَبَرَكاتٍ عَلَيْكَ وَعَلىٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ﴾، فهؤلاء تشملهم الرحمة الرحيميّة، فإنّهم من المحسنين، فعليهم سلام الله وبركاته في العالمين، جيلاً بعد جيل، وهذا جزاء الله لمن كان محسناً ومؤمناً، وأمّا غيره فأغرقنا الآخرين.

وهذا جارٍ في أُمّة خاتم النبيّين وسيّد المرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، ممّن ركب سفينته سفينة أمير المؤمنين وأهل بيته الطاهرين، لا سيّما سفينة الحسين عليه السلام، فإنّه من المحسنين والمؤمنين، فعليه سلام الله وبركاته أبد الآبدين، وأمّا أعداؤهم، وغاصبي حقوقهم، ومنكري فضائلهم فهم من الهالكين وأغرقنا الآخرين.

(١) هود: ٤٨.

(٢) الصافّات: ٧٩ ـ ٨٢.

٣٣ ـ النجاة من الكروب

قال الله تعالى:

﴿ وَنوحاً إِذْ نادىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ﴾[1].

﴿ وَلَقَدْ نادانا نوحٌ فَلَنِعْمَ المُجيبونَ * وَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ﴾[2].

من نِعَمِ الله على عبده المؤمن أن يستجيب دعاءه، ويتقبّل أعماله، ويكشف السوء عنه، وينجّيه وأهله من الكرب العظيم.

وقد فعل ذلك بالأنبياء عليهم السلام كما في قصّة نوح عليه السلام، وهذا من لوازم ركوب سفينة النجاة.

وما كان في الأُمم الماضية فكذلك في أُمّة محمّد صلى الله عليه وآله، فمن يركب سفينته المباركة، فإنّه يُزال عنه الكروب، وتُقضى له الحاجات.

والذي يلاحظ في نوح ومن قبله أنّه كان ينادي الله ويناجيه ويدعوه، ونعم المجيب ربّ العالمين، فكذلك من يركب سفينة النجاة الحسينيّة، فإنّه من أخلاقه ومواصفاته أنّه دعّاء، وأنّه كثير المناجاة، فإنّه يعلم لا يعبأ به لولا دعاءه، وأنّ إمامه عليه السلام وربّان سفينته سيّد الشهداء في آخر لحظة من حياته على الرمضاء، مضرّج بالدماء يناجي ربّه (رضاً بقضائك وتسليماً لأمرك) وإنّه طلب من قوم

(١) الأنبياء: ٧٦.

(٢) الصافّات: ٧٥ ـ ٧٦.

يزيد بني أُميّة وأتباعهم ليلة عاشوراء أن يمهلوهم هذه الليلة ليعبدوا ربّهم، فكان له ولأصحابه دويّ كدويّ النحل بين قائمٍ مصلٍّ وتالٍ للقرآن وباكٍ يدعو ربّه.

وهكذا شيعة الإمام عليه السلام، فإنّهم صفر الوجوه من الدعاء، عمش العيون من البكاء، خمص البطون من الجوع، رهبان في الليل وأُسدٌ في النهار، لا تأخذهم في الله لومة لائم.

٣٤ ـ البقاء والخلود

قال الله تعالى:

﴿ وَجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقينَ ﴾[١].

لقد أودع الله في الإنسان أحاسيس وعواطف وغرائز، وقد عدّها علماء النفس إلى أربعة عشر غريزة[٢].

منها: غريزة حبّ البقاء، فكلّ واحد من الناس بطبيعته وفطرته يحبّ البقاء والخلود، ولكن شاء الله سبحانه حفظاً للنظام أن يجعل الفناء والموت في خلقه، ولكن جعل طرقاً لإشباع هذه الغريزة وتعديلها وتحسينها.

فورد في الحديث الشريف: إذا مات المرء انقطع عمله إلّا من ثلاث: ولدٌ صالح يستغفر له، وصدقةٌ جارية، وعلمٌ ينتفع به الناس.

وبهذا ينصلح الفرد والمجتمع، فيفكّر دائماً لحسن ذكره وبقائه بأُحدوثة جميلة ولسان صدقٍ في الآخرين، أن يربّي ولداً صالحاً، كما يؤسّس مشاريع خيرية وصدقات جارية، كما يخلّف علماً نافعاً من مدارس ومؤلفات ومكتبات وطلّاب وما شابه ذلك، ليبقى اسمه يذكر بجميل وطيب ولسان صدق، ويبقى في القلوب وفي ضمير الأُمّة حيّاً، كالشهداء في سبيل الله فإنّهم أحياء عند ربّهم يرزقون، كما هم أحياء في وعي الأُمّة، لما قدّموا من تضحيات ومن دمائهم الطاهرة من أجل حياتها

(١) الصافّات: ٧٧.

(٢) لقد تحدّثت عن هذا الموضوع بالتفصيل في (الإسلام وعلم النفس)، فراجع.

وسعادتها وسلامتها.

فالإنسان يحبّ البقاء وأن يخلّد في الحياة، والله سبحانه أعطى هذه الأُمنية لنبيّه نوح، فجعل ذرّيته هم الباقين.

وكذلك الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فإنّه بإرادة الله وحفظه بقي مخلّداً، بقي بدينه ومبدئه وأخلاقه وذرّيته من الأئمة الأطهار عليهم السلام أبديّاً، بقي بولده وسبطه الحسين بن عليّ عليه السلام، وبقي الإسلام العظيم بثورة الإمام الحسين الخالدة، ترفرف راياته عالية خفّاقة في ربوع الأرض، فإنّ الإسلام محمّدي الحدوث وحسيني البقاء.

يقول الآية العظمى الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء عليه الرحمة:

«لولا شهادة أبي عبد الله صلوات الله عليه لكانت الشريعة أُمويّة، ولعادت الملّة الحنيفيّة يزيديّة، فحقّاً أقول: إنّ الإسلام علويّ والتشيّع حسينيّ»[١].

والعجيب من قصّة عاشوراء وقضيّة سيّد الشهداء عليه السلام والشعائر الحسينيّة، أنّه كلّ من أقامها وذاب فيها وأحياها بليله ونهاره، فإنّه يخلّد في التأريخ، وتبقى صورته في القلوب وعلى جدران الحسينيات، ويذكر دوماً بالذكر الجميل والأُحدوثة الطيّبة، كلّ ذلك ببركة سيّد الشهداء عليه السلام، كما نشاهد هذا الخلود لكلّ من كان في خدمة الإمام الحسين عليه السلام في المواكب والهيئات الحسينيّة، وهذا من بركات سفينة الحسين عليه السلام، وأعتقد أنّ هذه الشعائر بمظاهرها القديمة التي وصلتنا من السلف الصالح، وكذلك الجديدة التي تحمل لغة العصر، كلّها تعدّ ألواحاً لتلك السفينة الحسينيّة، فمن أقامها فكأنّما يجدّد تلك الألواح ويحكم مساميرها.

(١) الآيات البيّنات: ٢٠.

فسلام الله عليك يا مولاي وسيّدي يا أبا عبد الله، يا زينة عرش الله، ومهوى أفئدة الأنبياء، وحبيب رسول الله، وعبرة كلّ مؤمن ومؤمنة، أنت ابن أمير الأوصياء وعزيز الزهراء وقلب الأئمة الأطهار عليهم السلام، أنت المخلّد في الوجود وفي التأريخ والقلوب، وكلّ من لاذ بك وهتف باسمك وخدم عاشوراءك، فإنّه يخلّد بخلودك.

٣٥ ـ بداية الركوب والحركة والسير باسم الله

قال الله تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱرْكَبوا فيها بِسْمِ اللهَ مَجْراها وَمَرْساها إِنَّ رَبِّي لَغَفورٌ رَحيمٌ ﴾[1].

لقد أدّبنا الله في كتابه الكريم بآدابه السامية، فأحسن تأديبنا، فعلّمنا من خلال قصص الأنبياء ووقائعهم وما جرى عليهم مع أُممهم، كيف نعيش بأخلاق حميدة وآداب حسنة، فمن الأدب الإلهي والإسلامي أن يكون بدء العمل وختمه باسم الله وحمده، فإنّه من الراجح أن يبدأ الإنسان قبل أيّ عمل بالبسملة، وأنّ الفعل الذي لم يبدأ به بالبسملة، فإنّه أبتر مقطوع البركة من الخير المستمرّ والمستقرّ، وهذا نوح عليه السلام يركب أصحابه الفلك ـ أي السفينة ـ مخاطباً ﴿ ٱرْكَبوا فيها بِسْمِ اللهَ مَجْراها وَمَرْساها ﴾، ففي كلّ حال لا بدّ أن يكون العمل باسم الله في الحركة والسكون، في الصعود والهبوط، في الضرّاء والرخاء، في الليل والنهار، في الحضر والسفر، فرداً أو في المجتمع، في السرّ والعلن.

وما كان عليه اسم الله فإنّه يحلّ ويحيى، ولا يكون من الميتة التي لا روح فيها، بل يعيش روحانيّة العمل وحياته الخالدة.

وما كان اسم الله عليه فإنّه يخلّد بخلود أسماء الله وصفاته.

وما كان عليه اسم الله فإنّه يبارك فيه من الخيرات الدائمة والثابتة.

وما كان اسم الله عليه فإنّه يخلص من الشوائب ومن الجهل فيصعد إلى الله،

---

(١) هود: ٤١.

فإنّه يصعد إليه الكلم الطيّب أي الخالص.

وما كان اسم الله عليه، يعني كان عليه صبغة الله ورسوله وأُولي الأمر الأئمّة الهداة.

وما كان كذلك فهو من الحلال الطيّب المبارك، ومن ثمّ فلا يصدر من الطيّب إلّا الطيّب، وأمّا ما خبث فيخرج منه نكداً.

ولمثل هذا لا بدّ أن نركب سفينة الإمام الحسين عليه السلام باسم الله مجراها ومرساها، وإنّ الله لغفورٌ رحيم.

٣٦ ـ العمى لمن تخلّف وكذّب

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اُعْبُدوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلـٰهٍ غَيْرُه إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قالَ المَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ * قالَ يا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلالَةٌ وَلـٰكِنِّي رَسولٌ مِنْ رَبِّ العالَمِينَ * ... فَكَذَّبوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الفُلْكِ وَأَغْرَقْنا الَّذِينَ كَذَّبوا بِآياتِنا إِنَّهُمْ كانوا قَوْماً عَمِينَ ﴾[1].

حقّاً ما نتلوه في كتاب الله الكريم في محكم آياته ومبرم خطابه، وما أروع الدروس القرآنيّة لا سيّما في قصص الأنبياء والمرسلين وفي الأمثال والحِكم، فإنّها تحكي ما جرى على الأُمم السالفة، ببلاغة لا مثيل لها، وفصاحة لا نظير لها، إلّا أنّها تعطيك الحياة من جديد، وتنير الدرب لمن أراد أن يعيش بنور، ويموت بنور، ويفوز بسعادة الدارين.

فهذه قصّة النبيّ نوح عليه السلام، فما أكثر الدروس والعبر فيها، وما أكثر ما فيها من المعالم النورانيّة التي يشعّ منها أنوار الهداية والمعرفة والعيش الرغيد. فإنّ الله يحكي رسالته وما جرى عليه من دعوة قومه وعدم استجابتهم، فإنّه أرسله بلطف منه إلى قومه، ليدعوهم إلى الحقّ، إلى الحياة الطيّبة، يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه الذي لا شريك له ولا إله غيره، والقائد الناصح من مواصفاته أنّه يحزن لأُمّته ويحبّ هدايتهم، ويخاف عليهم عذاب يوم عظيم، إلّا أنّ أصحاب الثروة والجاه، ومن غرّته الدنيا الدنيّة وزخرفها وزبرجها، واستحوذ عليه الشيطان، يحارب الدعاة

(١) الأعراف: ٥٩ ـ ٦٤.

المصلحين، والعجيب يرى أنّه على هداية وحقّ واضح، أمّا النبيّ والرسول ومن يحذو حذوهم من ورثتهم العلماء الصلحاء في ضلال مبين، إلّا أنّ الرسل يقولون لأقوامهم: ما بنا ضلالة، لكنّا رسول من ربّ العالمين، أمّا أكثر الناس يكذّبونهم كما كان ذلك بين نوح وقومه، وما على الله سبحانه إلّا أن ينجّي عبده والذين معه وإن كانوا قلائل، فنوح عليه السلام نجّاه الله بالسفينة، وأغرق الذين كذّبوا بآياته، إنّهم كانوا قوماً عمين لا يرون الحقّ، ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً.

وهذا المعنى جارٍ في كلّ الأُمم ـ كلّها فإنّه من سنن الله التي لا تجد لسنّة الله تبديلاً ـ وحتّى أُمّة خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد صلى الله عليه وآله، فمن يكذّبه فيما جاء به من الأحكام والولاية والوصاية والخلافة، وأنّه خلّف من بعده الكتاب والعترة الطاهرة والأئمة المعصومين عليهم السلام ولم يركب سفنهم والسفينة الحسينيّة، فإنّه أعمى القلب، ولا تعمى الأبصار، إنّما تعمى القلوب التي في الصدور، فإنّ الله يغرقهم ويعذّبهم بعذابٍ شديد، ومأواهم جهنّم وبئس المأوى والمصير.

﴿ وَمن كانَ في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً ﴾[1].

(١) الإسراء: ٧٢.

٣٧ ـ تعدّد الأحزاب

قال الله تعالى:

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نوحٍ وَالأحْزابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسولِهِمْ لِيَأخُذوهُ وَجادَلوا بِالباطِلِ لِيَدْحَضوا بِهِ الحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كانَ عِقابِ ﴾[1].

حزب الله حزب واحد، فإنّ الله الواحد الأحد الذي لا ثاني له ولا تركيب فيه، فكلّ من يؤمن به وبما أمر ونهى فإنّه من جماعته، أي من حزب الله، وأمّا غيره سبحانه فأسماء سمّيتموها وأحزاب ابتدعتموها، تأثّراً بمفاتن الغرب وثقافتها المقيتة التي باطنها العذاب والنقمة وظاهرها المكر والخديعة، فهذه الجماعات والفئويات والأحزاب المتعدّدة، ليس بالشيء الجديد، وإن كان إطروحتها بالشكل الهرمي والخيطي والاخطبوطي من الأفكار الدخيلة التي ما أنزل الله بها من سلطان، وإنّها تمزّق الأُمّة وتفرّق بينها ممّا يوجب تسلّط الاستعمار وسيادته (فرّق تسد)، وإنّ الاستكبار العالمي كلّ يوم بأسماء جديدة، ومظاهر جديدة، ومخطّطات جديدة، يفرّق بين الناس، ليستولي على منابعها الحيّة وثرواتها الطبيعيّة وغيرها، وأياديها العاملة وما شابه ذلك، فالأحزاب في عصرنا الراهن مطايا تركبها الشياطين، فهذه الأحزاب بأُطروحتها الجديدة، لها تأريخ قديم يرجع إلى نوح عليه السلام، وإنّهم كذّبوا برسالات الله وأنبيائه الكرام وأوصيائهم عليهم السلام.

وهذا من معالم الأكثريّة، فإنّها يتعدّد عندها التحزّب والصنميّة والفئويّة،

(١) غافر: ٥.

ولكنّ الأقلّية إنّما هي يد واحدة، وهي جماعة الله وحزبه، وهم الغالبون حتّى وإن طال الزمان في اضطهادهم ومظلوميّتهم، فإنّ الأرض يرثها عباد الله الصالحون، والعاقبة للمتّقين.

وحزب الله هم الحسينيون الذين ركبوا سفينة النجاة، وتأثّروا بثورة الحسين عليه السلام ومعالمها الإسلاميّة وعياً وعقيدة وسلوكاً وعملاً.

٣٨ ـ راكب السفينة مع الأنبياء عليهم السلام

قال الله تعالى:

﴿ وَنادىٰ نوحٌ ٱبْنَهُ وَكانَ في مَعْزِلٍ يا بُنَيَّ ٱرْكَبْ مَعَنا ﴾[1].

لا إله إلّا الله حصن الله، ومن دخل حصن التوحيد فقد أمن من عذاب الله، وكذلك حصن النبوّة والإمامة، فإنّهما امتداد وخلاصة التوحيد ومظاهره، فولاية النبيّ والوصيّ من ولاية الله جلّ جلاله، وولاية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام حصن الله، ومن دخل هذا الحصن وهذه القلعة المباركة، فإنّه داخل في أمان الله وحصنه، وهذا المعنى يجري في مثال السفينة أيضاً، فسفينة التوحيد التي ربّانها النبوّة والإمامة، إنّما هي سفينة النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن ثمّ الوصيّ عليهما السلام أيضاً، فمن يركب سفينة نوح فهو معه في المكان والزمان، وكذلك معه في المبدأ والعقيدة والسلوك والعمل، فلازم المعيّة هذه الحقائق والأُمور أيضاً، ولهذا من شفقة النبيّ على أهله، وأنّه ينذر أهله وعشيرته، ثمّ أصحابه، أن يدعو وينادي ولده ليركب معه، فينجو بنجاته، إلّا أنّ الولد خالف الوالد، وتابع الأكثريّة التي ضلّت وأضلّت وتاهت في متاهات الجهل والغرور وحبّ الدنيا، وتأسّرت لملاذّها وشهوتها، فغرق مع من غرق، وهلك مع الهالكين.

وقد ورد في الخبر الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة»، فعلى الأُمّة أن تؤدّي حقوق الأُبوّة ولا تكون عاقّة للوالدين، بترك إطاعتهما وإيذائهما، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «فاطمة بضعةٌ منّي من آذاها فقد آذاني»

---

(١) هود: ٤٢.

ـ متّفق عليه عند الفريقين السنّة والشيعة ـ، فمن آذى النبيّ في بنته الزهراء عليها السلام بحرق بيتها، ولطم خدّها، وضرب عضدها، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها، وغصب فدكها، وخلافة بعلها، فمثل هذا وأتباعه والراضين بفعله كيف لم يؤذوا النبيّ ولم يعقّوه، وكيف يكون راكباً سفينة النجاة ؟ وكيف يكون مع النبيّ ومنه ؟ وكيف لا يكون من المغرقين الهالكين ؟ !

ما لكم كيف تحكمون ؟

وهل بعد الحقّ إلّا الضلال ؟

الفصل الثاني عشر

زيارة الإمام الحسين عليه السلام زيارة الله في العرش

لقد وردت نصوص كثيرة عن أهمّية زيارة الرسول الأكرم وأهل بيته الطاهرين وذرّيته الكرام.

وإنّ الزيارة تعني حضور الزائر عند المزور لإعلان الولاء والمحبّة، وكسب الفيض والبركة، وديمومية الإطاعة والاتّباع، والتحلّي بسيرتهم وأخلاقهم، وتحصيل الأجر والثواب، وغير ذلك ممّا يذكر في فلسفة الزيارة وثوابها وفضائلها.

وفي زيارة سيّدنا ومولانا الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام وردت روايات كثيرة جدّاً تدلّ على عظمة زيارته المقدّسة وفضلها وبركاتها وآثارها في الدنيا والآخرة[1]، وقد امتاز بعضها بأمر قلّ ما نجده في باقي الزيارات الواردة في حقّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، وذلك أنّه من زاره زار الله في عرشه، وهذا من الأمر العظيم، والصعب المستصعب الذي لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان.

---

(١) راجع بحار الأنوار، المجلّد ٩٨.

فإنّ زيارة الله في العرش يعني تجلّي الله في أسمائه وصفاته، وهذا يعني لمن زار الحسين عليه السلام بشرط أن يكون عارفاً بحقّه ومقامه العظيم، فإنّه يرى تجلّي الله بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في وجود الإمام الحسين عليه السلام وحياته الكريمة، وسيرته المباركة، وحينئذٍ من يرى الحسين فيرى الله سبحانه، فإنّه بوجوده المقدّس عليه السلام أعظم آية تدلّنا على الله سبحانه، واجب الوجود لذاته، المستجمع لجميع صفات الجمال والكمال والجلال.

وقد ورد هذا المعنى في أحاديث أئمّة الحقّ عليهم السلام:

فعن الإمام الصادق عليه السلام أنّ الحواريين سألوا عيسى بن مريم: يا روح الله، من نُعاشر؟ فقال: من يذكّركم الله رؤيته، ويزيدكم في علمكم منطقه، ويرغّبكم في الآخرة عمله.

والإمام الحسين المصداق الأتمّ لمن يراه يتذكّر ربّه، أي لو كان غافلاً ساهياً فإنّه بحضوره عند الحسين عليه السلام يرى الله سبحانه، وإنّه بحضرته جلّ جلاله، فالحضور بحضرته وحرمه عليه السلام حضور بحضرة الله وعرشه وعلمه عزّ وجلّ، ومن زاره في حرمه وغيره، عارفاً بحقّه ومقامه، كمن زار الله في عرشه، متعزّزاً بقدسه وكرامته.

١ ـ عن الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام قال:

كنّا مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا وحارث الأعور قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يأتي قوم في آخر الزمان يزورون قبر ابني الحسين، فمن زاره فكأنّما زارني، ومن زارني فكأنّما زار الله سبحانه، ألا ومن زار الحسين فكأنّما زار الله في عرشه.

٢ ـ عن بشير الدهّان عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام في حديث له، قال: يا بشير، من زار قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه.

٣ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام: من زار قبر الحسين بن عليّ عليه السلام يوم عاشوراء عارفاً بحقّه، كان كمن زار الله في عرشه.

٤ ـ زيد الشحّام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما لِمن زار قبر الحسين عليه السلام؟ قال: كان كمن زار الله في عرشه.

٥ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات كان كمن زار الله فوق عرشه[1].

٦ ـ وعنه عليه السلام: من زار قبر أبي ببغداد كان كمن زار رسول الله وأمير المؤمنين عليهما السلام، ألا إنّ لرسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما فضلهما، قال: ثمّ قال لي: من زار قبر أبي عبد الله عليه السلام بشطّ فرات، كان كمن زار الله فوق كرسيّه.

الظاهر أنّ المراد من زيارة الله في العرش وفوق الكرسي كناية عن شدّة القرب ونهايته إلى الله سبحانه.

---

(١) التهذيب ٦: ٤٦، وكامل الزيارات: ١٤٧.

وقيل: إنّه قد تحقّق عند أهل المعرفة أنّ للإنسان في سيره وسلوكه إلى الله سبحانه منازل، تنتهي من طاعة الله إلى حالة رفيعة، ومرتبة راقية، وقربٍ خاصّ، يعبّرون عنه بالفناء في الله تعالى، وهو نهاية مقام كمال العبد في عبوديّته، وغاية مقام قربه، فيصل إلى جوهر العبوديّة التي كنهها الربوبيّة، وهو عبارة عن كون علم العبد مستهلكاً في علمه تعالى، وقدرته مضمحلّة في قدرته عزّ سلطانه، وإرادته ذائبة في إرادته علا شأنه وجلّ جلاله، بحيث لا يكون له رأي أو حكم إلّا ما رآه وحكم به المولى عزّ وجلّ، ولا يرى لنفسه قدرة على شيء إلّا بحوله وقوّته، ولا يريد شيئاً غير ما أراد الله تعالى، فإذا دام العبد على هذه الحالة العرفانيّة، واستمرّ عليه بحيث صارت ملكة راسخة في كلّ وجوده، وصار العبد متجوهراً بها، ومتجسّداً فيها، وقد فنا في ربّه عن نفسه، ولا حكم له إلّا حكمه سبحانه، فيكون مظهراً لربّه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويكون إكرامه إكرام الله، وزيارته زيارة الله، ومن أهانه أهان الله.

كما ورد في الخبر الشريف عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من وقّر عالماً وقّر ربّه»[1].

فإنّ العالم حقّاً يكون مظهراً لعلم الله سبحانه، وتوقيره توقير الله.

كما ورد أنّه تعالى قال مخاطباً لبعض أنبيائه: مرضت فلم تزرني، فلمّا استفسر النبيّ واستوضح عن الأمر، أخبره الله سبحانه أنّه كان عندي فلان مريضاً فلم تعده وتزوره.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ له: أنت ضيفي

(١) غرر الحكم: ٢٨٥.

وزائري، عليّ قراك، وقد أوجبت لك الجنّة بحبّك إيّاه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار أخاه المؤمن إلى منزله لا حاجة منه إليه، كتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: من زار أخاه في الله قال الله عزّ وجلّ: إيّاي زرت وثوابك عليّ، ولست أرضى لك ثواباً دون الجنّة[1].

وقال عليه السلام: «من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنّما أكرم الله عزّ وجلّ»[2].

وقال في الذين يبايعون رسول الله تحت الشجرة أنّهم يبايعون الله، كما نسب رمي النبيّ في غزوة إلى نفسه جلّ جلاله في قوله تعالى:

﴿ وَما رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلـٰكِنَّ اللهَ رَمىٰ ﴾[3].

فسيّد الشهداء سبط رسول الله قدّم القرابين يوم الطفّ لله سبحانه، وبذل مهجته ومهجة أهل بيته وأصحابه، من أجل دين الله سبحانه، وبهذا وبغيره من العصمة والمقامات الولويّة، وصل إلى قاب قوسين أو أدنى، حتّى صار مظهراً لله سبحانه، فانياً في أسمائه وصفاته، فمن زاره كمن زار الله في عرشه وفوق كرسيّه.

«وقد ورد في فضل زيارته أمر عظيم وحثّ أكيد ومقام رفيع حتّى عدّ زائره ـ كما مرّ ـ بمنزلة من زار الله في عرشه، فالزائر لا بدّ أن يعتبر في هذه العبادة اعتبارات فاخرة، فجعل زيارته في مرقده بعد قتله، كمن زار الله في عرشه، أمر عظيم لا يطيقه عقول العامّة.

(١) الروايات من ميزان الحكمة ٤: ٢٩٦.

(٢) ميزان الحكمة ١: ٦١.

(٣) الأنفال: ١٧.

ومن عظمته، حكي أنّ السيّد الجليل والعالم النبيل السيّد مهدي المعروف ببحر العلوم جاء إلى الشيخ الكبير العارف الشيخ حسين المعروف بنجف وسأله عن مشكلاته، وكان منها أن سأله عن عظم ما ورد في الأخبار من مثوبات ما يتعلّق بالحسين عليه السلام لزائره وللباكي عليه ونحوهما كيف يستقيم عند العقل هذه الأُمور العظام بهذه الأعمال الجزئيّة الحقيرة ؟ ! فأجابه الشيخ بأنّ الإمام الحسين عليه السلام مع جميع ما فيه من الشؤون إنّما كان مخلوقاً ممكناً عبداً لله، وهو مع كونه ممكناً عبداً أعطى في محبّة الله ورضاه كلّه من المال والجاه والعرض والإخوة والأولاد الصغير والكبير والروح، حتّى بدنه بعد القتل، وكيف تستكثر أن يعطيه الكريم الجواد أيضاً كلّه للحسين عليه السلام، فرضي عليه الرحمة بالجواب واستحسنه »[1].

(١) المراقبات : ١٤٨.

الخاتمة

زيارة عاشوراء سنداً ودلالة

من الزيارات التي أكّد عليها الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وأوصى بها صاحب الزمان عليه السلام في مواطن كثيرة، هي زيارة عاشوراء. فهي من أعظم الزيارات سنداً ودلالة، وإنّها نشيد الله على لسان الملك العظيم جبرئيل الأمين عليه السلام، فإنّه بأمر من الله سبحانه بشّر به النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله وكلّ من في السماوات والأرض.

وإنّها رويت بطريقين وسندين :

السند الأوّل :

كامل الزيارات للمحدّث الجليل ابن قولويه القمّي (الصفحة ٣٣٣)[1]، بسنده الصحيح عن علقمة بن محمّد الحضرمي ومحمّد بن إسماعيل عن صالح بن عقبة

(١) البحار ٩٨ : ٢٩٠، طبعة بيروت، وطبعة إيران ١٠١ : ٢٩٠، وكذلك المستدرك ١٠ : ٢٩٣ و ٣١٥، عنه صدره الوسائل ١٤ : ٤٩٤، رواه الشيخ في مصباحه : ٧٧٢ بإسناده عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن صالح بن عقبة عن أبيه عن الباقر عليه السلام، أورده السيّد ابن طاووس في مصباح الزائر : ١٤٧، والكفعمي في مصباحه : ٤٨٣، والبلد الأمين : ٢٦٩.

عن مالك الجهني عن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال :

من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء من المحرّم حتّى يظلّ عنده باكياً لقي الله تعالى يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجّة ، وألفي ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كلّ حجّة وعمرة وغزوة كثواب من حجّ واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين .

قال : قلت : جعلت فداك ، فما لمن كان في بُعد البلاد وأقاصيها ولم يمكنه المصير إليه في ذلك اليوم ؟

قال : إذا كان ذلك اليوم برز إلى الصحراء أو صعد سطحاً مرتفعاً في داره ، وأومأ إليه بالسلام ، واجتهد على قاتله بالدعاء ، وصلّى بعده ركعتين يفعل ذلك في صدر النهار قبل الزوال ، ثمّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه ويأمر من في داره بالبكاء عليه ، ويقيم في داره مصيبته بإظهار الجزع عليه ، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً في البيوت ، وليعزِّ بعضهم بعضاً بمصاب الحسين عليه السلام ، فأنا ضامن لهم إذا فعلوا ذلك على الله عزّ وجلّ جميع هذا الثواب .

فقلت : جعلت فداك ، وأنت الضامن لهم إذا فعلوا ذلك والزعيم به ؟

قال : أنا الضامن لهم والزعيم لمن فعل ذلك .

قال : قلت : فكيف يعزّي بعضهم بعضاً ؟

قال : يقولون : عظّم الله أُجورنا بمصابنا بالحسين عليه السلام وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثأره مع وليّه الإمام المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل ، فإنّه يوم نحس لا تنقضي فيه حاجة ، وإن قُضيت لم يبارك له فيها ولم يرَ رُشداً ، ولا تدّخرن لمنزلك شيئاً ، فإنّه من ادّخر لمنزله شيئاً في ذلك اليوم لم يبارك له في ما يدّخره ، ولا يبارك له في أهله ، فمن فعل ذلك كتب له ثواب

ألف ألف حجّة وألف ألف عمرة ، وألف ألف غزوة كلّها مع رسول الله ، وكان له ثواب مصيبة كلّ نبيّ ورسول وصدّيق وشهيد مات أو قُتل منذ خلق الله الدنيا إلى أن تقوم الساعة .

قال صالح بن عقبة الجهني وسيف بن عميرة : قال علقمة بن محمّد الحضرمي : فقلت لأبي جعفر عليه السلام : علّمني دعاءً أدعو به في ذلك اليوم إذا أنا زرته من قريب ، ودعاءً أدعو به إذا لم أزره من قريب ، أومأت إليه من بُعد البلاد ومن سطح داري بالسلام .

قال : فقال : يا علقمة ، إذا أنت صلّيت ركعتين بعد أن تومئ إليه بالسلام فقلت عند الإيماء إليه ومن بعد الركعتين هذا القول ، فإنّك إذا قلت ذلك ، فقد دعوت بما يدعو به من زاره من الملائكة ، وكتب الله لك بها ألف ألف حسنة ومحى عنك ألف ألف سيّئة ورفع لك مائة ألف ألف درجة ، وكنت ممّن استشهد مع الحسين بن علي عليهما السلام حتّى تشاركهم في درجاتهم ، ولا تُعرف إلّا في الشهداء الذين استشهدوا معه ، وكتب لك ثواب كلّ نبيّ ورسول وزيارة من زار الحسين بن علي عليهما السلام منذ يوم قتل : «السلام عليك يا أبا عبد الله ...» إلى آخر زيارة عاشوراء كما في مفاتيح الجنان .

قال علقمة : قال أبو جعفر الباقر عليه السلام : يا علقمة ، إن استطعت أن تزوره في كلّ يوم بهذه الزيارة من دهرك فافعل ، فلك ثواب جميع ذلك إن شاء الله تعالى .

السند الثاني :

عن سيف بن عميرة ، قال : خرجت مع صفوان بن مهران الجمّال وجماعة من أصحابنا إلى الغري بعد أن خرج أبو عبد الله عليه السلام فسرنا من الحيرة إلى المدينة .

فلمّا فرغنا من الزيارة صرف صفوان وجهه إلى ناحية أبي عبد الله عليه السلام فقال لنا: تزورون الحسين عليه السلام من هذا المكان من عند رأس أمير المؤمنين صلوات الله عليه من ها هنا، وأومأ إليه أبو عبد الله عليه السلام وأنا معه. قال: فدعا صفوان بالزيارة التي رواها علقمة بن محمّد الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام في يوم عاشوراء ثمّ صلّى ركعتين عند رأس أمير المؤمنين عليه السلام وودّع في دبرهما أمير المؤمنين عليه السلام وأومأ إلى الحسين بالسلام منصرفاً بوجهه نحوه، وودّع، وكان فيما دعاه في دبرها: «يا الله يا الله يا الله، يا مجيب دعوة المضطرّين ـ إلى آخر الدعاء في المفاتيح بعد زيارة عاشوراء ونسبها إلى علقمة سهواً وهي دعاء صفوان ـ».

قال سيف: فسألت صفوان فقلت له: إنّ علقمة بن محمّد لم يأتِنا بهذا عن أبي جعفر عليه السلام، إنّما أتانا بدعاء الزيارة، فقال صفوان: وردت مع سيّدي أبي عبد الله عليه السلام إلى هذا المكان ففعل مثل الذي فعلناه في زيارتنا، ودعا بهذا الدعاء عند الوداع بعد أن صلّى كما صلّينا، وودّع كما ودّعناه.

ثمّ قال لي صفوان: قال أبو عبد الله عليه السلام: تعاهد هذه الزيارة ـ أي عليك بهذه الزيارة دائماً كما كان سلفنا الصالح من يقرأها كلّ يوم ـ وادعُ بهذا الدعاء وزُر به، فإنّي ضامن على الله تعالى لكلّ من زار بهذه الزيارة ودعا بهذا الدعاء من قرب أو بُعد، أنّ زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضيّة من الله تعالى، بالغاً ما بلغت، ولا يخيّبه.

يا صفوان، وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان عن أبي وأبي عن علي ابن الحسين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان عن الحسين، والحسين عن أخيه الحسن مضموناً بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله مضموناً بهذا الضمان، ورسول الله عن جبرئيل

مضموناً بهذا الضمان، وجبرئيل عن الله عزّ وجلّ مضموناً بهذا الضمان.

وقد آلى الله على نفسه عزّ وجلّ أنّ من زار الحسين عليه السلام بهذه الزيارة من قرب أو بُعد ودعا بهذا الدعاء قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغاً ما بلغت، وأعطيته سؤله، ثمّ لا ينقلب عنّي خائباً، وأقلبه مسروراً قريراً عينه بقضاء حاجته، والفوز بالجنّة والعتق من النار، وشفعته في كلّ من شفع خلا ناصب لنا أهل البيت، آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا به ملائكة ملكوته على ذلك.

ثمّ قال جبرئيل: يا رسول الله، إنّ الله أرسلني إليك سروراً وبشرى لك، وسروراً وبشرى لعليّ بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وإلى الأئمّة من ولدك إلى يوم القيامة، فدام يا محمّد سرورك وسرور عليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة وشيعتكم إلى يوم البعث.

ثمّ قال لي صفوان: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا صفوان، إذا حدث لك حاجة فزر بهذه الزيارة من حيث كنت، وادعُ بهذا الدعاء، وسل ربّك حاجتك، تأتِك من الله، والله غير مخلف وعده رسوله صلى الله عليه وآله بمنّه، والحمد لله[1].

دلالة الزيارة:

لهذه الزيارة العظيمة دلالات ومفاهيم عديدة، يشعّ منها أنوار الهداية، ويطفح منها بركات الحياة الطيّبة، تسودها السعادة والقرب من الله سبحانه. ومن أهمّ ما فيها هو التصريح بأمر عظيم وخطير جدّاً في حياة المؤمن، ألا وهو أمر الولاية، المتبلورة بالتولّي لله ولرسوله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، والتبرّي من أعدائهم،

(١) البحار ٩٨: ٣٠٠، عن مصباح الطوسي: ٥٤٢.

وأنّ السلام والصلاة مظهر التولّي، كما أنّ اللعن مظهر التبرّي، والعجيب أنّ اللعن مقدّم على السلام، فإنّ التخلية مقدّمة على التحلية ـ كما في علم الأخلاق ـ ثمّ المهمّ في اللعن هو بيان المصاديق ومن استوجب اللعن الإلهي، حتّى لا يلتبس الأمر على الناس، والحديث في هذا الوادي طويل وعريض جدّاً، وشرح الزيارة وبيان مفرداتها يحتاج إلى مجلّدات قطورة، إلّا أنّه يكفيني أن أشير إجمالاً إلى قول (السلام عليك يا أبا عبد الله) وأُبيّن بعض معالمه، لتكون الزيارة على معرفة إن شاء الله تعالى.

ولا يخفى أنّ هذه الزيارة من الله سبحانه وهذا يعني أنّ أوّل زائر للحسين عليه السلام في عالم الأنوار والأشباح هو الله سبحانه وتعالى، فهو الذي كنّى الحسين عليه السلام بأبي عبد الله قبل ولادته، فما معنى ذلك؟ وهذا يستلزم أن نتعرّض إلى الكلمات الثلاثة في المقطع الأوّل من الزيارة الشريفة، وهي: السلام، العبادة، الأُبوّة.

السلام في الإسلام

من أسماء الله الحسنى: السلام.

﴿ هُوَ اللهُ الَّذي لا إلـهَ إلّا هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلامُ ﴾[١].

وقد جعل سبحانه تحيّة المسلمين والإسلام هو السلام، فلكلّ قوم تحيّة، وتحيّة المسلمين السلام، الذي يعني السلامة من السلام جلّ جلاله، فهو السلام وإليه يعود السلام، وأحبّ أن تكون تحيّة أهل الجنّة السلام.

وأوجب ردّه لمن تنفّل به، حتّى لو كان في حديث مع ربّه كالصلاة، وهذا إن دلّ على شيء، فإنّه يدلّ على عظمة السلام، وأنّ من بدأ به يثاب بـ(٦٩) حسنة، ومن ردّ السلام، فإنّه يثاب بحسنة واحدة، ولم يسبق أحدٌ النبيّ الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله بالسلام، وما أكثر النصوص الدينيّة من الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة في فضل السلام ومقامه العظيم في الإسلام.

﴿ وَإذا جاءَكَ الَّذينَ يُؤْمِنونَ بِآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٢].

﴿ وَنادَوا أصْحابَ الجَنَّةِ أنْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ ﴾[٣].

﴿ دَعْواهُمْ فيها سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فيها سَلامٌ ﴾[٤].

---

(١) الحشر: ٢٣.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) الأعراف: ٤٦.

(٤) يونس: ١٠.

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ ﴾[١].

﴿ يَقولونَ سَلامٌ عَلَيْكُمْ اُدْخُلوا الجَنَّةَ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلونَ ﴾[٢].

﴿ قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلامُ عَلىٰ مَنِ اتَّبَعَ الهُدىٰ ﴾[٣].

﴿ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغي الجاهِلينَ ﴾[٤].

﴿ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلوها خالِدينَ ﴾[٥].

﴿ وَإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلونَ قالوا سَلاماً ﴾[٦].

(١) الرعد : ٢٤.

(٢) النحل : ٣٢.

(٣) طه : ٤٧.

(٤) القصص : ٥٥.

(٥) الزمر : ٧٣.

(٦) الفرقان : ٦٣.

عبادة الخلق

إنّ الله سبحانه ربّ السماوات والأرض وما بينهما، ومن لوازم مقام الألوهيّة والربوبيّة، أنّ ما سواه يكون عبداً له، كما يستخلفه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا، بمقدار فنائه في العبوديّة، فإنّها جوهرة كنهها الربوبيّة، وكما ورد في الخبر الشريف: عبدي أطعني أجعلك مثلي أقول للشيء: كن فيكون، وتقول للشيء: كن فيكون، وإنّ العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، وهذا من حقيقة العبوديّة لله سبحانه في الإنسان، وإنّها سارية في كلّ المخلوقات:

﴿ إنْ كُلُّ مَنْ في السَّماواتِ وَالأرْضِ إلّا أتى الرَّحْمٰنَ عَبْداً ﴾[١].

ومن علائم العبادة وحقيقتها التسبيح وتنزيه الله سبحانه عن القبائح، وإنّه الكمال المطلق ومطلق الكمال، وجميع ما سواه في حركة جوهريّة وذاتية إليه جلّ جلاله، فكلّ شيء عاشق لله ويسبّح بحمده وجلاله:

﴿ وَهُوَ الظّاهِرُ فَوْقَ عِبادِهِ وَهُوَ الحَكيمُ الخَبيرُ ﴾[٢].

﴿ سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وَالأرْضِ وَهُوَ العَزيزُ الحَكيمُ ﴾[٣].

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّماواتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فيهِنَّ ﴾[٤].

(١) مريم : ٩٣.

(٢) الأنعام : ١٨.

(٣) الحديد : ١.

(٤) الإسراء : ٤٤.

﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلائِكَةُ مِنْ خيفَتِهِ ﴾[١].

﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلـكِنْ لا تَفْقَهونَ تَسْبيحَهُمْ ﴾[٢].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ في السَّماواتِ وَالأَرْضِ والطَّيْرُ صافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبيحَهُ وَاللهُ عَليمٌ بِما يَفْعَلونَ ﴾[٣].

﴿ يُسَبِّحُ للهِ ما في السَّماواتِ وَالأَرْضِ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ ﴾[٤].

﴿ وَسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الجِبالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ﴾[٥].

فكلّ الخلق في تسبيح وعبادة لله سبحانه، وهذا ممّا لا يمكن إنكاره، كما دلّت عليه الآيات الكريمة، وعليه الروايات الشريفة والأدلّة العقليّة كما في الحكمة المتعالية. فكلّ الخلائق تسير نحو معبودها ومعشوقها الأوّل في حركة جوهريّة فإنّها عاشقة وعابدة لله سبحانه[٦].

ثمّ ورد في إرشاد القلوب بسنده والمفيد مثله عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان، الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان، أيّما أفضل محمّد صلى الله عليه وآله أو سليمان بن داود عليه السلام؟ قال سلمان:

(١) الرعد: ١٣.

(٢) الإسراء: ٤٤.

(٣) النور: ٤١.

(٤) التغابن: ١.

(٥) الأنبياء: ٧٩.

(٦) راجع في ذلك (الأسفار الأربعة) الجزء ٧، للمحقّق صدر الدين الشيرازي.

بل محمّد أفضل. فقال: يا سلمان، فهذا آصف بن برخيا، قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلى سبأ في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب، ولا أفعل أنا أضعاف ذلك وعندي ألف كتاب؟

أنزل الله على شيث بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان. فقلت: صدقت يا سيّدي، قال الإمام عليه السلام: يا سلمان، إنّ الشاكّ في أُمورنا وعلومنا كالمستهزئ في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله ولايتنا في كتابه في غير موضع وبيّن ما أوجب العمل به وهو مكشوف[١].

ـ عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: أتى الحسين عليه السلام أُناس فقالوا له: يا أبا عبد الله، حدّثنا بفضلكم الذي جعل الله لكم، فقال: إنّكم لا تحتملونه ولا تطيقونه، قالوا: بلى نحتمل، قال: إن كنتم صادقين فليتنحّ اثنان وأُحدّث واحداً فإن احتمله حدّثتكم، فتنحّى اثنان وحدّث واحداً، فقام طائر العقل ومرّ على وجهه وذهب، فكلّمه صاحباه فلم يردّ عليهما شيئاً وانصرفوا.

ـ عن عبد العزيز بن كثير: إنّ قوماً أتوا إلى الحسين وقالوا: حدّثنا بفضائلكم، قال عليه السلام: لا تطيقون وانحازوا عنّي لأُسرّ إلى بعضكم، فإن أطاق سأُحدّثكم، فتباعدوا عنه، فكان يتكلّم مع أحدهم حتّى دهش وولّه وجعل يهيم ولا يجيب أحداً وانصرفوا عنه[٢].

(١) البحار ٢٦: ٢٢٢، عن إرشاد القلوب ٢: ٢٢٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨، عن الخرائج والجرائح ٢: ٧٩٥.

وعندنا الكثير مثل هذه الأحاديث الشريفة الدالّة على صعوبة تحمّل أسرار النبوّة والإمامة وأسرار النبيّ والإمام وولايتهما، فإنّه من الصعب المستصعب، حتّى على الأنبياء والملائكة.

وربما ما أقوله في بيان (السلام عليك يا أبا عبد الله) يكون هذا الأمر الصعب، الذي لا يهضم بسهولة، إلّا بعد الابتلاء والاختبار والامتحان، فلا يتحمّله إلّا مؤمن قد امتحن الله قلبه بالإيمان.

جعلنا الله وإيّاكم من المؤمنين الكمّلين الفائزين بالمعرفة التامّة وبالمعرفة الجماليّة، بل والكماليّة. فنعرف قادتنا عليهم السلام حقّ المعرفة حسب الطاقة البشريّة، ومن الله التوفيق والسداد والهداية والرشاد.

الأُبوّة والبنوّة

الابن لغة واصطلاحاً:

من بني أو بنو ـ بالياء أو الواو ـ فإن كان الأوّل فهو بمعنى البناء، وربما يكون من أَبِن بمعنى القطع والإبانة.

يطلق على الذكور من الأولاد، فهو قطعة من أبيه كما ورد (أولادنا أكبادنا)، أو فلذّة من أكبادنا، أو أنّ الولد يبتنى في وجوده على والده، كما يقال: الولد على سرّ أبيه.

والأب لغة واصطلاحاً:

أصلة أبَو بالتحريك، لأنّ جمعه آباء مثل قَفا وأقفاء ورحى وأرحاء، فالذاهب منه واو لأنّك تقول في التثنية أبوان، والأب الوالد والأبوان الأب والأُمّ. والأب والوالد يعني من كان سبباً في إيجاد شيء أو إصلاحه، ولمّا كان الوالد هو المتكفّل الأوّل لتربية ولده وإصلاح شؤونه، فإنّه يطلق عليه الأب.

ويطلق الأب على مصاديق مختلفة، كما ورد في الأخبار الشريفة، ومن المشهور والمعروف أنّ الآباء ثلاثة: أب ولّدك، وأب زوّجك، وأب علّمك وهو أفضلهم.

فيعدّ المعلّم من الآباء، بل هو أفضلهم، لأنّه يربّي ويزكّي روح الولد الباقية إلى يوم القيامة، بخلاف الأب المولّد وأب الزوجة فإنّهما باعتبار الأجساد الفانية، وربما يكون الوالد أباً روحيّاً وجسديّاً لولده، فيجمع بين الفضيلتين.

ثمّ ورد في أحاديث كثيرة وصحيحة عند الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ أنّ النبيّ

الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله والد هذه الأُمّة المرحومة.

قال صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة.

والإمام الحسين عليه السلام لمّا كان نفس رسول الله لقوله صلى الله عليه وآله (حسين منّي وأنا من حسين) فهو كجدّه عليهما السلام له مقام الأُبوّة، كما علّم الخلق كلّه منذ عالم الأنوار، فسبّح الله وسبّحت الملائكة بتسبيحه، وبه وبجدّه وأبيه وأُمّه وأخيه وبنيه المعصومين عُرف الله وعُبد ـ كما ورد في الأخبار الصحيحة ـ وأنّهم كلّهم من نور واحد (أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد عليهم السلام)، فلهم مقام الأُبوّة والتعليم لكلّ الخلائق، فهم آباء كلّ من كان عبداً لله جلّ جلاله، ولكلّ من أتى الرحمن عبداً، فالكون كلّه عبداً لله سبحانه وتعالى.

أقسام الكنى:

هذا والكنية عند العرب تكون بأب وأُمّ وابن، كما يقال (أبو علي) وهي على نحوين: إمّا حقيقيّة أو تشريفيّة:

والأُولى: تطلق على من يلد له مولود فيسمّيه ثمّ يكنّى به، كما كنّي أمير المؤمنين علي عليه السلام بولده الحسن المجتبى عليه السلام.

والثانية: تطلق على من سمّي باسم صاحب هذه الكنية لجلالته وعلوّ مقامه تشريفاً، فيكنّى بكنيته أيضاً، حتّى لو لم يكن له ولد مسمّى بذلك، كما يقال لكلّ من اسمه علي: أبو الحسن، كما كُني بذلك الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام والإمام الرضا عليّ بن موسى عليه السلام، فيقال: أبو الحسن الثاني وأبو الحسن الثالث.

وأمّا كنية سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام بأبي عبد الله، فلم يكن من

الأوّل، إذ ولده الأكبر علي عليه السلام، ولم يكن من الثاني، إذ لم يكن له من قبل سميّاً فهو يشترك مع يحيى النبيّ في ذلك، كما يشترك في موارد أُخرى تبلغ العشرين.

زيدة المخاض:

فنقول: هناك قسم ثالث في الكنى أُسمّيه (الكنية التكوينيّة)، وهي منحصرة بالحسين عليه السلام وتعدّ من خصائصه وخصاله. فإنّه لمّا كان الخلق في وجودهم من بركات وجوده، باعتبار أنّه نفس النبيّ صلى الله عليه وآله وهو الصادر الأوّل، والواسطة في الفيض الإلهي، فهو صنع الله والخلق صنايعه، كما إنّه هو المعلّم للخلائق ومعلّم البشريّة، والمعلّم أب، والخلق عبد الله، فالحسين أبو عبد الله.

ولمثل هذا يكنّى الإمام الحسين عليه السلام في زيارة عاشوراء منذ بدء الخلق ومن الأزل على لسان الله بأبي عبد الله.

فالصلاة والسلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار بعدد ما في علم الله، ورزقنا الله في الدنيا زيارتك وفي الآخرة شفاعتك، وحشرنا في زمرتك، ورزقنا الشهادة في سبيلك، سبيل الله.

«يا ربّ الحسين بحقّ الحسين اشفِ صدر الحسين بظهور الحجّة عليهما السلام».

في كشف الغمّة: قال كمال الدين بن طلحة: كنية الحسين عليه السلام أبو عبد الله لا غير، وأمّا ألقابه فكثيرة.

الرشيد والطيّب والوفيّ والزكيّ والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط والسيّد[1].

---

(١) العوالم ١٧: ٢٨، وفي البحار ٤٣: ٢٣٧، الحديث ٢.

قال المحقّق الشيخ جعفر التستري قدس سره في مدح الله الإمام الحسين عليه السلام :

إنّه مدحه بمدائح منها : أنّه من أعلى أفراد الوالد الذي قضى ربّك بالإحسان إليه ، فهل أحسنت إلى هذا الوالد يوماً[1].

(١) الخصائص الحسينية : ٤٦.

خلاصة الكلام في العرش الإلهي[1]

العرش ما يجلس عليه الملك ، وربما كنّي به عن مقام السلطنة ، قال الراغب في المفردات : العرش في الأصل شيء مسقّف ، وجمعه عروش . قال : ﴿ وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُروشِها ﴾ ، ومنه قيل : عرشت الكرم وعرشتها إذا جعلت له كهيئة سقف . قال : والعرش شبه هودج المرأة تشبيهاً في الهيئة بعرش الكرم ...

قال : وعرش الله ما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلّا بالاسم ، وليس كما يذهب إليه أوهام العامة ، فإنّه لو كان كذلك لكان حاملاً له ـ تعالى عن ذلك ـ لا محمولاً ، والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ .

وقال قوم : هو الفلك الأعلى والكرسي فلك الكواكب ، واستدلّ بما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : ما السماوات السبع والأرضون السبع في جنب الكرسي إلّا كحلقة

(١) اقتبسناه من الكتاب القيّم (الميزان في تفسير القرآن) للعلّامة المحقّق السيّد محمّد حسين الطباطبائي قدّس سرّه الشريف . من سورة الأعراف .

ملقاة في أرض فلاة والكرسي عند العرش كذلك.

وقد استقرّت العادة منذ القديم أن يختصّ العظماء من ولاة الناس وحكّامهم ومصادر أُمورهم من المجلس بما يختصّ بهم ويتميّزون به عن غيرهم، فاتّخذوا للملك ما يسمّى عرشاً وهو أعظم وأرفع وأخصّ بالملك والكرسي يعمّه وغيره. واستدعى التداول والتلازم أن يعرف الملك بالعرش كما كان العرش يعرف بالملك في أوّل الأمر، فصار العرش حاملاً لمعنى الملك، فمثلاً لمقام السلطنة إليه يرجع وينتهي، وفيه تتوحّد أزمّة المملكة في تدبيرها أُمورها وإدارة شؤونها.

ثمّ قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ كناية عن استيلائه على ملكه وقيامه بتدبير الأمر قياماً ينبسط على كلّ ما دقّ وجلّ، ويترشّح منه تفاصيل النظام الكوني ينال به كلّ ذي بغية بغيته، وتقضى لكلّ ذي حاجة حاجته.

ثمّ اختلف الناس في معنى العرش، كما وقع الاختلاف عند العلماء في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ والآيات التي فيها كلمة العرش الإلهي، فأكثر أبناء العامّة والسلف على أنّها وما يشاكلها من الآيات المتشابهات التي يجب أن يرجع علمها إلى الله سبحانه، وهؤلاء يرون البحث عن الحقائق الدينية والتطلّع إلى ما وراء ظواهر الكتاب والسنّة بدعة.

والعقل السليم يخطّئهم في ذلك كما أنّ الكتاب الكريم والسنّة الشريفة لا يصدّقانهم فآيات الكتاب تحرّض كلّ التحريض على التدبّر في آيات الله وبذل الجهد في تكميل معرفة الله ومعرفة آياته بالتذكّر والتفكّر والنظر فيها والاحتجاج بالحجج العقليّة. ومتفرّقات السنّة المتواترة معنى توافقها، ولا معنى للأمر بالمقدّمة والنهي عن النتيجة. وهؤلاء هم الذين كانوا يحرمون البحث عن حقائق الكتاب والسنّة ويعدونها بدعة فلنتركهم وشأنهم.

وأمّا طبقات الباحثين فقد اختلفوا في معنى العرش على أقوال:

١ ـ حمل الكلمة على ظاهر معناه، فالعرش عندهم مخلوق كهيئة السرير له قوائم وهو موضوع على السماء السابعة، والله ـ تعالى عمّا يقول الظالمون ـ مستوٍ عليه كاستواء الملوك منّا على عروشهم، وأكثر هؤلاء على أنّ العرش والكرسي شيء واحد، وهو الذي وصفناه. وهؤلاء هم المشبّهة من المسلمين، والكتاب والسنّة والعقل تخاصمهم في ذلك، وتنزّه ربّ العالمين أن يماثل شيئاً من خلقه ويشبهه في ذات أو صفة أو فعل تعالى وتقدّس.

٢ ـ أنّ العرش هو الفلك التاسع المحيط بالعالم الجسماني والمحدّد للجهات والأطلس الخالي من الكواكب، والراسم بحركته اليومية للزمان وفي جوفه مماساً به الكرسي وهو الفلك الثامن الذي فيه الثوابت، وفي جوفه الأفلاك السبعة الكلّية التي هي أفلاك السيارات السبع: زحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر بالترتيب محيطاً بعضها ببعض، وهذا يتلائم مع الهيئة القديمة باسم بطليموس. والظواهر من الكتاب والسنّة تثبت أنّ وراء العرش حجباً وسرادقات وأنّ له قوائم، وله حملة، وأنّ الله سيطوي السماء كطيّ السجلّ للكتب، وأنّ في السماء سكنة من الملائكة إلى غير ذلك ممّا ينافي بظاهره ما افترضه علماء الهيئة والطبيعيات سابقاً، وقد ثبت في الهيئة الجديدة والحديثة بالحسّ والتجربة بطلان الفرضيات السابقة، فما يقولونه في العرش لا وجه له.

٣ ـ أن لا مصداق للعرش خارجاً وإنّما قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ و ﴿ الرَّحْمانُ عَلى العَرْشِ ٱسْتَوى ﴾ كناية عن استيلائه تعالى على عالم الخلق وكثيراً ما يطلق الاستواء على الشيء على الاستيلاء عليه، كما قيل:

قد استوى بشرٌ على العراق ... من غير سيفٍ ودمٍ مهراق

أو أنّ الاستواء على العرش معناه الشروع في تدبير الأُمور، كما أنّ الملوك إذا أرادوا الشروع في إدارة أُمور مملكتهم استووا على عروشهم وجلسوا عليه فيلزم أن يكون الاستواء على العرش كناية ومجاز.

ولكن يرد عليه أنّه لا ينافي ذلك أن يكون هناك حقيقة موجودة تعتمد عليها هذه العناية اللفظية، فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ في عين أنّه تمثيل يبيّن به أنّ له إحاطة تدبيرية لملكه، يدلّ على أنّ هناك مرحلة حقيقية هي المقام الذي يجتمع فيه جميع أزمّة الأُمور على كثرتها واختلافها، ويدلّ عليه آيات أُخر تذكر العرش وحده، وينسبه إليه تعالى:

كقوله: ﴿ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظيم ﴾.

وقوله: ﴿ الَّذينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ مِنْ حَوْلِهِ ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَة ﴾.

وقوله: ﴿ حافِّينَ حَوْلَ العَرْش ﴾.

فالآيات كما ترى تدلّ بظاهرها على أنّ العرش حقيقة من الحقائق العينية وأمر من الأُمور الخارجيّة، ولذلك نقول: إنّ للعرش في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْش ﴾ مصداقاً خارجياً، فنقول في الوجود عرشاً إلهياً يجتمع فيه أزمّة الحوادث والأُمور كما يجتمع أزمّة المملكة في عرش الملك.

فالعرش مقاماً تنشأ فيه التدابير العامة الإلهيّة وتصدر عنه الأوامر التكوينية:

﴿ ذو العَرْشِ المَجيدِ فَعَّالٌ لِما يُريد ﴾.

﴿ وَتَرى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ ﴾.

﴿ الَّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرونَ لِلَّذينَ آمَنوا ﴾.

فحملة العرش أشخاص يقوم بهم هذا المقام الرفيع والخلق العظيم الذي هو مركز التدابير الإلهية ومصدرها، ففيه صور جميع الوقائع بنحو الإجمال حاضرة عند الله معلومة له كما يشير إلى ذلك قوله:

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوى عَلى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ في الأَرْضِ وَما يَخْرُجُ مِنْها وَما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فيها وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَما كُنْتُمْ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ بَصير ﴾.

ثمّ لم ينقل عن طبقة الصحابة بحث حقيقي عن مثل العرش والكرسي وسائر الحقائق القرآنية وحتّى أُصول المعارف كمسائل التوحيد وما يلحق بها، بل كانوا لا يتعدّون الظواهر الدينية ويقفون عليها، وعلى ذلك جرى التابعون وقدماء المفسّرين حتّى نقل عن سفيان بن عيينة أنّه قال: كلّما وصف الله من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

وعن مالك بن أنس إمام المالكية أنّ رجلاً قال له: يا أبا عبد الله، استوى على العرش، كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء يعني العرق وأطرق القوم، قال: فسرّي عن مالك، فقال: الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإنّي أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأُخرج.

وكان قوله: الكيف غير معقول إلى آخره، مأخوذ عمّا روي عن أُمّ سلمة أُمّ المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمانُ عَلى العَرْشِ ٱسْتَوى ﴾ قالت: الكيف غير معقول، والاستواء غير مجهول، والإقرار به إيمان، والجحود به كفر.

فهكذا كان مسلكهم، لم يورث ولم يحصل منهم شيء إلّا ما ورد في كلام

أمير المؤمنين علي عليه السلام وفي كلام الأئمة من ولده عليهم السلام، كما مرّت كثير من هذه الروايات الشريفة.

وخلاصة الكلام:

إنّ العرش ليس كهيئة السرير ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر وربّك مالكه، لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وهو حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، وخلقه من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة وهو نور المعرفة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبنوره وعظمته ابتغى من في السماوات والأرض وجميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة والأديان المتشتّتة، فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء ونور كلّ شيء سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

والذين يحملون العرش هم العلماء الذين حملهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلقه الله في ملكوته، وهو الملكوت الذي أراه الله أصفياءه وأراه خليله... فنور العظمة الإلهية وقدرته الذي ظهر به جميع الأشياء هو العرش الذي يحيط بما دونه وهو ملكه تعالى لكلّ شيء دون العرش وهو تعالى الحامل لهذا النور، ثمّ الذين كشف الله لهم عن هذا النور يحملونه بإذن الله، والله سبحانه هو الحامل للحامل والمحمول جميعاً. فالعرش في قوله: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى العَرْش ﴾ وإن شئت قلت: الاستواء على العرش هو الملك، وفي قوله: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ ﴾ هو

العلم، وهما جميعاً واحد وهو المقام الذي يظهر به جميع الأشياء، ويتمركز فيه إجمال جميع التدابير، ومقام العلم الذي يظهر به الأشياء، فالعرش هو الملكوت الأعلى، والعرش والكرسي بابان من أكبر أبواب الغيوب وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان لأنّ الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنها الأشياء كلّها والعرش هو الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبدء. فهما في العلم بابان مقرونان لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسي، وعلمه أغيب من علم الكرسي فمن ذلك قال: ﴿ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم ﴾ أي صفته أعظم من صفة الكرسي وهما في ذلك مقرونان[1].

والعرش الإلهي مربّع، فإنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله، والله أكبر، فيرجع تفسيره إلى العلم.

وفي العرش تمثال ما خلق الله في البرّ والبحر، وهذا تأويل قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلّا عِنْدَنا خَزائِنَهُ وَما نُنْزِلُهُ إِلّا بِقَدَرٍ مَعْلوم ﴾ فوجود صور الأشياء وتماثيلها في العرش هو الحقيقة التي يبتني عليها بيان الآية، والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة. وحملة العرش العلمي ثمانية: أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين: فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام، كما تحمله ثمانية من الملائكة ومن حوله ملائكة يستغفرون للمؤمنين.

---

(١) إذا أردت شرح هذا الكلام الذي هو من الحديث الشريف فراجع تفسير الميزان ٨: ١٧٠ سورة الأعراف.

و ﴿ كانَ عَرْشُهُ عَلى الماء ﴾ يوم خلق السماوات والأرضين على الماء وهذا كناية عن أنّ ملكه تعالى كان مستقرّاً يومئذٍ على هذا الماء الذي هو مادّة الحياة، فعرش الملك مظهر ملكه، واستقراره على محلّ استقرار ملكه عليه كما أنّ استواؤه على العرش احتواؤه على الملك وأخذه في تدبيره[1].

هذا وقد كتب الله سبحانه على عرشه الاسمى والمسمّى، بلون أخضر أي بلون المعرفة:

(إنّ الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

فارجع البصر تكراراً ومراراً إلى ما كتبناه في شرح هذا الحديث الشريف، فهل ترى فيه من...؟!

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

خلاصة الكلام في العرش الإلهي ٣٠١
الفهرست ٣٠٩
٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣٧ ٣٨ ٣٩

(١) الميزان ١٠: ١٤٤ سورة هود.

الفهرست

الإهداء ٣
المقدّمة ٥
حقيقة المعرفة ١٤
المعرفة لغةً ١٤
المعرفة اصطلاحاً ١٥
مراحل المعرفة ١٦
الفصل الأوّل ـ العرش لغةً واصطلاحاً ٢٩
العرش لغةً ٣٠
العرش اصطلاحاً ٣٤
الفصل الثاني ـ العرش في القرآن الكريم ٣٥
الفصل الثالث ـ العرش العلمي ٤١
العرش الرحماني ٤٦
العرش التدبيري ٤٨
العرش الخَلقي ٥٠

العرش الملكي ٥٢
زبدة المخاض ٥٤
الفصل الرابع ـ سعة العرش الإلهي ٦١
الفصل الخامس ـ الألوان في العرش ٦٥
الفصل السادس ـ تربيع العرش ٧٣
الفصل السابع ـ العقل في العرش ٧٩
الفصل الثامن ـ آل محمّد عليهم السلام في عرش الله ٨٥
الفصل التاسع ـ عوالم ومعالم العرش الإلهي ١٣٧
مجمل روايات العرش ١٦٦
الفصل العاشر ـ إنّ الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة ١٧٩
الفصل الحادي عشر ـ في رحاب آية السفينة وحديثها ١٨٣
نبذة من وجوه الشبه بين الآية والرواية ١٨٣
١ ـ النصّ الإلهي ـ صنع السفينة بأمر ونصّ من الله جلّ جلاله ١٨٦
٢ ـ العصمة ١٨٩
٣ ـ الإيمان ١٩٥
٤ ـ الطهارة ١٩٧
٥ ـ الاهتداء ٢٠٠
٦ ـ النجاة ٢٠٤
٧ ـ الطوفان ٢٠٥
٨ ـ الانحصار ٢٠٦
٩ ـ حقيقة المودّة ٢٠٨

١٠ ـ استمرار الإمامة ٢٠٩
١١ ـ خلائف في الأرض ٢١١
١٢ ـ متابعة الإمام وإتيانه ٢٢٣
١٣ ـ الفرقة الناجية ٢٢٦
١٤ ـ الصحابة ـ من لم يركب السفينة فليس من الصحابة ٢٢٨
١٥ ـ الكافرون ـ المتخلّف من ركوب السفينة كافر ٢٣٠
١٦ ـ الظالمون ـ من لم يركب السفينة إنّه من الظالمين ٢٣٢
١٧ ـ الجاهلون ـ من لم يركب السفينة فهو من الجاهلين ٢٣٤
١٨ ـ الغاوون ـ من لم يركب السفينة فهو من الغاوين ٢٣٦
١٩ ـ المجرمون ـ من لم يركب السفينة فهو من المجرمين ٢٣٨
٢٠ ـ العاصون ـ الأكثريّة في منطق القرآن من العُصاة الفاسقين ٢٤٠
٢١ ـ المستكبرون ـ الأكثريّة من المستكبرين ٢٤٦
٢٢ ـ المذنبون ـ الأكثريّة أهل المعصية ٢٤٨
٢٣ ـ الضالّون ـ الأكثريّة أهل الضلال ٢٥٠
٢٤ ـ أهل السوء ـ الأكثريّة قوم سوء ٢٥٢
٢٥ ـ الفارّون من الحقّ ٢٥٤
٢٦ ـ المجادلون بالباطل ٢٥٥
٢٧ ـ الهالكون المعتدون ـ هلاك الأكثريّة واعتدائهم على الأقلّية ٢٥٦
٢٨ ـ المعذّبون ـ من لم يركب السفينة فإنّه يُعذّب يوم القيامة ٢٥٩
٢٩ ـ المؤمنون ـ قلّة المؤمنين ٢٦١
٣٠ ـ القلب السليم ٢٦٢

٣١ ـ الصبر والتقوى ٢٦٤
٣٢ ـ السلامة والبركة ٢٦٥
٣٣ ـ النجاة من الكروب ٢٦٦
٣٤ ـ البقاء والخلود ٢٦٨
٣٥ ـ بداية الركوب والحركة والسير باسم الله ٢٧١
٣٦ ـ العمى لمن تخلّف وكذّب ٢٧٣
٣٧ ـ تعدّد الأحزاب ٢٧٥
٣٨ ـ راكب السفينة مع الأنبياء عليهم السلام ٢٧٧
الفصل الثاني عشر ـ زيارة الإمام الحسين عليه السلام زيارة الله في العرش ٢٧٩
الخاتمة ـ زيارة عاشوراء سنداً ودلالة ٢٨٥
السند الأوّل ٢٨٥
السند الثاني ٢٨٧
دلالة الزيارة ٢٨٩
السلام في الإسلام ٢٩١
عبادة الخلق ٢٩٣
الأُبوّة والبنوّة ٢٩٧
أقسام الكنى ٢٩٨
زبدة المخاض ٢٩٩
خلاصة الكلام في العرش الإلهي ٣٠١
الفهرست ٣٠٩